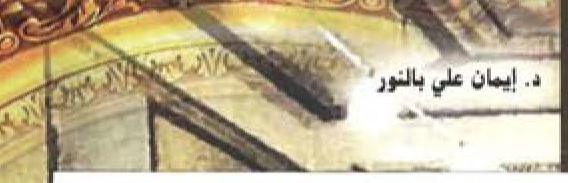
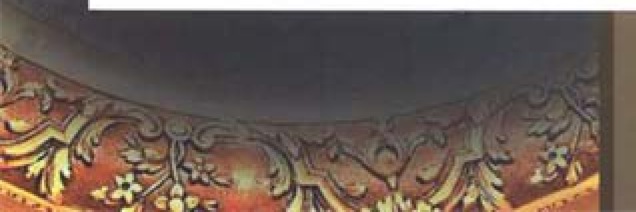


د. إيمان علي بالنور

دور الموالي في سقوط الدولة الأموية

(41-132 هـ / 661-750 م)





دور الموالي

في سقوط الدولة الأموية

(41 - 132 هـ / 661 - 750 م)

دور الموالي

في سقوط الدولة الأموية

(41 ـ 132 هـ / 661 ـ 750 م)

تأليف

إيمان علي بالنور

محاضر ـ قسم التاريخ

جامعة قاريونس ـ بنغازي



منشورات

جامعة قاريونس

بنغازي - ليبيا

رقم الإيداع : 7298 / 2008 ف

ردمك 6 - 124 - 24 - 9959 ISBN

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية / بنغازي - ليبيا

هاتف : 9090509- 9096379 - 9097074

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني : nat-lib-libya@ hotmail.com

الطبعة الاولى 2008



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا
تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾

[سورة المائدة: الآية 8]



الإهـــداء

إلى روح والدي الطاهرة في عليائه

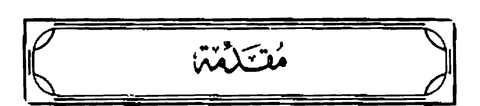
وإلى روح شقيقي نورى الذي رحل مبكراً

اسكنهما اللّه فسيح جناته

المختصرات

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب	(البيان المغرب)
تاريخ خليفة بن خياط	(تاريخ خليفة)
تاريخ الأمم والملوك والرسل	(تاريخ الطبري)
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار	(الخطط المقريزية)
بدون تاريخ	(د. ت)
بدون مكان نشر	(د. م)
الفتاوى الهندية المسمى بالفتاوى العالمكيرية	(الفتاوى الهندية)
قسم	(ق)
ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر	(ليبيا منذ الفتح العربي)
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	(ميزان الاعتدال)
نهاية الأرب في فنون الأدب	(نهاية الأرب)
ورقة	(و)

المحتويات



إن موضوع هذه الدارسة يتناول دور الموالي في سقوط الدولة الأموية (41 ـ 132هـ/ 661 ـ 750 م)، والذي يعد من المواضيع الجديرة بالدراسة والبحث لما له من صلة وطيدة بتاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الماضي والحاضر، وهذه الدراسة في الأصل بحث تقدمت به في صيف سنة 1997 م لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

ويرجع السبب الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ودراسته إلى أنه لم يدرس دراسة متخصصة من جوانبه الاجتماعية والنفسية، فقد تناولت الكتب المصدرية طبقات(*) الموالي بآراء مختلفة ومتناقضة، فأحياناً أخرى تدل على المهانة والاحتقار الذي يلاقيه الموالي على يد العرب.

وتكاد المكتبات العربية أن تكون شاغرة من مثل هذه الدراسات التي تهتم بمواضيع التاريخ الاجتماعي والنفسي للعناصر غير العربية في الدولة الإسلامية.

وقد تناول المؤرخون والأدباء الموالي بوجهات نظر مختلفة وبآراء متباينة، فعلى سبيل المثال درس محمد الطيب النجار موضوع الموالي في العصر الأموي بصفة عامة مع التركيز على العصبية القبلية.

(*) قصدنا هنا طبقات وليس طبقة لأن الموالي لم يشكلوا فئة واحدة بل هم عبارة عن فئات متعددة الأتجاهات والمهن فمنهم طبقة الفقهاء، والعلماء، والحجاب، والكتبة في الدواوين، ومنهم من أنضم للشيعة والخوارج، ومنهم التجار والناهضون للسياسة الأموية.

كما قام محمد بديع الشريف بدراسة صراع العرب والموالي من الفترة ما قبل الإسلام متدرجاً بالأحداث التاريخية إلى مطلع العصور الحديثة ومنتهياً بالحدث عن فترة الاستعمار والصراع بين العرب والأوربيين.

وهناك كتاب متخصص في دراسة الموالي للمؤلف جمال جودة يتناول وضع هؤلاء العجم من الناحية الاجتماعية والاقتصادية في فترة صدر الإسلام.

كما أهتم الأدباء بدراسة الموالي إذ قدم عرسان حسين رسالة ماجستير تحت عنوان «دور الموالي في شعر بني أمية»، وكذلك عبد الوهاب أحميد في رسالته «وضعية الموالي ما بين (100 ـ 232 هـ/ 718 ـ 846 م) دراسة الجانب الأدبي».

ومن خلال عرضنا لأهم الدراسات السابقة أتضح لنا أن المؤرخين والأدباء تناولوا أوضاع الموالي بوجهات نظر مختلفة، وأغفلوا عدة نواحي مثل دراسة الأسباب التي حدت بالموالي إلى القيام بالدور الفعال في إضعاف وإسقاط الحكم العربي والمتمثل في الدولة الأموية.

كما أولت الدراسات الأدبية عنايتها بقضية الشعر بالدرجة الأولى، وتكمن أهمية بعضها إلى الإشارات الخفية إلى عدد من الخصائص التي ميزت هذا الشعر مما ساعدنا في إضاءة النواحي الغامضة في حياة الموالي.

وعلى كل حال فقد واجهتني بعض الصعاب من حيث أن موضوع الموالي تناوله مؤرخونا القدامى بصفة عابرة وخاصة فيما يتعلق بدراسة أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، لذلك وجدت صعوبة في استقراء الأحداء التاريخية؛ لهذا التجأت إلى بعض المصادر الأدبية والمتمثلة في كتاب الأغاني للأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وبعض مؤلفات الجاحظ التي استدليت من خلال الشعر عسى أن أجد فيها البديل.

وقد ركزت في دراستي لهذا الموضوع على تحليل الجوانب الاجتماعية والاقتصادي التي حدت بالموالي للانضمام للثورات المناهضة والمتباينة الاتجاهات للسياسات الأموية، وقسمت الموضوع إلى خمسة فصول رئيسية، تناول الفصل الأول «التمهيدي» النبية الاجتماعية للقبيلة العربية والمتمثلة في

طبقات المجتمع الجاهلي وهي طبقة الصرحاء، وطبقة الموالي، وطبقة العبيد، ثم تطرقت للعصبية القبلية وأثرها في المجتمع الجاهلي ومدى ارتباطها بالنظام القبلي.

وناقشت في الفصل الثاني «الموالي في صدر الإسلام»، فبدأت أولاً بتعريف الموالي في اللغة ثم القرآن والسنة، وبعد ذلك تناولت مفهوم الولاء للعناصر غير العربية، ثم تعرضت بإيجاز إلى دراسة أوضاع الموالي في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من جميع مناحي الحياة اليومية.

أما الفصل الثالث وعنوانه «الموالي في العصر الأموي»، فقد تطرقت فيه إلى علاقة الموالي بالبلاط الأموي والذي يشمل اشتغال الموالي في وظيفة الحجابة والشرطة والدواوين وفي الجيش، ثم قمت بدراسة أحوال الموالي الاجتماعية وسياسة الأمويين الاقتصادية تجاههم، وما نتج عن هذه السياسة من ردود فعل انحصرت في تقوية النفوذ الاقتصادية والفكرية والعلمية، وناقشت من خلال سر ذلك النبوغ والتفوق الفكري.

أما في الفصل الرابع «حركات الموالي المناهضة للسياسة الأموية في المشرق والمغرب والأندلس»، فإنه يتحدث أولاً على انضمام الموالي للثورات في المشرق مثل انضمامهم لثورة عبد الله بن الزبير وثورة المختار بن عبيد الثقفي وحركة عبد الله بن جارود واشتراكهم في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث والتحامهم بانتفاضة أبي الصيداء وثورة الحارث بن سريج، أما النقطة الثانية تناولت ثورات الموالي في المغرب والأندلس والتي تعد من أخطر الثورات في الساحة المغاربية التي هددت البلاط الأموي والمتمثلة في غزوة الأشراف وموقعة الأصنام والقرن، وكذلك ثورات الموالي في الأندلس وانبعاث العصبية القبلية بين عرب الشمال وعرب الجنوب، أما النقطة الثالثة في هذا الفصل فتتحدث عن موقف الموالي من الأحزاب المعارضة للسياسة الأموية مثل الخوارج والشيعة.

وناقشت في الفصل الخامس الأخير «انضمام الموالي للعلويين والعباسيين واطاحتهم بالدولة الأموية»، حللت فيه سياسة آل البيت لجذب الموالي من خرسان وكيف تم نقل الدعوة الهاشمية من الفرع العلوي للفرع العباسي،

وترجمت لأهم الشخصيات القيادية من الموالي مثل بكير بن هامان، وأبي سلمة الخلال، وأبي مسلم الخراساني، ثم رأيت من الضروري إعطاء لمحة سريعة عن الوضع العام للخلافة الأموية من الفترة (25 ـ 132هـ/ 743 ـ 750 م) تمهيداً لتكوين جيش من الموالي ودوره في الإطاحة بالدولة الأموية.

كما أتقدم بجزيل شكري وعظم إمتناني لأعضاء المناقشة الدكتور صالح المزيني المشرف على هذه الدراسة الذي قدم لي النصح والإرشاد وللأستاذ الدكتور إدريس الحرير الذي كان عوناً لي طيلة دراستي الجامعية والأستاذ الدكتور إبراهيم سلمان الكروي لحضوره الكريم ومناقشته القيمة للدراسة.

ولا يفوتني أن أشكر موظفي المكتبة المركزية وأخص بالذكر منهم الأستاذ أبو بكر الشريف أمين قسم الإعارة والأخ حسين ماضي، على مساعدتهما القيمة وتذليل الصعاب أمام الباحث وأيضاً الأخت حليمة الضراط أمين قسم المراجع بالمكتبة المركزية والأخت ماجدولين الشيخي موظفة بجامعة قاريونس، وأيضاً أتقدم بجزيل الشكر للأخوة والأخوات العاملين بمكتبة عين الشمس وبالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة، ودار الكتب المصرية خاصة قسم المخطوطات على ما قدموه من مساعدات قيمة.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أسرتي الكريمة التي شجعتني وبثت في روح العلم والمثابرة.

وبعد فأرجو أن أكون في هذا البحث قد وضعت يدي على المواقف الحاسمة في تاريخنا العربي والإسلامي خلال فترة الحكم الأموي وأملي أن يسد هذا البحث فراغاً في الدراسات التاريخية التي تتناول الجانب الاجتماعي والنفسي.

وإذا لم يرتق هذا البحث لمرتبة الكمال فحسبي أني قد نشدتها، لأنه كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٥﴾.

الباحثة إيمان علي بالنور

2004 ف

الفصل الأول

تمهيد

أ ـ الحياة الاجتماعية قبيل الإسلام

ـ مجتمع البادية والحاضرة

ب ـ طبقات المجتمع العربي في الجاهلية

1 ـ طبقة الصرحاء

2 ـ طبقة الموالي

3 ـ طبقة العبيد أو الرقيق

جـ ـ العصبية القبلية وأثرها في المجتمع الجاهلي

الحياة الاجتماعية قبيل الإسلام

إن من يتناول موضوع الموالي لا بدّ له من التطرق إلى دراسة طبقات المجتمع العربي في العصر الجاهلي، إذ أنهم يمثلون ركناً أساسياً من المجتمع العربي آنذاك. ولكي نتفهم الوضع السائد كان من الضروري أن نسلط الضوء على الحياة الاجتماعية قبيل الإسلام.

مجتمع البادية والحاضرة:

ينقسم سكان الجزيرة العربية قبيل الإسلام إلى قسمين: أهل وبر (بادية)، وأهل مدر (حاضرة)، فأهل الوبر تتسم حياتهم بالتنقل والرتحال حاملين معهم بيوتهم المصنوعة من وبر الإبل أو شعر الماعز في الصحراء باحثين عن مواطن الماء والكلأ[1]. وهذا لا يعني أن حياتهم ينعدم فيها النظام مع كونهم لم يتمتعوا بوحدة اقتصادية مستقرة وبالتنقل المستمر، بل لهم عادات وتقاليد ونظم تكاد أن تكون واحدة من كل القبائل والعشائر المختلفة في الصحراء، وهذا النظام يكمن في الولاء القبلي الذي ينظم حياتهم هذه. وسنتناول نظام القبيلة بشيء من التفصيل في الصفحات القادمة.

أما أهل المدر (الحاضرة) فهم يتميزون بحياة الاستقرار والمدنية بحكم

---

(1) محمد مرتضي الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الستار أحمد، ج 3 (الكويت: مطبعة الكويت، 1965، ص 594 (وبر).

وجودهم في مناطق غزيرة بالأمطار، وأرض صالحة للزراعة والرعي. فكلمة (مدر) مشتقة من قطع الطين واليابس، ويعرف أهل المدر أيضاً باسم الحضر أو الحاضرة والحضارة، أي أهل المدن والقرى الذين قطنوا حول الجزيرة العربية في الحجاز واليمن والعراق والشام[1]، ولهم حياة سياسية واقتصادية في غاية الدقة والتنظيم، ومع هذا فإن القبيلة هي المسيطرة في حياة العرب الجاهلية، سواء أكانوا في البادية أو الحاضرة، فقد كانت يثرب مدينة لها كيانها الاقتصادي والسياسي تحكمها قبيلتان هما الأوس والخزرج، وكذلك وادي القرى (مكة) تسيطر عليه قبيلة قريش وبطونها المختلفة، وكانت بلاد اليمن السعيد بممالكها المتعددة ونظامها السياسي المدني المتحضر، محتفظة بالوجود والنظام القبلي فيما بينها، وكذلك الأمر في العراق وبلاد الشام[2].

فالمجتمع العربي إذن يتشكل من مجموعة قبائل، تُعد بمثابة أسر أو أسرة كبيرة تربط أبناءها برباط الدم ووشائج الولاء[3]. فهذه الأسرة تحتاج إلى وجود أب أو زعيم ينظم حياة أفرادها لكي يحافظ على كيانها واستمراريتها ويحميها من الفوضى والاضطراب، فرئيس القبيلة يجب أن يتصف قبل كل شيء بصراحة النسب والرجولة والحلم والمروءة والشجاعة والنجدة والكرم.. وغيرها من السجايا والخصال الحميدة التي تميزه عن غيره وتؤهله لهذا المنصب القيادي، لهذا يفخر عامر بن طفيل، سيد قبيلته، بنفسه فينشد:

إنـي وإن كـنـت ابـن سـيـد عـامـر ... وفارسها المشهود في كل موكب
فـمـا سـوّدتـنـي عـامـر مـن وراثـة ... أبـى الـلّـه أن أسـمـو بـأم ولا أب
ولـكـنـنـي أحـمـي حـمـاهـا وأتـقـي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكب[4]

(1) المصدر السابق، ج 3، ص 146.
(2) انظر: محمد عزة دروزه: **عصر النبي وبيئته قبل البعثة**، (دمشق: دار اليقظة العربية، 1946)، ص 34.
(3) انظر: أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج 1، حققه محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الفكر، 1987)، ص 361.
(4) عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **الشعر والشعراء**، ج 2، (بيروت: دار الثقافة، د. ت) ص 31.

ومن أعمال سيد القبيلة المحافظة على وحدة القبيلة، والإشراف على نظمها شخصياً، وفك أسرى قومه وعدم الرضا لمتخاذل يفرق أبناء العشيرة ويشتت وحدتها ويكون سبباً في إشعال نار الفتن، لهذا نجد نظام الخلع في العصر الجاهلي الذي يُعد مسبةً وعاراً يلحق بالشخص الخليع، ويُطرد خارج مضارب القبيلة التي لن تعترف به يوماً[1].

ويُعد الخلع من أشد العقوبات التي توجه للفرد في هذا المجتمع لذلك يحرص كل فرد من أفراد القبيلة على حماية قبيلته والابتعاد عن الرذيلة.

إذن تتميز الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي بالنظام القبلي الذي يبنى عليه النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فهو يمثل جماعة من الناس تربطهم بالقبيلة رابطة الدم وأواصر الولاء، وبذلك تقوم بين الأفراد والجماعات المختلفة علاقات اجتماعية من منطلق انتمائهم القبلي.

وبقدر ما تحافظ القبيلة العربية على نسبها وأصالة عرقها، إلا أنها تقر حق الإجارة والمحالفة والاستلحاق[2] نتيجة لوقوعها في هذا المجتمع الذي جعلها تختلط بالقبائل والأمم المجاورة ومن هذا فالمجتمع العربي سواء في البادية أو الحاضرة يتكون من ثلاث طبقات رئيسية هي: طبقة أبناء القبيلة الصرحاء ويعرفون الصليبة أو الصميمة، وطبقة الموالي، وطبقة العبيد، وسنتناول هذه الطبقات الثلاث بشيء من الإيجاز.

1) طبقة الصرحاء (الصليبة - الصميمة)[3]

هم أبناء القبيلة الأحرار الذين يجمعهم نسب واحد، ودم مشترك لم تلحقه

---

(1) محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج 4، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، 1956)، ص 85، مادة (خلع).

(2) الاستلحاق: هو (المُلْحَقُ: الدعي الملصق، واستحلقه أي ادعاه)، ابن منظور: **اللسان**، ج 10، ص 328.

(3) الصليبة: من الصليب، الشديد القوبي والخالص النسب، فيقال: عربي صليب، إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج 1، ط 2، (القاهرة: دار المعارف، 1972)، ص 519.

هجنة[1]، وهم كيان القبيلة وسندها. ويمتاوزن بمكانة مرموقة في مجتمعهم القبلي، فكانت العرب شديدة الحرص على نقاء نسب أي فرد ينتمي إليها إذا ادّعى أنه من الصليبة، فيذكر ابن إسحاق أنه كان يضرب بالقداح في مكة:

«فإذا شكوا بنسب واحد منهم رموا بالأقداح بساحة الكعبة، وكان يكتب على الأقداح منكم أي صليبكم من نسبكم، من غيركم أي حليفكم ملصق أي لا نسب له ولا حلف»[2].

فبمحافظة هذه الطبقة على عراقة أصلها، ونقاوتها فإنها تتمتع بحقوق مدنية ليست لسواها، وتتحمل من الواجبات والتبعات ما لم تتحمله طبقة أخرى.

وتشمل هذه الطبقة الأغنياء والفقراء من الناس، فالفرد هنا ينعم حياً أو ميتاً بكامل الحقوق والمزايا، فإذا لحقه أي ضرر فإن من واجب القبيلة أن تمنع عنه الأذى، وإذا ارتكب أي جريمة فإنها مسؤولة عن جريرته، حتى قيل: «في الجَرِيرَةِ تَشْتَرِكُ العَشِيرَةُ»[3]، ومن واجبها أيضاً الانتصار له ظالماً أو مظلوماً[4].

ومن الحقوق التي يتمتع بها الصريح حق الإجارة والمحالفة[5]، أما واجبات الأحرار فحماية قبيلتهم والذود عنها من أي خطر يحدق بها، والثأر

---

(1) السيد محمد الألوسي: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري، ج 3، ط 3، (القاهرة: دار الكتب العربية، 1342 هـ)، ص 191، 192.

(2) عبد الملك بن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق إبراهيم الأبياري ومصطفى السقا، ج 1، ط 2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1971)، ص 161.

(3) أحمد بن محمد النيسابوري الميداني: **مجمع الأمثال**: ج 2 (القاهرة: 1352 هـ) ص 20.

(4) انظر: أحمد بن محمد المرزوقي: **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ج 1، ط 1، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1951)، ص 29.

(5) انظر: ابن هشام: **السيرة**، ج 2، ص 8، (عندما بعث رسول الله ﷺ إلى الأخنف بن شريعة ليجيره، فقال: أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك). سنوضح ذلك عند الحديث عن موالي الحلف والجوار.

ممن يعتدي على أبناء قبيلتهم، سواء أكان من صميمهم أو منتمياً إليهم بالجوار والحلف أو مولى لهم، فإن لم يفعلوا ذلك يلحق بهم العار أينما كانوا.

أما حقوق الصريح ميتاً، فإن القبيلة تأخذ بثأره، أي أنها أباحت لنفسها قتل أي رجل يقع في أيدي رجالها من تلك القبيلة التي قتل فيها ابنها بواءً بقتيلهم؛ لاعتقادهم أن المقتول إذا لم يؤخذ بثأره فإنه تخرج من رأسه هامة تصيح على قبره فتقول: (اسقوني، فإني عطشى، فإذا أدرك بثأره سكتت)[1].

وقد تتوالى الحروب والمعارك من أجل ذلك ولسنين طويلة كحرب البسوس التي جرت بين العدنانية أنفسهم (بكر وتغلب) والتي استمرت اربعين سنة، وحرب داحس والغبراء التي دارت رحاها بين بني عبس وبني ذبيان، والتي دامت أيضاً زهاء أربعين سنة[2]، وغيرها من المعارك الطاحنة من أجل الثأر والكرامة، والتي سجلها العرب القدامى في أشعارهم ورواياتهم وأطلقوا عليها أيام العرب.

وكانت العرب لا ترضى بسهولة أخذ الدية والجنوح إلى السلم، بل يجب أن تدرك ثأرها بنفسها، فلا يشفي غليلها إلا الدم، لهذا عرف نظام التكايل في الدماء، فإذا كان القتيل سيد قومه والقاتل من عامة الناس أو العبيد أبوا الاقتصاص منه، إذ أنه دون مستوى القتيل في المنزلة والشرف بل يجب أن يتكايل دمه مع دم سيد من نفس قبيلة القاتل، فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادة السيئة، فجاء في الحديث النبوي الشريف:

(المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم،
وهم يد على من سواهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا

---

(1) إسماعيل بن القاسم القالي: **الأمالي**، ج 1، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1926) ص 72.
- معمر بن المثنى التيمي: **النقائض بين جرير والفرزدق**، تحقيق محمد إسماعيل الصاوي، ج 1، (القاهرة: دار الصاوي، 1935)، ص 75.

(2) عماد الدين إسماعيل أبو الفداء: **المختصر في أخبار البشر**، ج 1، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1956)، ص 99.

ذو عهد في عهد)[1].

وتقول امرأة من طيء ترثي وليها، وتعرض بإبطال الإسلام حكم التكايل:

فيُقْتَلُ جبراً بامرىء لم يكن له بـواءً ولـكـن لا تـكـايـل بـالـدم[2]

وعلى الثائر الالتزام بشعارات تميزه عن غيره، فيقسم ألا يقرب النساء ولا يمس الطيب، ولا يجلس للخمر، ولا يقول الشعر حتى يأخذ بثأره أو يموت دون هذا الأمر، فعندئذ يحل له العرف ذلك، وخير شاهد على ذلك قول الشاعر:

الـيـوم حـلَّ لـي الـشـراب ومـا كـان الـشـراب يـحـلُّ لـي قـبـلُ

وحلَّ لي التدهين والخمر بعدما[3] شفيت غليلي من ثويد المرائد[4]

وفي بعض الأحيان تجنح القبائل المتحاربة للصلح عن طريق الدية، وفي الوقت نفسه يقترح رأي يبعد عن القبيلة وصمة العار، وهو أن يطلق أحد أفرادها سهماً نحو السماء فإذا رجع مضرجاً بالدماء، فحينئذ يحل لهم الأخذ بالثأر، وإن عاد كما صعد فإنهم يقبلون الدية[5]، وبطبيعة الحال فإن السهم لا يعود إلا نظيفاً كما أُطلق وعندئذ يرضون بالدية. فإقبالهم على هذه الطريقة، ما هو إلا تبرير لموقف الصلح الذي يعد في نظر القبائل عاراً ومسبة إلى الأبد.

وقد جرى العرف القبلي على أن دية الصريح مائة ناقة، وأن دية الحليف والهجين نصف دية الصريح[6].

* * *

(1) حسين بن محمد الأصفهاني: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج 3، (بيروت: مكتبة الحياة، 1961)، ص 172، أبو عبيدة بن سلام: **كتاب الأموال**، حققه محمد خليل هراس، (القاهرة: دار الفكر، 1975)، 241.

(2) المرزوقي: **شرح ديوان الحماسة**، ج 1، ص 213.

(3) التدهين: هو دهن الشعر بالزيت والطيب، انظر: جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 4، ط 1، (بيروت ـ بغداد: دار العلم للملايين ـ مكتبة النهضة، 1970)، ص 612.

(4) الأصفهاني: **محاضرات الأدباء**، ص 173.

(5) جمع وتحقيق لايل: **ديوان الهذليين**: ج 2، (القاهرة: دار القومية، 1965)، ص 31.

(6) القالي: **الأمالي**، ج 1، ص 72.

2 ـ طبقة الموالي:

تأتي هذه الطبقة في المرتبة الثانية في سلم طبقات المجتمع الجاهلي، وهي تضم كل منتمٍ إلى القبيلة عن طريق الحلف والجوار والنسب، وتشمل أيضاً هذه الطبقة العتقاء الذين أنعم عليهم سادتهم بنعمة العتق والحرية.

أما موالي الحلف والجوار والنسب فقد ذكرهم الشاعر في بيت واحد:

نبئت حياً على نعمان أفردهم   مولى اليمين ومولى الدار والنسب

فمولى اليمين هو الحليف، ومولى الدار هو الجار، ومولى النسب هو القريب والصهر[1].

أ ـ موالي الحلف:

«الحلف هو العهد أو المعاهدة، والأصل في الحلف أن يكون بين قبائل أو عشائر كانت مرتبطة فيما بينها برباط تتفاوت وثاقته»[2].

«وأصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق»[3].

ويهدف الحلف إلى تحقيق التناصر والتعاون بين الناس، فالحلف إذن ضرورة من ضرورات الحياة في العصر الجاهلي، يلجأ العربي إلى عقده حمايةً لنفسه أو لقبيلته، ويورد البكري أهم الأسباب التي دعت العرب إلى الحلف في العبارات التالية:

> «فلما رأت القبائل ما وقع بينهم من الاختلاف والفرقة وتنافس الناس في الماء والكلأ والتماسهم المعاش واستضعاف القوي الضعيف وانضم الذليل منهم إلى

---

(1) علي الحسن بن رشيق: **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، ط 1، (القاهرة: مكتبة ابن هندية، 1925)، ص 159.

(2) اوندنك: «حلف» **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، ج 8، ص 2 (القاهرة: مؤسسة الشعب، 1969)، ص 49.

(3) ابن منظور: **اللسان**، ج 9، ص 53 (مادة حلف).

العزيز، وحالف القليل منهم الكثير...»[1].

ويرى الجاحظ أن أصل الحلف والتحالف من الأيمان[2] ولعل رأية مستند على العبارات التي كانو يرددونها عند التحالف:

«الدم الدم، الهدم الهدم، لا يزيد طلوع الشمس إلا شداً، وطول الليالي إلا مداً ما بل بحر صوفه...»[3].

فإذا انضم الفرد إلى غير قبيلته بالحلف فإنه ينتسب إليها، فيقال فلان حليف بني فلان أو مولاهم[4].

فالحلف يجمع بين القبائل ولو تباعدت أنسابها من القحطانية والعدنانية، وقد يحدث بين العرب وغيرهم مثل محالفة اليهود للأوس والخزرج في المدينة[5].

وكان الحلف يعقد في أسواق العرب المشهورة آنذاك كعكاظ في مكة والذنائب باليمن[6] وذي المجاز[7]، وتبرم هذه الأحلاف غالباً في الأشهر

---

(1) عبد الله عبد العزيز البكري: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، ج 1، ط 1، القاهرة: لجنة التأليف، 1945)، ص 53.

(2) عمرو بن بحر الجاحظ: **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ج 4، ط 1، (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1940)، ص 471.

(3) **المصدر السابق**، ج 4، ص 470.

(4) أحمد بن علي القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق علي الخاقاني، (بغداد النجاح، 1958)، ص 22.
انظر: عبد الرحمن بن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، (بيروت: دار الجيل، د. ت) ص 144، (فصل اختلاط الأنساب كيف يقع).

(5) علي: **المفصل**، ج 4، ص 368؛ جريجي زيدان: **التمدن الإسلامي**، ج 4، (القاهرة: دار الهلال، د.ت) ص 23.

(6) تحالفت ربيعة وكندة في سوق الذنائب باليمن. انظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، ج 1، (بيروت: دار صادر، 1960) ص 247.

(7) انظر: أبو زكريا التبريزي: **شرح المعلقات العشر**، (بيروت: دار الثقافة، 1969)، ص 32.

الحرم، أما في مكة فيعقد الحلف في دار الندوة، أو في بيت أحد سادتهم مثل عقد حلف الفضول في بيت عبد الله بن جدعان التيمي[1]، أما القبائل المجاورة للكعبة فالحلف يعقد حولها[2].

ومن المرجح بأن عقد العرب للأحلاف في الأسواق المشهورة وفي الأشهر الحرم أو حول الكعبة، هو إثراء صفة القداسة والشرعية عليها لما في هذه الأماكن والأشهر من أثر طيب في نفوسهم.

ويبدو أن الذي يعقد الحلف في بعض الأحيان شخصية محايدة وذات رأي سديد ولها المنزلة الرفيعة مثل شخصية عبد الله بن جدعان التيمي كما سبق الإشارة إليه في عقده لحلف الفضول في بيته.

ويظهر أن لعقد الأحلاف مراسم خاصة تقدم فيها مختلف الأطعمة لتوثيق أواصر الولاء والتعاون بين الجماعات المختلفة ببعضها مع بعض، ويكون بمثابة عهد وميثاق، فيغمس المتحالفون أيديهم في جفنة تحوي دماً أو ماءً أو رُباً أو ملحاً أو رماداً أو طيباً، أو يوقدون ناراً ويمحشونها عند عقد الحلف مثل حلف المحاش، وغالباً ما يستمد العرب بهذه الطقوس أسماء حلفهم مثل حلف لعقة الدم الذي تعاقد فيه بنو عبد الدار وبنو عدي بن كعب على الموت حيث أدخلوا أيديهم في الدم الذي في الجفنة فسموا لعقة الدم، وكذلك حلف الرباب حيث أدخل المتحالفون أيديهم في الرب أو أكلوا منه، وتحالفوا عليه وهم تيم وعدي وعكل ومزينة وضبة، وأيضاً حلف المطيبين الذي عقد بين بطون قريش عندما اختلف بنو عبد مناف وبنو عبد الدار في أمور الحجابة وانتزاعها من أيدي آل عبد الدار فكانت طائفة مع بني عبد الدار وطائفة مع بني عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزي، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر أيديهم في الطيب فسموا المطيبين[3] أو يستمد اسم الحلف من أسماء الأشخاص المتحالفة مثل

---

(1) محمد بن عبد الواحد بن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج 1، (بيروت: دار صادر، 1965)، ص267.

(2) انظر: ابن هشام: **السيرة**، ج1، ص 141.

(3) الجاحظ: **الحيوان**، ج 4، ص 272؛ أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، حققه محمد حميد الله، ج 1، (القاهرة: دار المعارف، 1959)، ص 56. =

حلف الفضول[1]، وغيره من المسميات.

ومن واجب القبيلة تجاه حليفها حمايته ودفع الأذى والظلم، وتعقل عنه إذا قام بجناية والثأر له إذا قتل أو المطالبة بديته[2].

فالأحلاف آنفة الذكر تتميز بالقدسية، والنصرة، والعهد، والتعاون لما لها من طقوس في غاية الدقة والنظام، لذا يقبل العرب على عقدها، فالقبائل فيها ند لند متساوون في الحقوق والواجبات، حتى أنه في بعض الأحيان يرث الحليف حليفه كقوله عند الحلف «... ترثني وأرثك»[3]، وفي بعض الأوقات يحرص المتحالف على توثيق رباط الحلف بالنسب مثل مصاهرة قريش لمالك بن قشب[4].

ويمكن أن نطلق على مثل هذا النوع من الحلف اسم الأحلاف المتكافئة أو «الشبه دائمة».

وهناك بعض القبائل التي لا ترغب في عقد أحلاف دائمة بل تعقدها للضرورة القصوى ومن أجل مصلحة مشتركة، مثل تحالف قبيلة مذحج وهمدان وكندة للإغارة على بني تميم بعد أن أوقع بهم كسرى في يوم الصفقة[5]، وبانتهاء الحرب ينفرط عقد التحالف الذي بينهم ويمكن أيضاً أن نسمي هذا الحلف بـ «الحلف المؤقت».

= انظر: ابن منظور، **اللسان**، ج 6، ص 157؛ اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 16؛ محمد بن الحسن بن دريد: **الاشتقاق**، (القاهرة: السنة المحمدية، 1958)، ص 180.

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 2، ص 41.

(2) شمس الدين السرخسي: **المبسوط**، ج 27، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1324 هـ)، ص 125.

(3) الجاحظ: الحيوان. ج 2، ص 470.

(4) محمد بن منيع بن سعد: **الطبقات الكبرى**، تحقيق، يوليوس ليرت، ج 4، (طهران: النصر، 1322 هـ) ص 65.

(5) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني: **الأغاني**، ج 15، (بيروت: مؤسسة عز الدين، د. ت)، ص 69.

وهذا ما يفسر لنا موقف بعض القبائل العربية من عدم انصياعها للأحلاف، حيث أطلق عليها العرب الجاهليون بـ «جمرات العرب»[1].

وقد نظر العرب إلى المولى الحليف خاصة إذا كان ضعيفاً على أنه مولى الموالاة، فيقول البغدادي في هذا الصدد: «والرجل إذا كان ذليلاً يوالي قبيلة وينضم إليهم ليعتز بهم، وإذا والى مولى كان أذل ذليل» كقول الشاعر:

لو كان عبد الله مولى هجوته … لكن عبد الله مولى المواليا[2]

* * *

ب ـ موالي الجوار:

يحدث الجوار عادةً عندما يفر الفرد من قومه ويلجأ إلى قبيلة أخرى يطلب منها الحماية والأمن، نتيجة لعمل ارتكبه يستحق من أجله الخلع والطرد من قبيلته، لسوء تصرفه أو خوفه من أن تثأر منه قبيلة كان قد قتل أحد أفرادها.

ويبدو أيضاً أن من يطلب الجوار يكون قد وقع عليه ظلم جائر من عتاة قومه، مثل جوار ابن الدغنة لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وجوار الوليد ابن المغيرة لعثمان ابن مظعون، وجوار أبي طالب لابن أخيه محمد r وحمايته من كفار قريش[3].

إذن يكون الجوار بين شخصين من نفس القبيلة أو من غيرها ويتم بعقد شفهي يذاع بنوده على الرهط في مكان عام كسوق عكاظ أو في دار الندوة مثلاً، وبمجرد إعلان الجوار تتقرر حقوق الإجارة[4].

---

(1) محمد بن حبيب: **المحبر**، تحقيق إيلزة ليختن شيتتر، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د. ت)، ص 234.

(2) محمد عبد القادر بن عمر البغدادي: **خزانة الأدب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 1، ط 1، (القاهرة: دار الكتب، 1967)، ص 236.

(3) انظر: ابن هشام: **السيرة**، ج 2، ص 9، 10، 11.

(4) **المصدر السابق**: ج 2، ص 9، 10.

فقد ذكر الأصفهاني، قول سيد بني شيبان، وهو هانيء بن مسعود، حين أجار النعمان بن المنذر فقال: «قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع منه نفسي وأهلي وولدي ما بقي من عشيرتي إلا دنين رجل»[1].

وكان الجوار أيضاً يتم بالإيجاب والقبول بمجرد دخول البيت والتحرم بالطعام الذي يعد ملزماً لحرمة الجوار، ومن هذا القبيل تحرم عبيد الله بن زياد بطعام مسعود بن عمر والتزام مسعود بإجارته لذلك[2]، ولهذا يكفي أن يدخل رجل في جوار رجل آخر نتيجة اتصال دلوه بدلو غيره في البئر، وهذا ما حدث لفياض بن ديهث عندما علق رشاؤه برشاء الحارث بن ظالم، فلما أغار حشم النعمان بن المنذر على إبل لعياض ابن ديهث استجار بالحارث بن ظالم المري وأخبره أنه وصل رشاؤه برشائه، فقبل جواره واسترجع له إبله[3]، وفي هذا المعنى يشير أبو تمام وهو يخاطب ابن الزيات بقوله:

لي حرمة بك لولا ما رعيت وما	أوجبت من حقها ما خلتها تجب
بلى لقد سلفت في جاهليتهم	للحق ليس لحقي نصرة عجب
أن تعلق الدلو بالدلو الغريبة	أو يلامس الطيب المستحصد الطنب[4]

وقد يتعدى الجوار بالبشر إلى جوار الحيوان والطير، مثل إجارة رجل من بجيلة حداة مرت به، وبسببها وقعت حرب دامية بين بطون بجيلة[5]، ولا عجب في ذلك، فإنه من المعروف عن هذه القبيلة إذا جاورها جار فإنها تحصي ماله وتحافظ عليه، فإذا مات له شاة أو بعير تعوضه عن هذا النقص، حتى يرجع إلى قبيلته موفوراً، فإن مات قبل أن يصل إلى أهله، فإنها ترسله إلى

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 2، ص 29.
(2) عمرو بن بحر الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج 2، تحقيق عبد السلام هارون، ط 3، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980)، ص 63.
(3) ابن حبيب: **المحبر**، ص 194.
(4) إيليا الحاوي: **شرح ديوان أبي تمام**، ط 1، (بيروت: دار الكتاب، 1981)، ص 103، 104.
(5) البكري: **معجم ما استعجم**، ج 1، ص 60.

عشيرته ليدفن بها، وإن قتل فإنها تطالب بدمه، وإن سلب ماله، فإنها تعطيه[1].

وفي كثير من الأحيان تقع الحروب بسبب عصبية الجوار، فالمعارك الضروس التي دارت رحاها بين الأوس والخزرج، كانت عقب مقتل جار لمالك بن العجلان الخزرجي، واستمرت هذه الحروب عشرين عاماً[2]، ونتج عنها القطيعة بين القبيلتين إلى أن جاء الإسلام فألف بين قلوبهم المتحاربة.

ومن حرمة الجوار أيضاً الدفاع عن الجار وحفظ كرامته، فقد وصل بالعربي في مغالاته ووفائه للجوار إلى أن يدفع بأخيه للقتل بواء لجاره، ويذكر المبرد هذه الحادثة بقوله:

«نزل بعمير بن سلمى الحنفي جار من بني كلاب ثم عدا أخو عمير على أخي الكلابي، فقتله فلما قدم عمير أسلم أخاه إلى جاره فقتله بأخيه».

وفخر عمير بصنيعته هذا فأنشد:

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا   وكان أبونا قد تجير مقابره[3]

هكذا كان الوفاء بالجوار، فالشخص الذي يغدر بجاره أو ينقض عهده يكون عرضة للاحتقار والازدراء بين الناس ويلحقه العار والمسبة أينما كان، فيرفع الناس اللواء عليه في الأسواق المشهورة آنذاك، تشهيراً به لخيانته وعدم وفائه وقد عبر عن هذا قطبه بن أوس وهو يخاطب امرأة:

اسمي ويحك هل سمعت بغدرة   رفع اللواء لنا بها في مجمع[4]

لهذا يتفاخر بعض الشعر بولاء الجوار وحفظ الذمام، قال الأصمعي:

---

(1) ابن المثنى: **النقائض**، ج 1، ص 129.
(2) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 2، ص 161.
(3) أبو العباس المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق نخبة من العلماء، ج 1 (القاهرة: مطبعة مصطفى محمد، 1355 هـ) ص 211.
(4) المفضل بن محمد الضبي: **المفضليات**، تحيق عبد السلام هارون، ط 1، (القاهرة: دار المعارف، 1964)، ص 56.

حاورت شيبان فأحلوا لي جوارهم إن الكرام خيار الناس للجار[1]

ولما كان يتم إعلان الجوار علنا كذلك يحق للمجير والمجار أن يرد الجوار أو يتبرأ منه علناً أمام القوم مثل رد جوار عثمان بن مظعون لابن الوليد بن المغيرة، حين انطلق إلى المسجد ورد عليه جواره علناً وأمام الملأ[2].

وقد يطلب المجير رد الجوار من جاره إذا رأى أن الجوار يضر بمصلحته مثل طلب ابن الدغنة من أبي بكر رد الجوار، في كلمة قال فيها:

«يا أبا بكر أني لم أجرك لتؤذي قومك، فقال له: ارد عليك جوارك وأرضى بجوار اللّه؟ فاردد علي جواري، قال: قد رددته عليك، فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم بصاحبكم..»[3].

فبرد الجوار يصبح المجير بريئاً من أي عمل يقوم به الشخص الذي كان في جواره، فلا يتحمل جريرته أو العقل عنه.

* * *

جـ - مولى القرابة (مولى الرحم - مولى النسب):

موالي القرابة يحتلون مكانة أعظم من سواهم من الموالي في المجتمع الجاهلي لأنهم من أبناء العموم والخؤولة وتجمعهم رابطة الدم بعضهم مع بعض، ولهذا تغنى بهم الشعراء، فقال علقمة التميمي في أقاربه:

فلا يعدم البانون بيتاً يكنهم ولا يعدم الميراث مني المواليا[4]

---

(1) يوسف بن عبد الله القرطبي: **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تحقيق محمد موسى الخولي (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1962)، ص 290.

(2) ابن هشام: **السيرة**، ج 2، ص 9.

(3) **المصدر السابق**، ج 2، ص 13.

(4) ابن قتيبة: الشعر، ج 1، ص 147.

وكذلك قول شاعر جاهلي:

فأخ لحال السلم من شئت واعلمن   بأن سوى مولاك في الحرب أجنب[1]

وقد جمع الحصين بن الحمام بين مولى الولادة أو الرحم، أبناء العمومة - مولى اليمين «الحليف» في قوله:

موالي مواليـنا، الـولادة فيـهـم   ومولى اليمين حابساً متقسماً[2]

ففي هذا البيت يوضح مكانة موالي الرحم فهم أولى بسواهم من الموالي ويرى جرجي زيدان أن هذا النوع من الولاء يُكتسب بالزواج من موالي بعض القبائل فينسب المولى ألى القبيلة التي تزوج من مواليها، وضرب أمثلة على ذلك مثل: «سديف الشاعر، فقد كان مولى خزاعة، ثم ادعى ولاء بني هاشم لأنه تزوج مولاة لأبي لهب»[3].

* * *

د - موالي العتاقة:

هم في الأصل أسرى حرب أو رقيق مَنَّ عليهم ساداتهم بالعتق نضير صنيع ما من قبلهم، فأصبحوا عندئذ موالي عتاقة فهم أقل منزلة من الموالي سابقي الذكر، وأعلى درجة من الرقيق أو العبيد.

ونوع العتق في الجاهلية هو السائبة، والمكاتبة، والتدبير.

فعتق السائبة: هو عتق السيد لعبده، فلا يكون بينهما ولاء ولا عقل ولا ميراث[4]، فلما جاء الإسلام ألغى هذا النوع من الولاء.

وعتق المكاتبة: هو اتفاق يقع بين العبد وسيده، بأن يكتب العبد على

---

(1) أبو حامد هبة الله بن محمد بن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ط 1، (القاهرة: دار أحياء الكتب العربية، 1959)، ص 326.

(2) الضبي: **المفضليات**، ص 65.

(3) زيدان، **تاريخ التمدن**، ج 4، ص 32.

(4) الزبيدي: تاج العروس، ج 3، ص 86.

نفسه صكاً بثمن، فإذا أداه فإنه يصبح حراً ويعرف بمولى مكاتبة[1].

أما عتق التدبير: وهو أن تعليق المالك عتق مملوكه على شرط، وهو كأن يقول له: أنت حر بعد موتي، فلا يرثه أهله[2].

وذاك عتق يتم إذا قام العبد بعمل خارق يستحق من أجله العتق والحرية.

* * *

3 ـ طبقة العبيد أو الرقيق:

طبقة العبيد من أدنى مستويات المجتمع الجاهلي لما يحمل في معنى لفظ العبد أو الرقيق من العبودية والتي تعني الخضوع والذل، ولهذا نهى الإسلام عن استعمال لفظة عبد أو رقيق أو أمة، فجاء في الحديث النبوي الشريف: «لا يقل أحدكم لمملوكه عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي»[3].

ومصدر هذه الطبقة السحيقة هو الأسر في الحروب والغزوات أو عن طريق الشراء والخطف والسبي.

ولهذا كان الرقيق خليطاً من العرب والأمم المجاورة للجزيرة العربية كالحبشة والسودان وفارس والروم[4].

فالرقيق العربي جاء نتاج سبي النساء واسترقاق الرجال عقب شن الغارات والحروب على بعض القبائل العربية الضعيفة، فقد ذكر عن سميفع بن ناكور الكلاعي أنه يمتلك أربعة آلاف عبد وأمة من العرب[5].

---

(1) ابن منظور: **اللسان**، ج 1، ص 700، (مادة كتب).
(2) ابن منظور: **اللسان**، ج 4، ص 273، (مادة دبر).
(3) محمد بن أبي بكر الرازي: **مختار الصحاح**، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د.ت)، ص 408، ابن منظور: **اللسان**، ج 3، ص 271.
(4) كلوس كريزر، وآخرون: **معجم العالم الإسلامي**، (ترجمة ج. كتورة)، ط 1، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1991)، ص 307؛ انظر: أحمد إبراهيم الشريف: **مكة والمدينة**، ط 1 (القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت) ص 31.
(5) المثنى: **النقائض**، ج 1، ص 46.

وعندما تسبى العربية الحرة تصبح أمة مملوكة في يد من سباها، ويحق له التصرف فيها كأن يبيعها أو يتسرى بها، وعندئذ يلحق العار بقبيلتها وحتى لو تزوجها سيدها وأعتقها، فإنها دائماً في نظر الجميع سبية ذليلة وهذا ما حدث فعلاً لسلمى الكنانية عندما سباها عروة بن الورد وتزوجها[1]، وهذا يفسر لنا شيوع وأد البنات عند العرب القدامى ولا سيما بعض القبائل الضعيفة التي لا تستطيع حماية نفسها من الغارات المفاجئة فإذا كان العبد أسير حرب، ومن سادات قومه، جزوا ناصيته وجعلوها في كنانتهم حتى يفتدي نفسه، أو يمنوا عليه بالعتق إذلالاً له، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها[2]

أما العبيد الذين من خارج الجزيرة العربية فإنهم جاءوا إلى بلاد العرب عن طريق الخطف والشراء نتيجة لتبادل السلع التجارية، فعد الرقيق ضمن هذه السلع، حيث كان للعرب علاقات تجارية مع بلاد فارس والحبشة واليمن والعراق، فكان لهاشم متجرة إلى الشام، وعبد شمس متجرة إلى الحبشة والمطلب كانت متجرة إلى اليمن ولنوفل متجرة إلى العراق[3].

وكان للعبيد والأرقاء أسواق للنخاسة يباعون في الجزيرة العربية، ومن أشهر النخاسين في مكة عبد الله بن جدعان التيمي[4]، ويرى السيد عبد العزيز سالم: «أن العبيد كانوا يؤلفون طبقة كبيرة في المجتمع القبلي في الجاهلية»[5].

ونحن نؤيد رأيه لأن مفهوم العرب لهؤلاء العبيد لم يقتصر على الرقيق المجلوبين عن طريق الشراء والأسر والخطف فحسب، بل أصبحت العبودية ورثاً يرثه الأبناء عن أمهاتهم وأبائهم بل يعد أبناء الإماء عبيداً رغم أن آباءهم سادة أو

(1) انظر: الأصفهاني: **الأغاني**، ج 2، ص 185.
(2) ابن هشام: **السيرة**، ج 3، ص 139.
(3) ابن حبيب: **المحبر**، ص 16، 163.
(4) البلاذري: **أنساب**، ج 1، ص 469.
(5) السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د. ت)، ص 384.

رؤساء قبائل، وكتب الأدب والتاريخ حافلةٌ بالعديد من الأمثلة على ذلك.

وكان أبناء الإماء البيض من أباء عرب يعرفون بالهجناء[1]، أما أبناء الإماء السود فهم أشد عرضة للاحتقار والإزدراء، وقد أطلق على من اشتهر بالشعر منهم لقب أغربة العرب أمثال عنترة بن شداد العبسي، والسليك ابن السلكة، وخفاف بن ندبة[2].

وكثر العبيد عن طريق الميراث والتهادي، كما كانوا يخرجون في جملة صداق العرائس، وممن أخرج في الصداق بشار بن برد وأمه، حيث سيقا إلى عروس من بني عقيل[3].

وكان العبيد يعاملون معاملة سيئة من قبل ساداتهم حيث يعذبونهم أو يشوهونهم أذا لم ينفذوا أوامرهم أو خرجوا عن طاعتهم، وخير شاهد على هذا القول تعذيب العبيد الذين دخلوا الإسلام أمثال بلال بن رباح وآل ياسر وغيرهم كثيرون[4].

وكان العرب الجاهليون يحملون عبيدهم أثقل الأعمال والأعباء، ويصف لنا الحديث الشريف وضعية الرقيق قبل الإسلام محذراً المسلمين من ارتكاب أعمال الجاهلية السيئة في حقهم، فيقول المصطفى - أفضل الصلاة والسلام عليه -: «لا تحملوا العبيد ما لا يطيقون، وأعطوهم مما تأكلون»[5]. ويقول ﷺ في خطبته

---

(1) انظر: الرازي: **مختار الصحاح**، ص 691، (مادة هجين)، انظر: أبو العباس المبرد، **الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف**، ج 2، تحقيق زكي مبارك، ط 1، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1937)، ص 467.

(2) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 7، ص 142، 143.

(3) **المصدر السابق**، ج 3، ص 20، (ترجمة بشار بن برد)، ابن واصل الحموي، **تجريد الأغاني**، ج 1، تحقيق طه حسين وإبراهيم الأبياري (القاهرة: مطبعة مصر، 1955)، ص 373، زيدان: **تاريخ التمدن**، ج 4، ص 27.

(4) أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير: **أسد الغابة**، ج 1، (طهران: المكتبة الإسلامية، 1342 هـ)، ص 207.

(5) محمد بن إسماعيل البخاري: **صحيح**، ج 3 (حيدر أباد، دائرة المعارف العثمانية، 1360 هـ)، ص 195.

عند فتح مكة: «من قتل عبده قتلناه، ومن جدعه جدعناه، ومن أخصاه أخصيناه»[1].

هكذا كانت معاملة العرب للعبيد، فقد أطلقوا عليهم لقب المستضعفين ولعلهم عرفوا بهذا اللقب إبان الدعوة الإسلامية من قبل كفار قريش، حيث يذكر بعض المؤرخين أن: «المستضعفين قوم لا عشائر لهم بمكة، وليست لهم منعة ولا قوة، وكانت قريش تعذبهم في الرمضاء وأنصاف النهار ليرجعوا عن دينهم»[2].

ومن أهم الأعمال المناطة بهم الرعي والزراعة والخدمة في البيوت[3]، وفي حراسة القوافل التجارية وفي الحرب[4] وفي الصناعة مثل الحدادة والبناء وصناعة السيوف، والحجامة[5]، وتعد هذه المهن من أحط الأعمال لدى العرب الصرحاء، فإنها لا تليق إلا بهؤلاء العبيد والأعاجم لذلك نرى العرب يعيرون من يتزوج من ابنة صائغ أو حداد أو نجار لأنها من المهن الوضيعة الخاصة بالعبيد وفقراء العرب.

فقد عُير النعمان بن المنذر آخر ملوك الحيرة في أمه سلمى، من قبل أعدائه حيث قيل إنها ابنة قين أو صائغ يهودي[6].

ولعل العبد الذي يكون في محل ثقة سيده يعمل في التجارة ويؤدي الضرائب وهذا ما عبر عنه أحد الموالي فيما بعد حيث قال:

«كنا عبيدا مملوكين منا من يؤدي الضرائب ومنا من يخدم أهله»[7].

---

(1) **المصدر السابق**: ج 3، ص 196.
(2) البلاذري: **أنساب**، ج 1، ص 156، اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 27.
(3) انظر: كريزر: **معجم العالم الإسلامي**، ص 307.
(4) انظر: الأصفهاني: **الأغاني**، ج15، ص28.
(5) ابن سعد: **الطبقات**، ج 2، ص 21، 35، المبرد: **الكامل**، ج 3، ص 25.
(6) علي: **المفصل**، ج 4، ص 370، أبو الفداء، **المختصر**، ج 1، ص 89.
(7) هبة الله بن عبد الله بن عساكر: **تهذيب ابن عساكر**، ج 3، تحقيق عبد القادر بدران (دمشق، روضة الشام، 1330 هـ)، 320.

ويرى جمال جودة بأن قسماً من هؤلاء العبيد الذين امتهنوا التجارة والحرف اليدوية بأنهم ينعمون بجو من الحرية[1]، ونحن نتفق مع رأيه أن العبيد يجدون في مثل هذه الأعمال نوعاً من المتعة، ومن ثم الخبرة في الصناعة بعكس أولئك العبيد الذين يعملون في خدمة البيوت أو أعمال السخرة التي لا يجدون فيها إلا التكرار الذي يكسب الملل.

وحالة العبيد الاجتماعية كانت سيئة للغاية فلم يكن للعبد أو للأمة أن يتزوجا إلا بإذن سيدهما، فإذا وافق يتم الزواج وإذا رفض وتشدد فإن العبيد أو الإماء يلجأون للبغاء وقد أمدنا القرآن الكريم بهذه المعلومات فجاء فيها:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[2].

كما كان لا يقتص للعبد إذا قتل، لأنه دون المنزلة والمكانة الرفيعة فوضح الله عز وجل ذلك في محكم آياته:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾[3].

هكذا كانت حياة هؤلاء العبيد مليئة بالمرارة والعذاب، فإذا عنّ عليهم ساداتهم أعتقوهم نضير عمل خارق يستحق العبد من أجله العتق والحرية ـ كما سبق الإشارة إليه عند الحديث عن موالي العتق ـ مثل عتق عنترة بن شداد

---

(1) جمال جودة: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي** (عمان: دار النشر، 1989)، ص 50.

(2) سورة النور، الآيتان 31 ـ 32.

(3) سورة البقرة، الآية 178.

العبسي الذي طالما طلب من أبيه أن يعترف بأبوته وأن يعتقه، ولكنه رفض وعندما أغارت بعض القبائل على قبيلته، أمره أبوه أن يحارب فرفض عنترة، وقال: «إن العبد لا يحسن الكر، وإنما يحسن الحلاب والصر، فقال له: كُر وأنت حر»[1].

وبعد أن رد عنترة عدوان المغيرة على قومه، عتقه والده واعترف به نتيجة لفروسيته وشجاعته الخارقة.

وأيضاً قصة عتق هند بن عتبة لعبدها وحشي بن حرب الحبشي عندما قام بقتل حمزة بن عبد المطلب[2].

ويبدو مما سبق أن النظام القبلي هو المسيطر في حياة العرب في العصر الجاهلي ولا سيما في البدو، فهو أشبه ما يكون نظام دولة مستقلة في مفهومنا الحاضر لها نظمها وعاداتها وعلاقاتها الدبلوماسية المتمثلة في الحلف والجوار، ومن الواضح أن كيان هذا النظام هو الهرم الطبقي الذي أوجد فوارق جسيمة بين الناس بحكم انتمائهم للقبيلة، مما أدى إلى ظهور العصبية والتي أثرت بدون شك في حياة العرب في الجاهلية والإسلام فيما بعد، وبسببها كثرت الفتن والثورات، ولا سيما في فترة الخلافة الأموية.

وسنقف في هذا الفصل وقفة قصيرة للتعرف على العصبية القبلية وأثرها في هذا المجتمع لإيضاح مدى ارتباطها بالنظام الطبقي.

* * *

---

(1) ابن قتيبة: **الشعر**، ج 1، ص 171، 172، الأصفهاني: **الأغاني**، ج 7، ص 142.
(2) تقي الدين المقريزي: **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، تحقيق حسني مؤنس، (القاهرة: دار المعارف، 1984)، ص 49.

العصبية القبلية وأثرها في المجتمع الجاهلي

تعريف العصبية:

«العصبية في اللغة: الطي الشديد، وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به... ويقال: عصب القوم بالرجل عصباً: أي أحاطوا به لقتال أو لحماية، وعصب القوم بنسبهم أحاطوا به، وعصبة الرجل بنوه الأقربون».

والعصبية أيضاً: «أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على أن يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين»[1].

كقول الشاعر:

أولئك آبائي، وهم لي ناصر وهم لك إن صانعت ذا معقل[2]

ويفسر العلامة ابن خلدون قيام العصبية على وحدة الدم فيقول:

«إن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه عضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول

---

(1) ابن منظور: اللسان، ج 1، ص 602، (مادة عصب).
(2) المصدر السابق، ج 5، ص 210 (مادة نصر).

بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر..»[1].

وتشمل العصبية الصرحاء أبناء القبيلة الخلص، والموالي والجيران[2].

ومن مظاهرها، النعرة: وهي الصياح ومناداة القوم بشعارهم طلباً للغوث والنجدة، وبتحمل التبعية وتلبية النداء:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات على ما قال برهانا[3]

فالعربي شديد التمسك بعصبيته التي هي رمز قوته ونصرته والتي بها يمنح حقوق المواطنة وهو بدونها طريداً شريداً، كقول دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غزية أن نموت   غويت وأن ترشد غزية أرشد[4]

ومن عصبية الفرد لنسبه انتمائه لعشريته والافتخار بها والانتصار لها ظالمة كانت أم مظلومة، وإذا وقع عليها عدوان أن يثأر من المعتدي حتى ولو عادى أقاربه مثل كراهية الهجرس بن كليب لخاله جساس وقتله ثأرا بأبيه، على الرغم من أنه نشأ في كنف خاله الذي زوجه من ابنته، وكان له بمثابة الأب العطوف[5]، ولم يتردد لبيد بن ربيعة في الانحياز إلى قومِ أبيه بني جعفر وهجاء خاله الربيع بن زياد، وتحريض المنذر عليه[6].

ويروى أيضاً أن رجلاً من الأزد كان يطوف بالبيت الحرام ويدعو لأبيه، فقيل له: «ألا تدعو لأمك فقال: إنها تميمية»[7].

فالعصبية هنا واضحة سواء في الحرب أو السلم أو في الشعر فانحياز لبيد

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 141، 142.
(2) علي: المفصل، ج 4، ص 395.
(3) المرزوقي: ديوان الحماسة، ج 1، ص 29.
(4) المصدر السابق، ج 1، ص 30.
(5) الأصفهاني: الأغاني، ج 15، ص 61.
(6) المصدر السابق ج3 ص159.
(7) المبرد: الكامل، ج 1، ص 198.

بن ربيعة إلى قوم أبيه، ودعاء الإزدي لأبيه خير مثال على ذلك.

كما أن احتدام العصبية في بعض الأحيان تتجاوز الرابطة الزوجية فيتم الانفصال إثر هذه العصبية ولأبسط الأسباب، فقد طلق حسان بن ثابت زوجته عمره الأوسية حين فخرت عليه بقومها[1].

وعندما تلاحظ الزوجة أن هناك خطراً يحدق بقبيلتها فإنها تنبه قومها، وتحذرهم من مغبة الخطر الداهم عليهم، دون أن يدركها أحد، وهذا ما قامت به سلمى النجارية عندما أراد زوجها أحيحة بن الحلاج سيد الأوس الإيقاع ببني النجار من الخزرج[2].

ومن مظاهر هذه العصبية أنها تتغاضى عن الفوارق الدينية أو الاجتماعية في بعض الأحيان ما دام الفرد ينتمي إلى عشيرته من صليبها، فقد وقف بنو هاشم في صف الرسول ﷺ ضد بقية بطون قريش عندما قاطعوهم ونابذوهم بسبب الدعوة الإسلامية.. في شعاب مكة ولمدة ثلاث سنوات[3].

وكان عم النبي ﷺ أبو طالب يحمي ابن أخيه محمداً من كفار قريش - على الرغم من أنه على اختلاف مع دين محمد ﷺ عندما جاءوا إليه يستشيرونه في أن يعطيهم ابن أخيه يقتلونه مقابل رجل آخر يتبناه، فكان رد أبي طالب:

ولا يركبن الدهر منك ظلامة وأنت أمرؤ من خير عبد مناف
وإن له قربى إليكم وسيلة وليس بذي حلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم في صميمها إلى بحر فوق البحور طواف[4]

وبعد وفاة أبي طالب نهضت عصبية الرحم والنسب في قلب أبي لهب عم النبي ﷺ والذي كان أشد كفراً وعداء للنبي ﷺ من كفار قريش، وحينما رأى أن الضرر سيلحق بابن أخيه من كفار قريش فقال للرسول ﷺ:

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 14، ص 91.
(2) **المصدر السابق**، ج 13، ص 119.
(3) انظر: ابن هشام، **السيرة**، ج 2، ص 14، وما يليها.
(4) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 15.

«يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا ـ إذا كان أبو طالب ـ فاصنعه. . لا واللات لن يصلوا إليك حتى أموت» ولما سب ابن الغيطلة النبي ﷺ أقبل عليه أبو لهب ونال منه، فولى هارباً وهو يصيح: «يا معشر قريش، صبأ أبو عتبة، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب، فقال ما فارقت دين عبد المطلب، ولكني أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد، قالوا: قد أحسنت وأجملت وصلت الرحم»[1].

فعصبية العشيرة وذوي الرحم إذاً من أقوى الروابط الإنسانية منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا.

وتأتي في المرتبة الثانية من عصبية القبيلة والعشيرة عصبية الجوار والحلف، وقد أوضحنا ذلك من خلال عرضنا لولاء الجوار والحلف. هكذا كانت عصبية الفرد لذويه في المجتمع العربي قبيل الإسلام فوق أي اعتبار لأنها تمثل كيانه السياسي والإجتماعي والإقتصادي، «على أن هذه العصبية لم تكن واسعة الحدود بحيث تشمل فكرة الأمة والجنس العربي، بل كانت في الغالب ضيقة الحدود لا تكاد تتجاوز حدود البطن، أو القبيلة في مفهومها الضيق ولذلك نجد كثيراً من بطون القبيلة الواحدة في صراع وقتال، على الرغم من شعورها بوحدة نسبها، فكانت العصبية للرهط أو البطن تطغى على العصبية الجامعة للقبيلة»[2].

ولما جاء الإسلام قوض من العصبية العرقية، وحاول صرف نظر العرب إلى رابطة الإسلام والدفاع عن الدين الجديد فقال تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[3].

---

(1) ابن سعد: **الطبقات**، ج 1، ق 2، ص 141.
(2) يحيى الجبوري: **الشعر الجاهلي**، ط 6 (بنغازي: جامعة قاريونس، 1993)، ص 31.
(3) سورة الفتح، الآية 26.

وقوله أفضل الصلاة والسلام عليه، «من قتل تحت راية عميه، يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتلته الجاهلية»[1].

ولكن لم يكن من اليسير أن يقتلع هذا الدين من نفوس العرب بين عشية وضحاها جذور العصبية والفوارق الطبقية على الرغم من توضيح مساوىء هذه النعرة في مواضع عدة في الكتاب والسنة، وهذا ما سنلاحظه في معاملة العرب للمسلمين غير العرب (الموالي) في العصر الأموي من خلال دراستنا لهذه الطبقة.

(1) محمد بن يزيد بن ماجه: كتاب السنن، ج 2 (القاهرة: المطبعة العلمية، 1313 هـ)، ص 241.

الفصل الثاني

الموالي في صدر الإسلام

أ ـ تعريف مصطلح المولى:

1 ـ في اللغة.

2 ـ في القرآن والسنة.

ب ـ أنواع الولاء في الإسلام:

1 ـ ولاء العتاقة.

2 ـ ولاء الموالاة.

ـ مفهوم الولاء للعناصر غير العربية.

جـ ـ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام.

تعريف مصطلح المولى

أولاً: في اللغة:

للفظ المولى عدة أوجه ومعانٍ في اللغة، فمنها الولي التي تعني القرب والدنو في المكان والنسب، ويقال تباعدنا بعد ولي ومنه وليه.. وكل ما يليك أي ما يقاربك ودار وليه: أي قريبه.

يقول أبو عبيدة:

وشط ولى النوى إن النوى قذف تياحه غربة بالدار أحياناً[1]

والولي: الوصي، والذي يلي الأمر فتطلق على ولي اليتيم، وولي المرأة: الذي يلي عقد النكاح عليها[2]، ومنها أيضاً الوليّة: وهي ما تخبؤه المرأة من زاد لضيف ينزل[3].

وولي الشيء: ولى عليه ولاية، وهي الإمارة والخطة، والولاية بالكسر: السلطان[4]؛ ويأتي أيضاً بمعنى ارتواء الأرض فيقال: المطر وليت الأرض[5]، ويأتي لفظ الولاء بمعنى المتابعة، فيقال: والى بين الأمرين موالاةً، وتوالى عليه الشهران أي تتابعا[6].

---

(1) الزبيدي: تاج العروس، ج 10، ص 398.
(2) ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 407.
(3) المصدر السابق، ص 415.
(4) الزبيدي: تاج العروس، ج 10، ص 399، ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 407.
(5) الزبيدي: تاج العروس، ج 10، ص 398.
(6) المصدر السابق، ص 399، ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 413.

وأحياناً يطلق على التمييز والعزل مثل قول: والى غنمه موالاة أي عزل بعضها عن بعض وميّزها؛ فقال الأزهري: سمعت العرب تقول: والى حواشي نعمكم عن جلتها أي اعزلوا صغارها عن كبارها[1].

وتأتي بمعنى الرب كقول جرير:

رَغِبتُ إلى ذي العرش مولى مُحَمّدٍ ليجمع شَعْباً أو يقرب نائبا[2]

وولى تأتي بمعنى أدبر وهرب وأعرض، أي تولى عنه كقول الشاعر:

إذا ما امرؤ ولى عليّ بوده وأدبر لم يصدر بإدباره ودّي[3]

ولفظ أولى يأتي أيضاً بمعنى التهديد والوعيد مثل قول الشاعر:

فأولى ثم أَوْلى ثم أَوْلى! وهل للدِّرِ يحلب من مرد؟[4]

والمولى: ابن العم والصبات كقول الشاعر:

مهلاً بنو عمنا مهلاً موالينا امشوا رويداً كما كنتم تكونونا[5]

وقول ابن الأعرابي المولى هو: الحليف والجار، وقد جمع شاعر جاهلي أنواع الموالى قبل الإسلام في بيتٍ واحد فقال:

نبئت حياً على نعمان أفردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب[6]

وقول الجعدي:

مالي حلف لا موالي قرابة لكن قطينا يسألون الأتاوريا[7]

ويتمثل مولى الجار في قول مربع بن وعوعة الكلابي الذي جاور كليب بن يربوع فأحمد جوارهم:

---

(1) ابن منظور: **اللسان**، ج 15، ص 415، الزبيدي: **تاج العروس**، ج 10، ص 399.
(2) المثنى: **النقائض**، ص 161.
(3) ابن منظور: **اللسان**، ج 15، ص 414.
(4) **المصدر السابق**: ج 15، ص 412.
(5) **المصدر السابق**: ج 15، ص 408؛ الزبيدي: **تاج العروس**، ج 10، ص 395.
(6) ابن رشيق: **العمدة**، ص 159.
(7) ابن منظور: **اللسان**، ج 15، ص 409.

جزى الله خيراً والجزاء بكفه كليب بن يربوع وزادهم حمدا
همو خلطونا بالنفوس والجمو إلى نصر مولاهم مسومة جردا[1]

المولى: الصهر كقول الشاعر في صهر بني بدر:

لا يفتلن النافعان كلاهما وذاك الذي بالسوق مولى بني بدر[2]

والمولى: المحب والنصير ويتمثل في بيت الشعر الآتي:

وأشجع إن لاقيتموهم فإنهم لذبيان مولى في الحروب وناصرُ[3]

والمولى: العتيق ويسمى مولى الموالي فقال الفرزدق:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا[4]

ويطلق المولى على الابن، والعم، والنزيل، والشريك، وابن الأخت، والرّب[5].

ويتضح من خلال ما عرض أن لفظ المولى في اللغة يطلق على الشيء وضده، وهو ما يسمى في اللغة بـ (الأضداد) وهي ظاهرة لاحظ اللغويون وجودها في اللغات وعدّوها نوعاً من المشترك اللفظي[6].

ثانياً: في القرآن والسنة:

ورد في القرآن الكريم والسنة العطرة عدة معانٍ للمولى منها النصرة والمحبة والقرب والرب والمالك، والسيد والصديق والقريب والوصي والوكيل والناصح والمشرك، ومن يقوم بخدمة العاجز، والتهديد والوعيد، والتمكين

---

(1) محمد بن القاسم الأنباري: **الأضداد في اللغة**، تحقيق محمد عبد القادر سعيد (القاهرة: المطبعة الحسينية، د.ت)، ص 40.
(2) المصدر السابق، ص 41.
(3) عبد الواحد بن علي الحلبي: **الأضداد في كلام العرب**، ج 2، تحقيق عزة حسن (دمشق: المجمع العالمي العربي، 1963)، ص 665.
(4) البغدادي: **خزانة الأدب**، ج 1، ص 236.
(5) انظر: ابن منظور: **اللسان**، ج 15، ص 409.
(6) انظر: الحلبي: **الأضداد**، ج 2، ص 665؛ الأنباري: **الأضداد**، ص 40.

والتهيئة لأمرٍ ما، والإعراض، والإمارة، والمتابعة والعتقاء، والأحق بالشي، والولي في الدين، والشريك وابن العم والعصبات، والحليف والصهر[1].

وسيكون خير شاهد لنا على ذلك الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الآتية:

المولى بالفتح يعني النصرة والمحبة تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[2]. وكذلك قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[3]، أي لا تحبوا وتنصروا، ويقال تولاه: أحبه ومال إليه، وتولى صديقه: نصره وقام بأمره، وقول النبي الكريم ﷺ: «من تولاني فليتول علياً» أي من نصرني وأحبني فلينصره ويحبه، وقوله أيضاً - ﷺ في علي بن أبي طالب: «اللهم والِ من والاه»[4] أي أحب من أحبه.

والمولى: المحب والمطيع فجاء في محكم آياته: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾[5]، أي محباً ومطيعاً.

ومن لفظ ولي: الولية، يليه ولّيا: أي قرب منه في المكان أو النسب أو غيرهما[6]، كما تمثل ذلك في الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ..﴾[7]، أي يدنون منكم في المكان، وأيضاً يستعمل لفظ أولى من الوَلْي: أي القرب المعنوي، فيقال: هو أولى الناس بك، أي أقربهم

---

(1) انظر: مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط 2 (القاهرة: الهيئة المصرية، 1970) ص 885؛ وكذلك انظر: c.E Bosworth, E. Van Donzel, B. Lewis ch. pellat: «MAWLA» Vol 6. The Encyclopaedia of Islam. New Sdition. (Leiden, E.j. Brill, 1991), P.P 874 ---- 883.

(2) سورة الحج، الآية 78.

(3) سورة الممتحنة، الآية 13؛ انظر: مجمع ألفاظ القرآن، ص 889.

(4) ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 408، 409.

(5) سورة مريم، الآية 45؛ انظر: مجمع ألفاظ القرآن، ص 892.

(6) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص 885.

(7) سورة التوبة، الآية 123.

إليك في المنزلة[1]، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2].

ويطلق لفظ المولى على الرب والمالك مثل قوله جل وعلا: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ...﴾[3]، والمولى أيضاً: السيد المتصرف في مواليه، كقوله تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾[4]، وفي الحديث الشريف نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن تسميه السيد بالرب، ليقل أي العبد ـ سيدي مولاي عندما يخاطب سيده، لأن لفظ السيد غير مختص بالله تعالى اختصاص الرب[5].

والمولى: الصديق والقريب كقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾[6]، ويأتي لفظ الولي بمعنى الولد: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾[7]، ويطلق لقب المولى أيضاً على الوصي والوكيل فجاء في محكم آياته: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

---

(1) معجم ألفاظ القرآن، ص 885.
(2) سورة آل عمران، الآية 68.
(3) سورة الأنعام، الآية 62.
(4) سورة الحج، الآية 13.
(5) أبو بكر بن مسعود الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج 4، ط 1 (القاهرة: مطبعة الجمالية 1910)، ص 49.
(6) سورة الدخان، الآية 41.
(7) سورة مريم، الآي 5، 6.

عَلِيمٌ﴾[1]، والولي هو الوصي أو الوكيل على عقد النكاح، وفي الحديث النبوي الشريف: «أيما امرأة نحكت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل»، وفي رواية وليها أي متولي أمرها[2].

والمولى: الناصح والمرشد ومن يريد الخير لمواليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[3]، والمولى من يقوم على خدمة العاجز: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ..﴾[4].

وأولى تجيء بمعنى التهديد والوعيد: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾[5]، عرف الوليّ: بالتمكين والتهية للشيء فقال عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ..﴾[6]، وتولى عنه: أعرض وأدبر وذهب كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾. وتولى: صار أميراً ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[8]، أي كنتم ولاة وأمراء عن الناس[9]. والمولى بالكسر يأتي بمعنى المتابعة وورثة من ذوي القرابة كما جاء في محكم آياته: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ﴾[10].

---

(1) سورة البقرة، الآية 282.
(2) ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 407.
(3) سورة التحريم، الآية 4.
(4) سورة النحل، الآية 76.
(5) سورة القيامة، الآية 34، 35.
(6) سورة البقرة، الآية 144.
(7) سورة البقرة، الآية 205.
(8) سورة محمد، الآية 22.
(9) معجم ألفاظ القرآن، ص 889.
(10) سورة النساء، الآية 33.

والموالي: العتقاء من العبودية ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾[1]، وفي الحديث: «من أسلم على يده رجل فهو مولاه أي يرثه كما يرث من أعتقه»[2]، وأولى: أحق كقوله جل وعلا: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾[3]. وفي الحديث أيضاً: «أنه سئل عن رجل مشرك يسلم على يد رجل من المسلمين فقال: أولى الناس بمحياه ومماته»[4]. أي أحق به من غيره.

والمولى والولي: (المولى هنا تعني وليّ وناصر)، وذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[5]، وقوله سيدنا محمد - ﷺ - «من كنت مولاه فعلي مولاه»، أي من كنت وليه، وقال أيضاً - : «مزينة وجهينة وأسلم وغفار موالي الله ورسوله»، أي أولياء الله[6].

والمولى الشريك والمساعد، فذكر في القرآن الكريم: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[7]، والموالي أبناء العم والعصبات ومن ذوي القرابة: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾[8].

ويأتي لفظ المولى بمعنى الحليف والصهر والناصر، كقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[9].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 5.
(2) ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 407.
(3) سورة النساء، الآية 135.
(4) ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 407.
(5) سورة محمد، الآية 11.
(6) ابن منظور: اللسان، ج 15، ص 408.
(7) سورة الإسراء، الآية 111.
(8) سورة مريم، الآية 5.
(9) سورة الأنفال، الآية 75.

بعد أن ذكرنا مصطلح الولاء في القرآن الكريم والسنة والشريعة وجب علينا أن نتناول أنواع الولاء في الإسلام الذي يشمل نوعين في الولاء هما ولاء العتاقة، وولاء الموالاة[1]، ويتفق أغلب الفقهاء على أن الولاء في الإسلام «قرابة حاصلة بسبب العتق أو بسبب الموالاة»[2].

* * *

أنواع الولاء في الإسلام:

أ ـ ولاء العتاقة (ولاء النعمة):

جاء الإسلام بمبادئه السمحة التي تحافظ على كرامة الإنسان وحريته وتخلصه من قيود العبودية والذل، فوجد أمامه العادات الجائرة التي من ضمنها الرق والسبي، فلم يقف حائراً أمام هذا العرف الغاشم وإنما وضع دستوراً يحمي الناس من هذا الهاجس، فمع أن الإسلام لم يأتِ بنص صريح يمنع الرق إلا أنه ضيَّق منافذه حتى أُلغي تماماً عن طريق العتق الذي جعله الإسلام من ضمن العبادات والتقرب إلى اللّه عز وجل، وكذلك كفارة لبعض الذنوب والمعاصي، فالإسلام حبّب إلى الناس العتق وحثّهم عليه، وجعل العتق أحد أوجه مصارف الزكاة حين يقول تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦٠﴾[3].

ويقول أيضاً: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي

---

(1) حسن بن منصور الأوزجندي: **الفتاوى الهندية**، ج 5 (بولاق: مطبعة الأميرية، 1310 هـ)، ص 27.
(2) انظر: عثمان بن علي الزيلعي: **تبيين الحقائق**، شرح كنز العمال، ج 5 (بولاق: المطبعة الكبرى، 1315 هـ) ص 175؛ انظر: الكساني: بدائع الصنائع، ج 4، ص 159، (باب الولاء). انظر: السرخسي: **المبسوط**، ج 8، ص 81، (باب الولاء).
(3) **سورة التوبة**، الآية 60.

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1].

كما جعل المساعدة على العتق من الطرق المؤدية إلى الجنة وذلك ترغيباً للناس فيه فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾[2]، جاء في الحديث النبوي الشريف قول رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار»[3].

وبهذا الحديث رَغِبَ المسلمون في تحرير عبيدهم ونيل الثواب من الله عز وجل، وكان النبي ﷺ دائماً يحث الناس على مساعدة الرقيق في فك أرقابهم، فلا تخلو مناسبة من مدح عتق العبيد والترغيب فيه وذكر مزاياه.

> «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة، قال: لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، اعتق النسمة أن تفرد بعتقها وفك الرقبة، قال: أليستا واحدة؟ قال: لا، عتق النسمة وفك الرقبة أن تعطي في ثمنها، والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم القاطع، فإن لم تطق ذلك فاطعم الجائع، واسقِ الظمآن، وأمر بالمعروف، وآنة عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير»[4].

كما جاء العتق صدقة تفرض للعبيد والإماء وذلك لمساعدتهم على

---

(1) سورة البقرة، الآية 177.
(2) سورة البلد، الآيات: 11، 12، 13.
(3) أحمد بن محمد الصاوي: بلغة السالك لأقرب المسالك، ج 2 (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي 1952) ص 442.
(4) علي بن أبي بكر الهيثمي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حيان، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة (القاهرة: المطبعة السلفية د. ت)، ص 292.

تخليص أنفسهم من العبودية فمن يفعل ذلك ينوبه الأجر والثواب من اللّه عز وجل: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾[1].

كما جعل اللّه عز وجل العتق كفارة لبعض الذنوب[2]، وسنوضح ذلك من خلال النقاط الآتية:

1 ـ **قتل الخطأ**: جعل الإسلام كفارة من قتل مؤمناً خطأ تحرير رقبة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٩٢﴾[3].

2 ـ **الحنث في اليمين**: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾[4].

3 ـ **كفارة الظهارة**: وهي أن يقول الرجل لزوجته أنت عليّ كظهر أمي وأراد أن يعود فيما قال، فكفارته كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾[5].

---

(1) سورة التوبة، الآية 60.
(2) انظر: الصاوي: **بلغة المسالك**، ج 2، ص 454. الكساني: **بدائع الصنائع**، ج 4، ص 160.
(3) سورة النساء، الآية 92.
(4) سورة المائدة، الآية 89.
(5) سورة المجادلة، الآية 3.

وعُرف أيضاً العتق عن طريق المكاتبة وهي أن يكاتب العبد سيده على مبلغ من المال ليحرر به رقبته من ذل الرق، وقد أقر الإسلام مثل هذا النوع من العتق بل طلب من المؤمنين مد يد العون للرقيق الذين يبتغون المكاتبة، فقال عظيم ملكوته: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[1].

والمكاتبة في لغة الفقه هي أن يقول السيد لعبده «اشتر نفسك بألف درهم، بمنزلة قوله أنت حر على ألف درهم»[2].

وأيضاً عتق التدبير[3] وهو أن يقول السيد لعبده أنت حر بعد وفاتي أو يوصي بذلك مثل عتق الأمه إذا أنجبت ولداً من سيدها فعندئذ تصبح جديرة بالحرية بعد وفاته، وفي حياته لا يبيعها ولا يهبها بل ترفع منزلتها من جارية ألى أم ولد، فقال رسول الله ﷺ: «من ولدت منه أمته فهي معتقة عن دبر منه»[4].

كما أن الإسلام لا يبيح رق الأسرى في الحرب بل اشترط عليهم أمرين لا ثالث لهما: المَنّ على الأسرى أو قبول الفدية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾﴾[5]، ويكفي أن يقول السيد لعبده: يا ابني أو يا حر، أو لأمته يا عمتي أو خالتي ونحو ذلك فإن في قوله هذا إعتاق للعبد أو الأمة[6].

وبعد هذا العرض السريع للعتق وتضييق روافده في الإسلام نتطرق إلى

---

(1) سورة النور، الآية 33.

(2) نصر بن محمد السمرقندي: **عيون المسائل**، ج 2، تحقيق صلاح الدين الناهي (بغداد: مطبعة أسعد 1967)، ص 403.

(3) التدبير في اللغة: النظر في عاقبة الأمر والتفكير فيه.

(4) محمد الأمير: **الإكليل**، حققه أبو الفضل عبد الله الغماري (القاهرة: مطبعة حجازي د.ت)، ص 456.

(5) سورة محمد، الآية 4.

(6) السمرقندي: **عيون المسائل**، ج 2، ص 401.

تعريف ولاء العتاقة أو ولاء النعمة.

«ولاء العتاقة هو أن يعتق الرجل عبداً أو أمة فيصير المعتق منسوباً إلى المعتق بالولاء ويسمى هذا ولاء النعمة أو ولاء العتاقة»[1].

ويرى بعض الفقهاء أن في تسمية مولى العتاقة بمولى النعمة هو إنعام المعتق على العبد بإيصاله إلى شرف الحرية استناداً لتفسير الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[2]، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالاعتاق وذكر هذا في قصة زيد بن حارثة[3].

وقد شبّه النبي الكريم ولاء العتاقة بالنسب حيث قال: «الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب»، كما أنه لا يجوز للعتيق أن يوالي غير مواليه لقوله ﷺ: «لعن الله من تولى غير مواليه»[4]، وقد روي في هذا الصدد أن السيدة عائشة ـ أم المؤمنين ـ أرادت أن تشتري جارية فتعتقها، فقال لها أهلها: نبيعها لك على أن ولاءها لنا، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «خذيها واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق»[5]، لأن العتق الذي هو الحرية يعد في الإسلام إخراجاً للعبد من العبودية وهو بمثابة إحيائه، ولذلك فإن من أحكام هذا الولاء أن يكون ولاء العبد لمعتقه، وقد بني على ذلك حكم الإرث..

---

(1) السرخسي: **المبسوط**، ج 8، ص 82.
(2) **سورة الأحزاب**، الآية 37.
(3) السرخسي: **المبسوط**، ج 8، ص 81؛ الكساني: **بدائع الصنائع**، ج 4، ص 169.
(4) أحمد بن الحسن البيهقي: **السنن الكبرى**، ج 10 (بيروت: دار المعرفة 1355 هـ)، ص 337، 338. أحمد ابن محمد بن حنبل: **المسند**، ج 1، تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف 1951)، ص 281؛ عبد الله بن قدامة: **المغني**، ج 6، تحقيق هراس محمد خليل (القاهرة: مطبعة الإمام د.ت)، ص 391؛ انظر: مسلم بن حجاج القشيري: **صحيح مسلم**، ج 1 (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي د. ت)، ص 655.
(5) مالك ابن أنس: **الموطأ**، ج 1، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية 1951) ص 780.

فقد روي أن «بنت حمزة ـ رضي الله عنها ـ أعتقت عبداً فمات المعتق وترك بنتاً، فجعل رسول الله ﷺ نصف المال للبنت ونصفه لبنت حمزة ـ رضي الله عنها ـ والباقي يعد نصيب الفرض للعصبة، فتبين بهذا أن المعتق عصبة، ورد الباقي على صاحب الفرض، عند عزم العصبة مقدم على حق ذوي الأرحام ثم لم يرد رسول الله ﷺ ما بقي على البنت بل جعله للمعتقة[1].

وعلى هذا يعد المعتق عصبة كالنسب إذا لم يكن للمعتق من يرثه من عصبته وذوي الأرحام؛ فولاء العتاقة إذن هو عتق رقيق من العبودية فيصبح العبد بنعمة الإسلام مولى عتاقة أو مولى نعمة، والتي هي علاقة بين المعتِق والمعتَق[2].

ب ـ ولاء الموالاة:

يطلق على ولاء الموالاة «ولاء حلف» ويعرف الفقهاء هذا النوع من الولاء بقولهم:

هو ولاء يقع بين طرفين من الأحرار، إحداهما عربي والآخر غير عربي[3]، مثل ولاء يزيد بن أبي مسلم للحجاج ابن يوسف الثقفي فصار ثقفياً بالموالاة[4]، وأحياناً يكون الولاء لطائفة معينة أو لقبيلة ما، مثل ولاء مسلم بن يسار للأنصار فيقال مسلم مولى الأنصار[5].

ويطلق على ولاء الموالاة ولاء الإسلام إذا «أسلم رجل على يد رجل ووالاه على أن يرثه ويعقل عنه»[6]، وقد اختلف الفقهاء حول وراثة مولى

---

(1) السرخسي: **المبسوط**، ج 8، ص 82.
(2) Thomas Patrick Hanghes: Dictionary of Islam (London: Luzac, U.D) P 663.
(3) علي بن أحمد بن حزم: المحلى، ج 11 (القاهرة: المطبعة المنيرية 1352 هـ)، ص 59، الزيلعي: **الفتاوى الهندية**، ج 5، ص 175. الأوزجندي: الفتاوى، ج 5، ص 28.
(4) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، ط 1 (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي وشركاه 1939)، ص 42.
(5) ابن سعد: **الطبقات**، ج 5، ص 223.
(6) الزيلعي: **الفتاوى الهندية**، ج 5، ص 175؛ الأوزجندي: **الفتاوى**، ج 5، ص 28.

الموالاة، حيث كان الشعبي يقول: «لا ولاء إلا لذي نعمة يعني العتاق، وبه أخذ الشافعي»[1]، أما السرخسي فيرى للمعتق «السيد» الحق في ميراث معتقه استناداً لقول رسول الله ﷺ عندما سئل في حكم ميراث مولى الموالاة، فقال: «هو أولى الناس بمحياه ومماته»[2]، وأيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾[3]، وكذلك قول عمر بن الخطاب عندما سأله أبو الأشعث عن «رجل أسلم على يديه ووالاه فمات وترك مالاً، فقال عمر: إن ميراثه لك فإن أبيت فلبيت المال»[4].

وهذا يفسر لنا الفرق بين ولاء العتاقة وولاء الموالاة، فحكم ميراث مولى العتاقة هو أن السيد يرث مولاه حال وفاته إن لم يكن له عقب، وأن يقاسم في ميراثه إذا كان له أبناء مثلاً، وهكذا نرى أن:

> «ولاء الموالاة يتأخر عن سائر الأقارب، ومولى العتاقة يتقدم على ذوي الأرحام لأن الولاء بالرحم فوق الولاء بالعقد فيخلف عن ذوي الأرحام، وولاء العتاقة بمن تقدم من النعمة بالاعتاق الذي هو إحياء وإيلاد معنى الحق بالتعصيب من حيث المعنى ولذلك قال ﷺ: الولاء لحمة كلحمة النسب لا تباع ولا توهب..»[5].

وإذا قال الشخص الذي أسلم على يد الرجل أو لغيره أنت مولاي ترثني إذا مت وتعقل عني إذا جنيت، فعندئذ يوجب للسيد أن يعقل على مولاه إذا ارتكب جناية وأن يرثه إذا مات اتفاقاً لشرط العقد بينهما[6].

---

(1) السرخسي: المبسوط، ج 8، ص 91.
(2) المصدر السابق، ج 8، ص 91.
(3) سورة النساء، الآية 33.
(4) السرخسي: المبسوط، ج 8، ص 91.
(5) الكاساني: بدائع الصنائع، ج 4، ص 170.
(6) المصدر السابق، ج 4، ص 170.

فولاء الموالاة إذاً هو انتساب شخص غير عربي إلى سيد عربي إما بالمخالطة أو بالذمة، وما ذكره وكيع عن انتساب رجل من العجم إلى العرب خير دليل على ذلك حيث قال:

«قال أبو حنيفة لعبد اللّٰه بن يزيد أبو عبد الرحمن المقبري: ممن أنت؟ قال: من أهل جوستان، قال: فما عليك أن تنتمي إلى بعض هذه العرب، فإني كنت رجلاً من أهل هذه الأرض، فانضممتُ إلى هذا الحي من بكر بن وائل فوجدتهم قوم صدق..»[1].

وأيضاً موالاة الأساورة والزط بعد إسلامهم لبني تميم عندما سكنوا البصرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

ويشترط لصحة ولاء الموالاة أربعة شروط هي:

1 ـ ألا يكون الموالي من العرب، وحتى لو والى عربي رجلاً من غير قبيلته فإنه لا يكون مولاه، ولكن ينسب إلى عشيرته فإنهم يعقلون عنه لأن جواز الموالاة للتناصر وهذه الصفة تكمن في العرب بحكم عصبيتهم[3].

2 ـ ألا يكون عتيقاً لأن ولاء العتق أقوى[4].

3 ـ ألا يكون عقل عنه غيره.

4 ـ أن يرثه مولاه إذا مات ويعقل عنه إذا جنى[5].

* * *

---

(1) محمد بن خلف وكيع: **أخبار القضاة**، ج 2 (بيروت: عالم الكتب د. ت) ص 167.

(2) أحمد بن يحيى البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق إبراهيم بيضون، ط 1 (بيروت: دار اقرأ 1992)، ص 499.

(3) انظر: الكاساني، **بدائع الصنائع**، ج 5، ص 171؛ الأوزجندي: **الفتاوى**، ج 5، ص 34.

(4) انظر: الزيلعي: **الفتاوى الهندية**، ج 5، ص 175.

(5) انظر: الكاساني: **بدائع الصنائع**، ج 4، ص 170.

مفهوم الولاء للعناصر غير العربية:

تغير مفهوم الولاء لدى العرب في الإسلام عما كان يعرف في الجاهلية[1]، فهو في نظرهم يعني التبعية، لذلك أبوا أن يكون هذا اللقب مرتبطاً بهم ولا سيما أن القرآن جاء بلسانهم، ونلاحظ ذلك في رواية ذكرها ابن هشام عن سبي الرسول ﷺ لبني المصطلق وهوازن وحنين، فاعترض رؤساء هذه القبائل عن سبي المسلمين لنسائهم وأبنائهم فجاء وفد منهم للنبي ﷺ فقالوا له:

«يا رسول الله: خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا، فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار، وما كان لنا فهو لرسول الله.. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا.. فقال رسول الله: أما من تمسّك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض، من أول سبي أصيبه، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم»[2].

وبناءً على ما تقدم يمكن أن نعرف أن الرق لا يجري على العرب والجدير بالملاحظة هنا أيضاً أننا لم نجد في كتب السيرة والمغازي ما يدل على سبي المسلمين للقبائل العربية في عهد رسول الله، بُعيد هذه الغزوات، ومع أن تحديد مصطلح الولاء بغير العرب جاء تدريجياً إلا أننا نرى أن هذا التحول في مفهوم الولاء كان في عصر الرسول الكريم ﷺ وأن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[3] أول من طبق هذا التحول وسار على منهج رسول الله

---

(1) انظر: **أنواع الولاء في الفصل الأول**.

(2) ابن هشام: السيرة ـ 4، ص 133.

(3) يرى بعض المؤرخين المحدثين أمثال عبد الحميد العبادي في كتابه: **الإسلام والمشكلة العنصرية**، ط 1 (بيروت: دار العلم للملايين 1969)، ص 74؛ وجمال جودة في كتابه: **الأوضاع**، ص 82، أن تحديد مفهوم الولاء بغير العرب جاء في زمن عمر بن الخطاب استناداً لبعض المصادر التي أولت رعايتها بهذا الموضوع.

ﷺ في تطبيق الشريعة، فأصبح لفظ المولى يطلق على أولئك الناس الذين ينحدرون من أصول غير عربية، ويمكن أن نجعل ذلك في الآتي:

1 - يرى بعض الفقهاء أن الولاء لا يكون في العرب، لأن من شروط الولاء النصرة ويوجد التناصر في انتماء الفرد لقبيلته لذلك لا يجوز الولاء على العرب[1]، لأن العرب يرون في أنفسهم النصير والولي للشعوب المغلوبة، ولذا فإن أقرب لقب يليق بهم هو الموالي الذي يحمل معاني سامية في معناه، حيث ورد في الآية الكريمة ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾[2].

ومن المرجح أنه بعد هذه الآية الكريمة أصبح لا مجال لإطلاق لقب المولى على العربي، حيث إنه من المعروف عن العربي اهتمامه الشديد بنسبه، وهذه الآية تخص الأدعياء ومن ليس له نسب.

وكان عمر بن الخطاب أول خليفة فضل العرب ومنع استرقاقهم اقتداءً بالنبي الكريم، فقد قيل أنه أوصى قبل وفاته بالأعراب خيراً، فقال: «اعلموا أنني لم استخلف وأنه من أدرك وفاتي من سبي العرب من مال اللّه فهو حر»[3]، لذلك عمل عمر بن الخطاب على فداء سبايا العرب منذ الجاهلية والإسلام فانهال على أمير المؤمنين عمر العرب المسترقون من كل صوب، فقد جاء رجل عربي وقع عليه السبي أيام الجاهلية وقال:

> «يا أمير المؤمنين أنا رجل من بني سليم.. أصابني سباء في الجاهلية، كما يصيب بعض العرب بعضهم من بعض وأنا معروف النسب وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني فأساء إليّ وضرب وجهي وقد بلغني أنه

---

(1) الأوزجندي: **الفتاوى**، ج 3، ص 51؛ الكاساني: **بدائع الصنائع**، ج 5، ص 171.
(2) **سورة الأحزاب**، الآية 5.
(3) ابن سعد: **الطبقات**، ج 3، ص 346.

لا سباء في الإسلام ولا رق على عربي في الإسلام»[1].

وبذلك تحرر هذا العربي بحضور سيده أمام عمر بن الخطاب، والتحق بقبيلته معززاً مكرماً، إذاً في مقالة هذا الرجل بأن لا سباء في الإسلام ولا رق على عربي كان معروفاً في زمن رسول الله ﷺ، وما يؤكد قولنا هو قول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام يوم حنين:

«لو كان يجري على عربي رق لكان اليوم وإنما الإسلام أو السيف»[2].

2 ـ كراهية استرقاق العرب للعرب:

حاول الدين الإسلامي صرف نظر العرب عن العصبية القبلية وتحويلها بالكامل إلى عقيدة الإسلام والذود عن مكتسباته لذلك أبغض رق العرب وامتلاك بعضهم البعض فالقرآن الكريم لغةُ العرب، وعندما يسترق العرب بعضهم البعض فإنه يحدث نفور من هذا الدين الجديد الذي يستعبد الناس ولا سيما العرب، لهذا نرى الدين الإسلامي يحرم الاسترقاق بين العرب، وقد وضح ذلك عندما فتح الرسول ﷺ مكة في السنة الثامنة للهجرة إذ عفا[3] عمّن عاداه من العرب ولم يسترقهم لسببين، الأول: حرمة البلد وهي (مكة)، والثاني: لأنهم أبناء عمومته على الرغم من أنهم كفار وآذوه وتسببوا في إقصائه عن بلده، كما أن الرسول الكريم هدف من ذلك عدم إثارة روح العصبية والفتن.

3 ـ كما أن من «أحكام الأسارى المَنّ والداء والقتل، وكانت هذه في العرب

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 11، ص 76؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج 3، ط 1 (القاهرة: مطبعة السعادة 1328 هـ)، ص 645 ـ 646.

(2) محمد أبي السعود منلامسكين: **فتح الله المعين على شرح الكنز**، ج 2 (القاهرة: مطبعة المعارف د. ت)، ص 452.

(3) محمد بن عمر بن واقد: **المغازي**، ج 2، تحقيق مارسدن جونس (لندن: مطبعة أكسفورد 1966)، ص 818.

خاصة، لأنه لا رق على رجالهم، وبذلك مضت سنة رسول الله ﷺ، أنه لم يسترق أحداً من ذكورهم[1].

وبعد أن أوضحنا معنى الولاء ومفهومه في العصر الإسلامي فإنه لزم علينا أن نتطرق إلى أوضاع هؤلاء الموالي في صدر الإسلام.

ـ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام:

حقق الإسلام مبدأ المساواة بين الناس، ورفع مكانة المسلمين من الموالي إلى أسمى درجة، فقد جعل النبي ﷺ بلال بن رباح أول من رفع صوته للآذان عالياً في الأفق وهو مولى[2]، وآخى بين بعض الموالي وبعض الأحرار من سادة قريش وآخى بين بلال بن رباح وأبي عبيدة بن الجراح[3]، وزيد بن حارثة وعمه حمزة بن عبد المطلب[4].

هكذا كانت المؤآخاة صلة حقيقية توازي رابطة الدم وأصرة النسب كما كان المولى في عهد الرسول الكريم يسمح له بالإمامة، فقد كان سالم بن مولى أبي حذيفة يؤم المسلمين في مسجد قباء على الرغم من وجود سادة قريش أمثال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأن سالماً أكثرهم تفقهاً في الكتاب والسنة[5].

ومن رعاية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام واحترامه ومساواته للموالي أن أبناء أبي بكير جاءوا إلى الرسول ﷺ يستشيرونه في زواج أخت لهم فقال لهم النبي:

> أين أنتم عن بلال؟ ثم جاءوا مرةً أخرى، فقالوا: يا رسول الله أنكح أختنا فلاناً؟ فقال: أين أنتم عن بلال، ثم جاءوا الثالثة فقالوا: أنكح أختنا فلاناً:

(1) ابن سلام: **الأموال**، ص 177.
(2) ابن الأثير: **أسد الغابة**، ج 1، ص 246. ابن سعد: **الطبقات**، ج 3، ص 166.
(3) ابن سعد: **الطبقات**، ج 3، ص 30.
(4) ابن سعد: **الطبقات**، ج 3، ص 30.
(5) **المصدر السابق**، ج 3، ص 169. البلاذري: **أنساب**، ج 1، ص 190.

فقال: أين أنتم عن بلال؟ أين أنتم عن رجلٍ من أهل الجنة، فأنكحوه»[1].

ويذكر أن مولى من بني بياضة خطب إحدى بنات بني بياضة فأبى أهلها أن يزوجوها إياه، فسألوا رسول اللّه في ذلك، فقالوا: «يا رسول اللّه نزوج بناتنا من موالينا»[2].

فكان رد اللّه عز وجل أقوى رد في هذه المسألة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[3]. فجعل الإسلام الأساس في الزواج الدين الإسلامي.

ولم يكتفِ ﷺ بهذا الحد بل زوّج بنت عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد بن حارثة[4]، وأعتق صفية بنت حيي بن أخطب وتزوجها[5]، فكان عليه أفضل الصلاة والسلام قدوة حسنة للمسلمين، فرغب المسلمون العرب في نيل الثواب من اللّه عز وجل، فأعتق أبو حذيفة بن عقبة مولاه سالماً وزوجه ابنة فاطمة بنت الوليد، فكان هذا المولى بمثابة الابن لأبي حذيفة فتبناه، ولما أبطل الإسلام نظام التبني عرف بـ (سالم مولى أبي حذيفة)[6].

هكذا نرى أن رسول اللّه ﷺ أراد من ذلك طمس معالم الجاهلية وبذر بذور المساواة بين طبقات المجتمع الإسلامي واستئصال شأفة الافتخار بالأنساب والأحساب، المتمثلة في الترفع عن مصاهرة الموالي والامتناع عن تزويجهم استكباراً منهم والاعتقاد بأن الموالي جنس وضيع لا يصلح إلا للخدمة وطاعة السادة.

---

(1) **المصدر السابق**، ج 3، ص 169؛ البلاذري: **أنساب**، ج 1 ص 190.
(2) سليمان الجمل: **حاشية الجمل على شرح الجلالين**، ج 4 (القاهرة: مطبعة مصطفى محمد 1933)، ص 185.
(3) **سورة الحجرات**، الآية 13.
(4) ابن سعد: **الطبقات**، ج 3، ص 29.
(5) البلاذري: **أنساب**، ج 1، ص 469.
(6) ابن سعد: **الطبقات**، ج 3، ص 60.

وكان ﷺ يوصي بالرقيق خيراً فيقول:

«اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا، وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإنه ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم. وقال أيضاً: إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس...

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة»[1].

فمبدأ المساواة في المجتمع الإسلامي استطاع أن ينهض بحال الموالي وأن يحارب كثيراً من الأوضاع التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، فقد طعن القرشيون في إمرة أسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ - وكان تحت إمرته سادة قريش.. فقال لهم ﷺ:

«ولئن طعنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله! وأيم الله إن كان للإمارة لخليفة وإن ابنه من بعده لخليفة للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإنهما المخيلان لكل خير، واستوصوا به خيراً فإنه من خياركم[2].

فلم يعطِ الرسول الكريم المولى مجرد المساواة الإنسانية، بل أعطاه حق القيادة والرياسة على السادة الأحرار، فخطب ﷺ في الناس:

---

(1) أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج 4 (د.م: لجنة الثقافة الإسلامية د.ت)، ص 50. انظر البخاري: **صحيح**، ج 3، ص 195.
(2) ابن سعد: **الطبقات**، ج 4، ص 45؛ انظر: البلاذري: **أنساب**، ج 1، ص 474. ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج 1، ص 159 - 160.

«اسمعوا وأطيعوا، ولو ولي عليكم عبد حبشي مجدع الأطراف ما أقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى»[1].

ويوضح الحديث الشريف أن زمن العصبية والعنصرية زال تدريجياً بمجيء الإسلام الذي لا يرى في اللون أو الجنس عائقاً عن تولي أعلى المناصب استناداً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

وفي حجة الوداع خطب النبي ـ ﷺ ـ بالناس وهذا مقتطف منه: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح»[3].

هذا شعار الإسلام المنادي بالمساواة بين الطبقات والأجناس على مختلف ألوانهم، فلا توجد فوارق إلا بالعمل الصالح، وفي هذا الصدد روى البلاذري أنه:

«كان بلال، وصهيب، وسلمان جلوساً، فمر بهم أبو سفيان بن حرب، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عيق عدو الله فأخذها بعدُ، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها؟ ثم انطلق أبو بكر إلى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. . فأتاهم أبو بكر: يا إخوتي لعلكم غضبتم؟ فقالوا: يغفر الله لك يا أبا بكر»[4].

---

(1) مسلم: صحيح، ج 2، ص 130.
(2) سورة غافر: الآية 40.
(3) الجاحظ: البيان، ج 2، ص 33. أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحمد رشاد، ج 4 (القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة 1953)، ص 58.
(4) البلاذري: أنساب، ج 1، ص 488 ـ 489.

هكذا كان رسول الله ـ ﷺ ـ يعلم الناس كافةً أنه لا سيادة ولا جاهاً يضاهي إيمان هؤلاء الموالي بمولاهم عز وجل، حتى جعل غضبهم من غضب الله تعالى.

ومن عدالته ومساواته وعطفه ـ ﷺ ـ نال حب المسلمين عامة وحب الموالي خاصة، فقد كان ثوبان مولى رسول الله شديد الحب للنبي، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه..

فقال رسول الله: ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع، غير إني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك.. ثم إني إذا ذكرت الآخرة أخاف ألا أراك، لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخلها لم أرك أبداً ـ !! فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1] [سورة النساء: 69 ـ 70].

يتضح مما سبق أن الإسلام لا ينظر إلى الناس وفق مكانتهم الاجتماعية، وإنما ينظر إلى أيمانهم بالله عز وجل فكان عليه أفضل الصلاة والسلام يقول:

«أنا سابق العرب إلى الجنة، وسلمان سابق الفرس إلى الجنة، وصهيب سابق الروم إلى الجنة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة»[2].

---

(1) ابن عساكر: تهذيب، ج 3، ص 380.

(2) علاء الدين علي الهندي: **كنز العمل في سنن الأقوال**، ج 11، ط 1 (حلب: مكتبة التراث الإسلامي 1971)، ص 755؛ أحمد بن عبد الله الأصفهاني: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج 1 (القاهرة: مطبعة السعادة 1932)، ص 151؛ عبد الحي بن العماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج 1 (القاهرة: مكتبة القدس، 1350 هـ)، ص 47.

وكان الرسول الكريم يقول لزيد بن حارثة: «أنت أخونا ومولانا»[1]، هكذا كانت منزلة الموالي عند رسول اللّه، حيث بشرهم بجنة النعيم، وأن اللّه - سبحانه وتعالى - وعد الكفار من سادة قريش بالعذاب الأليم، فنزلت سورة المسد في أبي لهب تنذره بنار جهنم يصلى فيها أبداً، وهو عم النبي - ﷺ - ومن أشراف قريش!!.

هكذا كانت سياسة رسول اللّه - ﷺ - قائمة على العدل والمساواة، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى، حزن عليه المسلمون حزناً عميقاً وخافوا على هذه الأمة من انفراط عقدها، ولكن بتولي أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - الخلافة (11 - 13 هـ، 632 - 634 م) زال هذا الخوف، فكان خير من ساس وعدل، فسار على نهج سياسة سيدنا محمد - ﷺ - في تطبيق العدالة والمساواة بين الناس، وهذا يظهر من خطبته التي قال فيها:

> «إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتبعوني وإن زغت فقوموني! لا أقول إني أفضلكم فضلاً ولكني أفضلكم حملاً»، وكذلك قوله: «إن إقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه»[2].

ومن منطلق هذا القول ساوى - رضي الله عنه - في العطاء بين العرب والموالي، فقد جاءه مال كثير فقسمه بين الناس بالعدل، فكان نصيب كل فرد عشرين درهماً، مما أغضب جماعة من المسلمين فقالوا:

> «يا خليفة رسول اللّه، إنك قسمت هذا المال، فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم، فلو فضلت أهل السوابق والقدم

---

(1) الهندي: **كنز العمال**، ج 11، ص 683.

(2) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 127؛ ابن هشام: **السيرة**، ج 4، ص 311؛ ابن عبد ربه: **العقد**، ج 4، ص 59.

والفضل بفضلهم فقال: أما ما ذكرتم من الفضل والسوابق فما أعرفني بذلك، وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاش، فالأسوة فيه خير من الأثرة»[1].

وثمة موقف آخر لأبي بكر في تطبيق سياسة رسول الله، حين أرسل سرية أسامة ابن زيد عقب توليه الخلافة، حيث جاء إليه سادة قريش وأرادوا أن يمنعوه من ترأس أسامة للسرية، ولا سيما أن العرب ارتدت عن الإسلام، فقالوا له:

«إن عامة الناس مع أسامة، وقد ارتدت العرب، فكيف تفرق الناس؟ فقال: والله لو ظننتُ أن السباع تأكلني وأني أختطف في هذه القرية لأنفذت بعثة كما أمر رسول الله - ﷺ - ثم دعا أسامة فقال: أنفذ يا أبا محمد رحمك الله واعمل بما كان رسول الله - ﷺ - أمرك به، ولم يوصه بشيء»[2].

وهذه هي سياسة خليفة رسول الله - ﷺ - واقتداؤه به في تطبيق منهج الإسلام دون تهاون أو ضعف.

ولما عين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين (13 - 23 هـ، 634 - 644 م)، اتبع نهج رسول الله - ﷺ - وخليفته أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في رفع راية الإسلام ومبادئه القيمة، فقد ساوى بين الناس في الأعطيات، ولكنه جعل التمايز في العطاء السبق في الإسلام، فكان لا يفرق بين عربي ولا عجمي، فغضب بعض أشراف قريش من أن يكون نصيبهم دون نصيب غيرهم فأجابهم بأنه أعطى الناس على السابقة في الإسلام لا على الأحساب والأنساب[3].

---

(1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، تحقيق محمود الباجي (تونس: دار بو سلامة 1984)، ص 44.

(2) البلاذري: أنساب، ج 1، ص 475.

(3) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 5 (بيروت: مكتبة خياط د. ت)، ص 2412؛ انظر: اليعقوبي: تاريخ، ج 2، ص 154.

ويروى أنه قدم على عامل لعمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ فأعطى العرب منهم وترك الموالى، فكتب إليه عمر: «أما بعد، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسلام»[1].

وكان دائماً ـ ﷺ ـ ينصح الناس ويذكرهم بأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى فيقول:

«والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل، فهم أولى بمحمدٍ منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لا يسرع به نسبه»[2].

وكتب إلى أمراء الأجناد يوصيهم بالموالي خيراً:

«ومن أعتقتم من الحمراء، فأسلموا، فالحقوهم بمواليهم، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وإن أحبّوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فأجعلوهم أسرتهم في العطاء»[3].

والتاريخ الإسلامي حافل بالعديد من مواقف عمر بن الخطاب تجاه الموالي حيث ولى عمار بن ياسر أميراً على الأجناد، وأصدر أوامره إلى حارثة بن مطرب فقال:

«أما بعد، فإن بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد، من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما وقد أثرتكم بابن أم عبد على نفسي وبعثتُ عثمان بن ضيف على السواد ورزقتهم كل يوم شاه فاجعل

(1) البلاذري: فتوح، ص 595؛ ابن سلام: الأموال، ص 300.
(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 2، ص 61.
(3) البلاذري: فتوح، ص 596؛ ابن سلام: الأموال، ص 300.

شطرها وبطنها لعمار والشطر الباقي بين هؤلاء الثلاثة»[1].

وكان عمر بن الخطاب كذلك يقتدي بالرسول الكريم، فيقرب الموالي في مجلسه ويأذن لهم بالدخول قبل أشراف قريش مما جعل أبا سفيان يقول:

«لم أر كاليوم، يأذن لهؤلاء العبيد، ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا! فقال سهيل بن عمرو: أيها القوم، إني والله أرى الذي في وجوهكم، إن كنت غضباً، فاغضبوا على أنفسكم، دعا القوم ودعيتم فأسرعوا، وأبطأتم، فكيف إذا دعوا يوم القيامة وتركتم»[2].

وكان عمر بن الخطاب عندما يتذكر عتق أبي بكر لبلال يقول:

«أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا»[3].

هذه هي سياسة عمر بن الخطاب العادلة بين العرب والموالي، وقد طبق هذا الإجراء مع أقرب الناس إليه، فقد قيل أن ابنه عبد الله بن عمر استاء من تفضيل أبيه لأسامة بن زيد عليه في العطاء فقال لأبيه:

«والله ما سبقني إلى شيء؟ فقال عمر: إن أباه كان أحبّ إلى رسول الله - ﷺ - من أبيك؟ وأنه كان أحبّ إلى رسول الله منك»[4].

وبهذا الرد المقنع لم يعطِ الفرصة إلى التفريق بين المسلمين (عرباً وموالي)، وظهور بذور التفرقة والانشقاق الذي بات واضحاً في العصر الأموي.

---

(1) ابن سعد: **الطبقات**، ج 3، ص 182؛ انظر: ابن الأثير: **الكامل**، ج 3، ص 18.
(2) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: **تاريخ عمر بن الخطاب**، تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعي (دمشق: دار إحياء علوم 1394 هـ)، ص 18.
(3) محي الدين بن شرف النووي: **تهذيب الأسماء واللغات**، ج 1 (القاهرة: مطبعة المنيرية د. ت)، ص 137.
(4) البلاذري: **فتوح**، ص 595؛ ابن سعد: **الطبقات**، ج 4، ص 49.

وبذلك نعم الموالي بالعدالة الاجتماعية التي تنص عليها الشريعة الإسلامية وكان لهم دور فعال في تأسيس أركان دولة الإسلام فحالفوا القبائل العربية ودخلوا في ولائها، وسكنوا الأقطار الجديدة، وذكر البلاذري أن الأساورة والزط عندما أسلموا في عهد عمر بن الخطاب اشترطوا على العرب المسلمين بالآتي:

.. إنا قد أحببنا الدخول معكم في دينكم على أن نقاتل عدوكم من العجم معكم، وعلى أنه إن وقع بينكم على أن قاتل بعضكم مع بعض، وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا منهم واعتتمونا عليهم، وعلى أن ننزل بحيث شئنا من البلدان ونكون فيمن شئت منكم، وعلى أن نلحق بشرف العطاء، ويعقد لنا بذلك الأمير الذي بعثكم فقال لهم أبو موسى: بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا، فقالوا: لا نرضى، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر أن أعطهم جميع ما سألوا فخرجوا حتى لحقوا بالمسلمين، وشهدوا مع أبي موسى حصار تستر..»[1].

وهؤلاء الأساورة هم الذين حالفوا قبيلتي أزد وتميم عندما نزلوا البصرة إلى جانب سكانها من العرب، وسألوا عن أقرب الحيين من الأزد وبني تميم نسباً إلى النبي - ﷺ - فقيل لهم بنو تميم، فحالفوهم، وأصبحوا مواليهم فحفروا نهراً عرف باسمهم (نهر الأساورة)[2].

ومن خلال هذه السياسة تجاه الموالي، رغب الكثير من الأعاجم في الدخول إلى الإسلام، فقد ذُكر أن جماعة من الأهواز سموا ببني العم والسبب في تسميتهم يرجع كما يذكر الأصفهاني في قوله: -

---

(1) المصدر السابق، ص 298.
(2) المصدر السابق، ص 299.

«إنهم نزلوا بني تميم في أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين، وحسن بلاؤهم فقال الناس: أنتم وإن لم تكونوا من العرب إخواننا وأهلنا، وأنتم الأنصار والإخوان وبنو العم، فلقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب»[1].

وعلى كل حال فإن تطبيق المنهج الإسلامي في خلافة عمر بن الخطاب أعطى كل ذي حق حقه بغض النظر عن نسبه أو جاهه، ولما طعن عمر، وأراد جمهرة المسلمين أن يستخلف عليهم من بعده قال لهم: «لو كان سالم ـ مولى أبي حذيفة ـ حياً لوليته»[2].

وهكذا كانت منزلة الموالي في خلافة عمر بن الخطاب، قائمة على المبدأ نفسه الذي سنّه النبي ـ ﷺ ـ والمنهج الذي سار على دربه أبو بكر الصديق، حيث أعطى للموالي الحق في تقلد أعلى المناصب وهي الخلافة، ما دام يعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وهذا يدّحض الرأي القائل بأن منصب الخلافة لا يتولاه إلا صريح النسب، ويشترط أن يكون من قريش!![3].

وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ (23 ـ 35 هـ، 644 ـ 656 م) يوصي عماله بالموالي خيراً، حيث قال لعامله على الكوفة الوليد بن عقبة:

«إني وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حالة لوجه الله، وعقبي لهم من أرضهم وإني أوصيك بهم، فإنهم قوم لهم ذمه»[4].

وروى أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ تولى الخلافة (35 ـ 40 هـ، 656 ـ 661 م) ساوى في العطاء بين العرب والموالي، بعد موقعة الجمل فلم يفضل

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 3، ص 73.

(2) ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، ج 1، ص 190. محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** (القاهرة: المطبعة السلفية 1350 هـ)، ص 63؛ عبد ربه: **العقد الفريد**، ج 4، ص 274.

(3) انظر: محمد بن عبد الحليم بن تيمية: **منهاج السنة النبوية**، ج 1، تحقيق محمد رشاد سالم (بيروت: مكتبة خياط د. ت) ص 349.

(4) ابن سلام: **الأموال**، ص 246.

أحداً على أحد وأعطى الموالي كما أعطى الصميمة، فلما سُئل في ذلك قال:

«إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عوداً من الأرض فوضعه بين إصبعه»[1].

وليس هذا الموقف الوحيد الذي اتخذه علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ تجاه الموالي، بل كان يقربهم في مجلسه، ويحاول جاهداً أن يقوض من العصبية العرقية التي ما زالت متمكنة في ذوي النفوس الضعيفة، فقد قال له الأشعث بن قيس:

«يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك فركض على المنبر برجله.. فقال: من يعذرني من هذه الضياطرة؟ يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوم الذكر، فيأمرني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليها بدءاً»[2].

ويبدو واضحاً مما سبق أن نظرة العرب التعصبية وعدم المساواة مع إخوانهم الموالي في الفترة من (23 ـ 40 هـ، 644 ـ 661 م) هي التي خلقت الهوة فيما بينهم، ومن المرجح أن هذه النظرة باتت واضحة بُعيد مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلوة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة.

---

(1) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 183؛ محمد بن يعقوب الكليني: **الروضة من الكافي**، ج 8، حققه علي أكبر الجعفري، ط 2، (طهران: دار الكتب الإسلامية 1389 هـ) ص 69.

(2) المبرد: **الكامل في اللغة**، ج 2، ص 406؛ اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 183.

الفصل الثالث

الموالي في العصر الأموي

أ ـ الموالي وعلاقتهم بالبلاط الأموي.

1 ـ الموالي والحجابة.

2 ـ عملهم في الشرطة والحرس.

3 ـ الموالي والدواوين.

4 ـ الموالي والجيش.

ب ـ الأوضاع الاجتماعية للموالي.

جـ ـ سياسة الأمويين الاقتصادية تجاه الموالي.

1 ـ نشاط الموالي الاقتصادي.

2 ـ نشاطهم الفكري.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الموالي وعلاقتهم بالبلاط الأموي

بعد انتشار الإسلام عن طريق الفتوحات المتواصلة شرقاً وغرباً ودحر أعظم قوتين آنذاك الفارسية والبيزنطية؛ وتحرير الأرض العربية من براثن سيطرتهما ودخول معظم شعوبهما تحت راية الإسلام موالٍ وأهل ذمة، طرأت على حياة العرب الفاتحين بعض التغيرات الحضارية نتيجة الاحتكاك المباشر بين العرب والعجم.

هذه التغيرات أو التطورات أثرت دون ريب في تكوين كيانهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يتفق مع تطور وامتداد رقعة الدولة الإسلامية، وقد رأينا في الفصل السابق دخول أفواج من الأعاجم في محالفات مع العرب المسلمين[1]، وفي هذا الفصل سندرس تأثر الأمويين ببعض أنظمة الأعاجم الإدارية ولا سيما نظم الحجابة والشرطة والدواوين وسياسة الدولة الأموية تجاه الموالي.

الموالي والحجابة:

يعتبر نظام الحجابة من مستحدثات الدولة الأموية، فقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ والخلفاء الراشدون لا يستعملون الحجاب على أبوابهم مثل ما هو معروف في العصر الأموي، فلما أغتيل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي

(1) انظر: الفصل الثاني: دخول جماعة من الأهواز في مخالفة العرب، وسموا ببني العم.

طالب ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ رأى معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية (40 ـ 60 هـ، 661 ـ 680 م) أن يتخذ لنفسه حجاباً على أبوابه ينظمون مقابلاته مع الرعية، وقد اتبع ولاة الدولة الأموية نفس الأسلوب ويتضح ذلك من خلال حديث عمرو بن العاص لابنه:

«انظر حاجبك فإنه لحمك ودمك ولقد رأينا بصفين
وقد شرع قوم رماحهم في وجوهنا يريدون نفوسنا ما
لنا ذنب إليهم إلا الحجاب»[1].

وبما أن الحجابة من النظم المقتبسة من الأعاجم فإن الذين امتهنوا هذه الوظيفة جلهم من الموالي، وخاصة الذين لهم خبرة في هذا المجال، لذا نرى زياد بن أبيه يشترط في الحاجب أن يكون «عاقلاً فطناً قد خدم الملوك قبل أن يتولى حجابتهم»[2]، أي يشترط في الذي يُختار لهذه الوظيفة أن يكون من الأكفاء شكلاً ومضموناً.

وقد أوصى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حينما قلده ولاية مصر بقوله:

«انظر حاجبك فليكن من خير أهلك فإنه وجهك
ولسانك»[3].

بمعنى أن يكون الحاجب على درجة عالية من الثقافة واللياقة وأن يتقن اللغة العربية الفصحى، وهذا يفسر لنا اعتماد الأمويين على مواليهم المقربين والتابعين لهم برابطة الولاء سواء موالي عتاقة أم موالاة، وقد أدركنا ذلك من خلال الروايات التاريخية التي جاء فيها أن أيوب مولى معاوية بن أبي سفيان كان

---

(1) شهاب الدين أحمد النويري: **نهاية الأرب**، تحقيق أحمد الزين، ج 6 (القاهرة: وزارة الثقافة، د. ت) ص 91.
(2) ابن عبد ربه: **العقد**، ج 3، ص 171.
(3) محمد بن علي بن الطقطقي: **الفخري في الآداب السلطانية**، (بيروت: دار صادر، 1966)، ص 126.

حاجباً لمولاه[1]، وأن صفوان مولى يزيد بن معاوية عمل حاجباً له[2]، وأن أبا المنهال مولى مروان كان حاجباً له[3]، وغيرهم من موالي الخلفاء، ويمكن أن نطلق على هؤلاء الموالي (موالي الخدمة).

وهكذا سار الخلفاء الأمويون على النظام الذي اقتبسه معاوية من الأعاجم فكان حجابهم من أخلص مواليهم لأهمية هذه الوظيفة التي تحتاج إلى أهل ثقة.

وقد يتساءل الباحث حول هذا الموضوع، لماذا اتخذ الخلفاء الأمويون حجاباً لهم من الموالي، ولم يتخذوهم من العرب، مع أن هذه الوظيفة مهمة للغاية وتحتاج إلى أمناء، إضافة إلى أن الأمويين متعصبون للجنس العربي؟!

للإجابة نقول: إن العرب كانت تأنف هذه المهنة لعدة أسباب:

- **الأول**: يكمن في طبيعة العرب بحكم معيشتهم في الصحراء، فكانت الخيام منازلهم والطبيعة ملاذهم فلا تحجبهم الأبواب المغلقة.
- **الثاني**: لم يتعود العرب قط على مثل هذه النظم، فكان الرسول الكريم والخلفاء الراشدون يقابلون الناس دون حاجة إلى الحجاب، وهم مثلهم الأعلى.
- **الثالث**: نظر العرب لنظام الحجابة على أنه من أنظمة الأكاسرة والقياصرة والتي لا تمت للإسلام ولا للعروبة بصلة، ويتضح كره العرب للحجابة فيما رأى سعيد بن المسيب عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بقوله: «نعم الرجل عبد العزيز لولا حجابه»[4].

وكذلك قول العرب عن الحجابه:

«لا شيء أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة

---

(1) خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة**، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط 2 (بيروت ـ دمشق: دار العلم ـ مؤسسة الرسالة، 1977)، ص 223.
(2) علي بن الحسين المسعودي: **التنبيه والإشراف** (بيروت: دار الهلال، 1981)، ص 278.
(3) **المصدر السابق**، ص 286.
(4) النويري: **نهاية الأرب**، ج 6، ص 91.

الحجاب لأن الرعية إذا وثقت بسهولة الحجاب أجمعت عن الظلم، وإذا وثقت بصعوبته هجمت عن الظلم»[1].

* * *

عملهم في الشرطة والحرس:

عمل الموالي أيضاً في مجال الشرطة، فكان على شرطة معاوية بن أبي سفيان يزيد ابن الحي وهو مولى لمعاوية، وعلى حرسه المختار مولى حمير، وعلى حرس عبد الملك بن مروان عدي بن عباس مولى حمير[2] تم جمعه لأبي الزعيزعة مولاه ثم تولى الريان بن خالد الريان مولى بني محارب، فلما مات الريان تولى ابنه خالد مهنة الحراسة لعبد الملك ابن مروان[3]، وللوليد بن عبد الملك ولسليمان بن عبد الملك[4]، وكان على شرطه الحجاج عبيد بن عمرو وأصله من سبي سجستان[5]، وكان على حرس هشام ابن عبد الملك مولاه نصير[6].

وتشعرنا الروايات الآنفة الذكر بأنه لا يشترط في الحارس أو صاحب الشرطة أن يكون من موالي الخلفاء وخاصتهم مثل ما هو واضح في الحجابة بل نراهم موالي لبعض القبائل العربية وأحياناً موالي للخلفاء.

* * *

(1) المصدر السابق: ج 6، ص 61.
(2) ابن خياط: تاريخ، ص 228.
(3) المصدر السابق: ص 293.
(4) المصدر السابق: ص 312.
(5) يعقوب بن سفيان الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 3، تحقيق أكرم ضياء العمري، (بغداد: مكتبة المثنى، 1976)، ص 365.
(6) ابن خياط: تاريخ، ص 362.

الموالي والدواوين(*):

من أشهر الدواوين التي عمل فيها الموالي، ديوان الرسائل، وديوان الخراج وديوان الجند والعطاء وديوان الخاتم.

1 ـ ديوان الرسائل:

يعتبر ديوان الرسائل من أهم الدواوين في الدولة الأموية لأنه يختص بمكاتبات الخليفة وتعليماته للولاة، ويعرف القلقشندي هذا الديوان بديوان الإنشاء فيقول:

«ولم يزل الأمر في المكاتبات في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف إلى أن ولى الوليد بن عبد الملك فجوّد القراطيس، وجلّل الخطوط وفخّم المكاتبات وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك إلاّ عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد.. فإنهما جريا في ذلك على طريقة السلف، ثم جرى الأمر بعدهما على ما سنه الوليد بن عبد الملك، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له عبد الحميد بن يحيى وكان من اللسن والبلاغة على ما اشتهر ذكره ـ فأطال الكتب وأطنب فيها..»[1].

وكان يشترط في الشخص الذي يتولى هذه الوظيفة (كاتب رسائل) أن يتصف بالأمانة والصدق وحفظ الأسرار وأن يكون حسن الخط، فقد كان محررو الرسائل في بادىء الأمر من أقارب الخليفة[2]، ومع مرور الزمن ألغي

(*) الديوان: «موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيش والعمال»، أبو يعلى محمد بن الحسن الماوردي: **الأحكام السلطنية**، حققه محمد حامد الفقي، ط 2، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1966) ص 236.

(1) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج 11، ص 38.

(2) انظر: ابن خلدون: **المقدمة**، ص 272.

شرط القرابة واستعيض عنه بأمهر الكتاب سواء كانوا عرباً أم موالي، لذا نجد أغلب الموالي كتاباً في ديوان الرسائل أمثال عبد الرحمن بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان الذي عمل كاتباً لمولاه معاوية[1]، وسليمان بن سعيد مولى خشن وأبو الزعيزعة، مولى مروان بن الحكم[2]، الذي كتب لمروان ولابنه عبد الملك[3]، وعمر بن الحارث مولى بن عامر إبن لؤي الذي كتب لعبد الملك[4]. وسليمان بن سعيد الخشني مولى خشن كتب للوليد بن عبد الملك[5]، وابن بطريق النصراني كتب لسليمان بن عبد الملك[6]، وكان ليث ابن أبي رقية مولى أم الحكم بن أبي سفيان كاتب الرسائل للخليفة سليمان بن عبد الملك[7].

ومن أشهر الموالي الذين عملوا في مهنة الكتابة سالم مولى سعيد بن عبد الملك الذي كتب لهشام بن عبد الملك وللوليد بن يزيد[8]، وعبد الحميد بن يحي الذي كتب لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وهو الذي أظهر ولاءه وإخلاصه لمولاه مروان بن محمد عند نهاية الدولة الأموية عندما طلب منه الخليفة أن يظهر ولاءه للعباسيين في عبارة جاء فيها:

> «فإنني أرجو أن تمكن منهم فنفعتي في مخلف وفي كثير من أسبابي، قال له: [أي عبد الحميد] كيف لي بأن يعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك وكلهم يقول إنما غدرت وصرت إلى عدوك..»[9].

---

(1) المسعودي: التنبيه، ص 281، ويذكر أيضاً أن عبد الله بن أبي بكرة كان كاتب رسائل معاوية وهو أخ زياد بن أبيه لأمه سمية، انظر: الجهشياري: الوزراء، ص 24.
(2) المسعودي: التنبيه، ص 286.
(3) المصدر السابق. ص 290، الجهشياري: الوزراء، ص 35.
(4) المسعودي: التنبيه، ص 289.
(5) الجهشياري: الوزراء، ص 47.
(6) المسعودي: التنبيه، ص 291.
(7) الجهشياري: الوزراء، ص 51.
(8) المصدر السابق: ص 62.
(9) المصدر السابق: ص 79.

ولأهمية هذا الديوان الحيوي كان الكتبة وجلهم من الموالي يخضعون لمراقبة شديدة من قبل ولاتهم، فقد روي أن زياد بن أبيه:

«دخل يوماً ديوانه، فوجد فيه كتاباً، وفيه ثلاثة دنان فقال: من كتب هذا؟ فقيل: هذا الفتى، فقال: أخرجه من ديواننا لئلا يفسده وامسح هذا واكتب وآدن»[1].

ويذكر أيضاً إن يوسف بن عمر الثقفي (والي العراق من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك) أنه جاء يوماً لديوانه فلم يجد كاتبه، فلما أتى سأله عن سبب تأخره فأجابه بأن ضرسه تألمه، عندئذ خلع له ضرسين[2].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذا الديوان أولاً وعلى قسوة وجبروت الولاة ثانياً في معاملتهم لموظفين من الموالي، وهذا يفسر لنا براعة واتقان الكتاب في هذا الديوان مثل سالم مولى سعيد بن عبد الملك وعبد الحميد الذي اشتهر بالكاتب[3].

ديوان الخراج:

يعتبر ديوان الخراج من:

«الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخراج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها والرجوع في ذلك إلى القوانين..»[4].

---

(1) المصدر السابق: ص 25.
(2) المصدر السابق: ص 64.
(3) محمد بن أبي يعقوب النديم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، (طهران، د. ن، 1971)، ص 131.
(4) ابن خلدون: المقدمة، ص 268.

ولأهمية هذا الديوان فإن صاحبه يتولى أمره من قبل الخليفة مباشرة أو من قبل ولاة الأقاليم المفتوحة نتيجة النظام اللامركزي الأموي[1].

ونظراً لأهمية جباية الضرائب والخراج فإن الذي يتقلد منصب كاتب ديوان الخراج يجب أن يكون أميناً صادقاً وعالماً بأمور الجباية والحساب، وهذا يوضح قول زياد بن أبيه: «ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤوساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج»[2] لأن زياداً قد عمل والياً على العراق لمدة اثني عشر عاماً خبر من خلالها الأعاجم وعرف كفائتهم لهذا المنصب[3]، وربما كان العرب في بداية الدول الأموية على غير دراية بأمور الحساب[4]. لذا لم يشترط على العاملين في هذه الدواوين الإسلام، في بداية العصر الأموي، فلما عرف العرب مهنتهم أقصوهم عنها باشتراطهم الإسلام أولاً ثم عرب الدواوين ثانياً.

وعلى كل فقط ظهر في هذا الديوان شخصيات أعجمية كان لها اليد الطولي في تسيير أمور الدولة من الناحية الإدارية، بل نراهم في بعض الأحيان مستشارين ووزراء لبعض الخلفاء[5].

ومن أشهر هذه الشخصيات (سرجون بن منصور الرومي) الذي عمل كاتباً على خراج الشام في عهد معاوية بن أبي سفيان واستمر إلى خلافة عبد الملك بن مروان أي من الفترة (41 ـ 65 هـ، 661 ـ 685 م)[6]، وكان زادان فروخ كاتباً

---

(1) إبراهيم أحمد العدوي: **النظم الإسلامية**، (القاهرة: الأنجلو المصرية، 1972)، ص 234.

(2) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 234.

(3) **المصدر السابق**: ج 2، ص 235.

(4) انظر: ابن خلدون: **المقدمة**، ص 262 (فصل مراتب الملك والسلطان والألقاب).

(5) استشار يزيد بن معاوية سرجون النصراني فيمن يولي الكوفة، فأشار عليه بأن يولي عبيد الله بن زياد (وكان يزيد عاتباً على عبيد الله) فأخذ برأي سرحون، وجمع لعبيد الله الكوفة والبصرة. انظر: ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 24.

(6) الجهشياري: **الوزراء**، ص 26؛ المسعودي: **التنبيه**، ص 278؛ أبو بكر محمد يحيى الصولي: أدب الكتاب تحقيق محمد بهجة، (القاهرة: السلفية، 1341) ص 142.

على خراج العراق في عهد زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي[1].

وابن أثال النصراني على خراج حمص في عهد معاوية بن أبي سفيان (41 ـ 60 هـ، 661 ـ 680 م)[2] وكان ابن أسطين النصراني على خراج حمص في عهد هشام ابن عبد الملك (105 ـ 125 هـ، 724 ـ 743 م)[3].

وتولى الكتابة في الدواوين موالي عتاقة إلى جانب أهل الذمة مثل سليمان بن سعيد مولى خشن الذي كان كاتباً على خراج الشام من عهد عبد الملك بن مروان إلى خلافة الوليد بن عبد الملك (65 ـ 96 هـ، 685 ـ 715)[4].

ومرداس مولى زياد بن أبيه الذي عمل كاتباً لمولاه زياد، وللحجاج الثقفي في العراق[5].

ويزيد بن أبي مسلم الذي كان كاتباً لمولاه الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، وأسامة بن زيد مولى لأهل اليمن كان كاتباً على خراج الشام في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز[6] (99 ـ 101 هـ. 717 ـ 720 م)[7].

وكما عمل أيضاً عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول كاتباً على خراج في عهد هشام بن عبد الملك ثم عزله وولاه مصر وجعل مكانه سعيد بن عقبة مولى بني الحارث ابن كعب[8]، وكان على خراج العراق في عهد الوليد بن يزيد قحذم بن سليمان مولى آل بكرة[9].

---

(1) ابن خياط: **تاريخ**، ص 308؛ الجهشياري: **الوزراء**، ص 27؛ أحمد بن علي المقريزي: **الخطط المقريزية**، ج 1 (القاهرة: مؤسسة حلبي. د. ت) ص 98.
(2) الجهشياري: **الوزراء**، ص 27؛ اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 223.
(3) **المصدر السابق**: ج 2، 60.
(4) المسعودي: **التنبيه**، ص 281 ـ 290.
(5) الجهشياري: **الوزراء**، ص 26.
(6) ابن خياط: **تاريخ**، ص 324.
(7) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 4، ص 88.
(8) ابن خياط: **تاريخ**، ص 362.
(9) **المصدر السابق**: ص 368.

ديوان الجند والعطاء:

لقد وضع أساسه الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ وكانت مهمته الإنفاق على الجند المسلمين عامة حسب أسبقيتهم في الإسلام.[1]، أما في العصر الأموي فقد أصبحت وظيفته إحصاء أسماء الجند وتسجيل مقدار اعطياتهم، وقد استخدم بعض الخلفاء والولاة أمثال معاوية بن أبي سفيان والحجاج الثقفي هذا الديوان وسيلة لتدعيم نفوذهم السياسي.

وقد أسند الخلفاء الأمويون للموالي مهمة الكتابة في هذا الديوان وأحياناً يجمع لكاتب الخراج أو الرسائل وظيفة الكتابة في ديوان الجند والعطاء، وقد وضح ذلك ابن خياط في كتابه فذكر أن سرجون بن منصور الرومي كان على ديوان الخراج والجند في عهد عبد الملك بن مروان (65 ـ 86 هـ، 685 ـ 705 م)[2]، وأن سليمان بن سعد مولى خشن كان على ديوان الخراج والجند في عهد الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك (86 ـ 99 هـ، 705 ـ 720 م)[3]، وأحياناً يُجمع للكاتب في هذا الديوان على الخراج والرسائل، مثل أسامة بن زيد مولى لأهل اليمن في عهد عمر بن عبد العزيز[4].

ديوان الخاتم:

من أكبر الدواوين في الدولة الأموية، استحدثه معاوية بن أبي سفيان، يهتم بمكاتبات الخليفة المالية والإدارية، أنشيء بعد أن أكتُشِف تزوير في أمر مالي بعث به إلى والي العراق؛ فأصبح من مهمة هذا الديوان تسجيل الأوامر الصادرة من الخليفة إلى الولاة[5]، ثم يحزم بخيط أو يختم بالشمع، ويحتفظ بنسخة من هذه الأوامر، وهو يمثل قسم المحفوظات أو السجلات بمفهومنا الحاضر.

---

(1) راجع: الفصل الثاني.
(2) ابن خياط: تاريخ، ص 299.
(3) المصدر السابق: ص 312.
(4) المصدر السابق: ص 324.
(5) ابن خلدون: المقدمة، ص 293.

ومن أهم من عمل في هذا الديوان في عهد معاوية بن أبي سفيان، المختار مولى حمير[1]، وكان يكتب للوليد بن عبد الملك مولاه شعيب الصابي[2]، ونعيم بن أبي سلامة مولى لأهل اليمن في عهد سليمان بن عبد الملك[3]، كما عمل مطير مولى عمر بن عبد العزيز في هذا الديوان وأسند إليه ديوان الخزائن وبيوت الأموال[4]، وربما تسند عدة دواوين لعامل أو صاحب الديوان حينما يتصف بالأمانة والثقة كما مر بنا.

وهكذا نرى أن الموالي سواء كانوا من أصول فارسية أم رومية عملوا في مجال الإدارة، وكانوا عماد الدولة من الناحية الإدارية، منذ تأسيسها حتى نهايتها واضمحلالها.

وبعد هذا العرض الموجز لموضوع تنصيب الأمويين للموالي في الأعمال الإدارية الكبرى في الدولة الأموية نستنتج الآتي:

- من المرجح في تولية الأمويين للموالي على الدواوين المختلفة هو أن تكون لهم السيطرة الكاملة على موارد الدولة أي أن يحتجن بعض الخلفاء على العامل الاقتصادي وهذا ما حدث فعلاً في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي عزل المغيرة بن شعبه وعين بدلاً منه مولاه عبد الله بن دراج ليكون قيماً على خراج العراق، عندما شعر معاوية أن المغيرة بن شعبه يكشف مخططاته الاستغلالية ويمثل خطراً على سياسته المالية في العراق[5].

- ربما لمكافئة على صنيع ما، مثل تعيين معاوية بن أبي سفيان لابن أثال النصراني على خراج حمص مع العلم بأن الأخير طبيبٌ وليس له علاقة بالأمور الإدارية والمالية للدولة[6].

---

(1) ابن خياط: **تاريخ**، ص 228.
(2) الجهشياري: **الوزراء**، ص 47.
(3) ابن خياط: **تاريخ**، ص 424.
(4) المصدر السابق: ص 335.
(5) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 218.
(6) أبو الفداء الحافظ بن كثير: **البداية والنهاية**، ج 8، (بيروت: مكتبة المعارف، 1966)، ص 31.

- اهتمام الولاة بتعيين الدهاقين على جمع الضرائب والجباية التي عدّها العرب من ضمن عيوب السياسة الأموية، فقد اعتمد زياد بن أبيه على الموالي والدهاقين فكتب إلى معاوية يوصيه باستخدامهم لأنهم «أنصر وأغفر وأشكر»[1]، فاستعملهم في جباية الخراج، فأمر عبيد الله بن زياد بن أبيه تعيين الدهاقين على جباية الخراج عندما ولي البصرة مما أدى تصرفه هذا إلى سخط البصريين فأجابهم قائلاً:

«وأما استعمال الدهاقين فإن عبد الرحمن بن أبي بكرة وزادان فروخ وقعا فيّ عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز وبلغ خراج العراق مائة ألف ألف فخيرني معاوية بين العزل والضمان، فكرهت العزل، فكنت إذا استعملت العربي كسر الخراج، فإن أغرمت عشيرته أو طالبته، أوغرت صدورهم وإن تركته تركت مال الله، وأنا أعرف مكانه، فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأولى بالأمانة وأهون بالمطالبة منكم مع إني قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحداً»[2].

وعليه يمكن القول أن الأمويين عاملوا الموالي على أنهم أداة سُخرت لخدمتهم، ومن هذا المنطلق نظروا إليهم نظرة إصغار على الرغم من الخدمات الجليلة التي قدموها لهم في مجال الإدارة والجيش، وستكتمل الصورة عند حديثنا عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

* * *

الموالي والجيش:

يرد مشاركة الموالي في الجيش العربي الإسلامي منذ حركة الفتوح

(1) البلاذري: أنساب، ج 4، ص 65.
(2) الطبري: تاريخ، ج 7، ص 29.

الإسلامية، فقد كان لعبد الله بن زياد جيش من الموالي عُرِفَ بالمحاربة وعدته اثنا عشر ألفاً[1]، وقد كون هذا الجيش بعد فتوحاته الواسعة في خراسان، وقد لامه العرب على اتخاذه مثل هذا الجيش فقال لهم:

«.. وأما المحاربة فوالله ما اتخذتهم إلا وقاية لأني كنت أقتل بهم أهل المعصية، فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم»[2].

تشعرنا هذه الرواية بالتحول الخطير في نظرة العرب للموالي عما كان عليه زمن الرسول - ﷺ - والخلفاء الراشدين، وتوضح لنا انبعاث العصبية العرقية وخروجها من مكمنها من جديد.

ومع هذا فقد انظم الموالي لصفوف القادة[3] في الفتوحات، فكان للأساورة[4] والزط والسيايجة[5] دور فعال في فتوح خراسان، وكما عرف الموالي بلفظ الحمراء ولاسيما الأعاجم، منذ إسلامهم وانخراطهم كمقاتلة في الجيش العربي الإسلامي. وكانوا قد استقروا في الكوفة وسكنوا فيها وحالفوا قبيلة تميم[6].

---

(1) البلاذري: **أنساب**، ج 5، ص 499؛ عبد الله ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج 1، (بيروت: مكتبة خياط د. ت)، ص 555.

(2) عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، حققه طه محمد الزيني، ج 2 (القاهرة: مؤسسة حلبي، د. ت) ص 19.

(3) مثل مشاركة الموالي في حركة فتوح خراسان مع عبد الله بن عامر. البلاذري: **فتوح**، ص 542، وأيضاً مشاركتهم في معركة الربذة أيام ابن الزبير، البلاذري: **فتوح**، ص 499، وكذلك انضمامهم لابن قتيبة الباهلي أيام سليمان بن عبد الملك سنة 96 هـ انظر:
Shaban. M.A: **Islamic History**, vol. 1 (Cambridgi, 1976) P 157.

(4) الأساورة: اختلفت الروايات في كلمة أساورة: هل تعني رماة السهام أم الجند المقاتلة، أم الجنود على الفيلة؟ ومن المرجح أن هذه الكلمة تطلق على أمهر رماة السهام؛ وأنه ذاع صيتهم في العصر الأموي كرماة سهام، انظر: البلاذري: **فتوح**، ص 497؛ الأصفهاني: **الأغاني**، ج 15، ص 216.

(5) الزط: هم السيايجة قوم من السند، سكنوا البصرة، وقيل جيل من أهل الهند، وقيل أيضاً: هم جنس من السودان والهنود، البلاذري: **فتوح**، ص 497.

(6) البلاذري: **فتوح**، ص 393.

وقد لمعت بعض الشخصيات من الموالي في مجال الحرب والقيادة، بسبب حنكتها الحربية ودهائها السياسي في المغرب والمشرق أمثال أبي المهاجر دينار[1]، وموسى بن نصير[2]، وطارق بن زياد[3]، محمد بن يزيد القرشي[4]، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار[5]، ويزيد بن أبي مسلم، وعبيد الله بن الحبحاب في المغرب[6]، أما في المشرق فقد كان القادة العرب يعتمدون على الموالي في الحرب والمشورة مثل الفضل بن بسام، وعبد الله بن أبي عبد الله، والبختري بن مجاهد[7]، وكان هذا الأخير مستشار نصر بن سيار، وهارون السياوش قائد خراسان، ونيزك بن صالح حاكم الشاش من الموالي. كما كانت الأقاليم الشرقية التي فتحها المسلمون في إيدي حكام محليين أي من الموالي[8].

وكذلك الحال في المغرب فقد انخرط الموالي في الجيوش الإسلامية وساعدوا في امتداد حركة الفتح في الأندلس وكان عددهم في بعض الأحيان يفوق عدد المقاتلة من العرب، حتى إننا نجد حسان بن النعمان والي إفريقية عقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما جيشاً لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وأخرجهما مع العرب، وكان والي برقة لعبد العزيز بن مروان مولى له[9].

كما عين موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد والياً على طنجة، ثم أسند

---

(1) ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب**، حققه ج. س. كولان وا. ليفي بروفنسال، ج 1، (بيروت: دار الثقافة د. ت)، ص 21.

(2) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 285؛ المراكشي: البيان ج 1، ص 29؛ ابن قتيبة: **الإمامة**، ج 2، ص 53.

(3) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 285؛ المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 43.

(4) **المصدر السابق**: ص 47.

(5) **المصدر السابق**: ص 48. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، حققه محمد صبيح، (القاهرة: دار التعاون، د. ت) ص 143.

(6) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 48. ابن عبد الحكم: **فتوح**، ص 143.

(7) الجهشياري: **الوزراء**، ص 66.

(8) البلاذري: **فتوح**، ص 578.

(9) ابن قتيبة: **الإمامة**، ج 2، ص 49.

إليه مهمة فتح الأندلس وكان جيشه خليطاً من العرب والموالي[1].

وهكذا شارك الموالي في بناء الدولة الأموية، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه، هل عاملت الدولة الأموية الموالي معاملة تنطوي على التقدير والاحترام نظير مشاركتهم الفعالة في الإسهام بالنهوض بالدولة؟!.

للإجابة يمكن أن نقول إن الدولة الأموية اعتمدت منذ قيامها على العصبية القبلية[2] والتي أثرت دون شك في نظرتها للعناصر غير العربية المتمثلة في الموالي، فكان الموالي مجرد آلة استخدمها الأمويون نتيجة لكثرة عددهم لهذا شاركوهم وأشركوهم في الدولة العربية، فمثلاً الكوفة كان أكثر من نصف سكانها من الموالي الذين احتكروا الحرف والتجارة والتبادل الفكري، وهم في الغالب من الفرس أصلاً ولغةً، وقد قدموا إلى الكوفة عن طريق السبي، وهناك اعتنقوا الإسلام فلم يكونوا عبيداً بل لازالوا يعتمدون على أسيادهم، حيث يحتاجون إلى حمايتهم ملزمين بخدماتهم مكونين حاشيتهم في الحرب والسلم[3].

* * *

الأوضاع الاجتماعية للموالي:

ساهم الموالي في العصر الأموي في مختلف مجالات الحياة لأن عددهم في الغالب يفوق عدد العرب الفاتحين بالدولة الأموية المترامية الأطراف الشاسعة المسافة، لذا لا يمكنها الاعتماد على العرب الفاتحين الذين ليس لديهم أية خبرة أو دراية بنظم الحياة المختلفة في الأقاليم المفتوحة، وهذا الاستنتاج

---

(1) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 38.
(2) قامت الدولة الأموية على الخداع والعصبية، انظر: ابن قتيبة: **الإمامة**، ج 1، ص 143 (قصة التحكيم). انظر أيضاً: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري: **الأخبار الطوال**، حققه عبد المنعم عامر، ط 1 (القاهرة: دار إحياء الكتب، 1960)، ص 194، وكذلك ص 201.
(3) Nicholson: aliteray History of the arabs, (Cambridge: 1950) P 217.

يجعلنا نعيد النظر حول ما كتبه بعض المستشرقين[1]، وردده بعض المؤرخين[2] دونما تحليل أو نقد حيث نجد في كتاباتهم أن الدولة الأموية أبعدت الموالي عن تولي المناصب الكبرى بل جعلتها خاصة للعرب دونهم وإنما عاملتهم معاملة ازدراء وتحقير!!.

فمثلاً نكلسون يصف وضع الموالي بقوله: «لقد لاقى الموالي معاملة كلها ذل وهوان من قِبَل سادتهم الأمويين»[3]، أما سايكس فيقارن وضعهم بالنورمان في عبارة «إن هذه المعاملة تفوق ما تحمله النورمان من السكسون الفاتحين»[4]، أما بليابيف فيعلل سوء حالة الموالي بقوله:

> «إن السبب يعود إلى ما تبقى في نفوس العرب من أثر للبداوة والتنظيم القبلي البدوي، ذلك التنظيم الصارم الذي يمنع العربي أو غير العربي من الدخول في قبيلتهم والاعتراف به أنه واحد منهم، وفضلاً عن هذا فإن العرب تجنبوا الاختلاط بالشعوب المغلوبة والامتزاج بهم خوفاً من أن يفقدوا ذاتيهم في المجموع

---

(1) Brown: Aliteray History of Persia. (london: 1959) PP 232 — 240von kremer: kulture geschictische streifzuge Auf dem Gebiet ds Islames. (Calcutta:1950) pp 78 - 82.

فان فلوتن: **السيادة العربية**، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، ط 1 (القاهرة: مطبعة السعادة، 1934)، ص 21 ـ 35؛ وكذلك: بليابيف: **العرب والإسلام**، ترجمة أنيس فريحة، ط 1 (بيروت: الدار المتحدة 1973)، ص 242.

(2) زيدان: التمدن، ج 2، ص 21؛ محمد الطيب النجار: **الموالي في العصر الأموي**، ط 1 (القاهرة: دار النيل، 1949) ص 38؛ علي حسني الخربوطلي: **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي**، (القاهرة: دار المعارف، 1959)، ص 255، 256، ثم يناقض نفسه ويذكر أن للموالي نصيباً أكبر في الوظائف العامة، راجع: ص 260 من نفس المرجع؛ ثابت إسماعيل الراوي: العراق في العصر الأموي، (بغداد: مكتبة الأندلس، 1970)، ص 245.

(3) Nicholson: Alteray. P 247.

(4) Sykes: History of Persia, Vol I (london: 1921), P 536.

الأكبر حتى إن زواج المولى من امرأة عربية كان يعتبر جريمة يستحق عليها مرتكبها الموت..»[1].

ففي آراء هؤلاء المستشرقين الكثير من المبالغة والتعميم حول نظرة الأمويين للموالي، فقد تناسى بلياييف أن العرب في الجاهلية وفي الإسلام كانت تدخل في محالفات مع القبائل الأخرى، وأن التنظيم القبلي الذي يتحدث عنه يسمح لغير العرب أيضاً بالدخول فيه مثل محالفة الأوس والخزرج واليهود في يثرب قُبيل الإسلام وعقد المحالفات بين القبائل العربية في العصر الجاهلي[2]، وكذلك نظام الولاء بين العرب وغير العرب في العصر الإسلامي[3].

أما تعليله حول عدم اختلاط العرب بالشعوب المفتوحة فقد كان ذلك في بدايات الدولة الإسلامية ولا سيما في عهد عمر بن الخطاب، وكان خالصاً للجند المسلمين فلما دخل الإسلام في نفوس الأعاجم ومُصرت الأمصار أُلغي هذا الشرط، ومع مجيء الدولة الأموية حدث الاندماج الكامل بين السكان المحليين والعرب الفاتحين، وقد نقل معاوية ابن أبي سفيان جماعة من فرس بعلبك وحمص وانطاكية إلى سواحل الأردن وصور وعكا سنة 42 هـ، كما نقل أساورة البصرة والكوفة وأمر بهجرة الصناع من الموالي (من أصول رومية) إلى سواحل الشام للمشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية[4]، بل نجد العرب وخاصة الأمويين اقتبسوا من الموالي بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في المأكل والملبس حتى إننا نجد خليفة أموي يفتخر بأن جده خاقان مثل يزيد بن عبد الملك[5]، وكما تأثر الأمويون بحضارة الأعاجم أيضاً من الناحية المادية

---

(1) بلياييف: **العرب والإسلام**، ص 242.
(2) راجع الفصل الأول.
(3) راجع الفصل الثاني.
(4) البلاذري: **الفتوح**، ص 234.
(5) يقول يزيد بن عبد الملك:
«أنا ابن كسرى وابن مرواس   وقيصر جدي وجدي خاقان»
انظر: غريغوس الملطي ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، حققه الأب إنطوان الياسوعي، ط 2 (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1958)، ص 118.

مثل بناء القصور على الطراز البيزنطي والفارسي واستجلاب أمهر الرسامين والبناءين الأعاجم، وتأثرهم أيضاً بتزيين الملابس[1]، حيث وضع ديوان الطراز الذي كانت مهمته إنتاج الأزياء الرسمية الخاصة بالخلفاء ورجال البلاط ورايات الحرب وشارات الدولة[2].

ففي هذه الفترة التي نؤرخ لها نرى بوضوح امتزاج الحضارة الفارسية والبيزنطية بالحضارة العربية الإسلامية، التي نتج عنها حضارة إسلامية محافظة على الطابع العربي لهذا اعتقد البعض أن الدولة الأموية دولة عربية خالصة[3].

أما بالنسبة لقضية زواج الموالي من النساء العربيات فقد كان موجوداً في هذا العصر، ولكن نظرة العرب لهذا الموضوع تختلف من شخص لآخر، فهناك من يمقتون زواج الموالي من عربية ويحددون ذلك بشرط النسب الصريح والكفاءة في الزواج وهناك من يقدره بالوضع الاقتصادي الجيد للمولى[4].

وقد كانت نظرة العرب السيئة حول زواج المولى من عربية معروفة قبل الإسلام وبل في عصر الرسول ـ ﷺ ـ والخلفاء الراشدين، وخاصة عند عرب البادية الذين يرونه عاراً ومسبةً، وهذا ما سجله لنا التاريخ والأدب: حيث ذكر إن محمد بن بشير الخارجي ذهب يوماً إلى والي المدينة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل يشكوه من مولى تزوج عربية من بني سليم، فما كان من الوالي المتعصب إلا أن فرّق بين المولى وزوجته وضربه مائتي سوط وحلق لحيته وحاجبه فقال في ذلك محمد بن بشير الخارجي:

قضيت بسنة وحكمت عدلاً ... ولم ترث الحكومة من بعيد
في المائتين للمولى نكال ... وفي سلب الحواجب والخدود

---

(1) محمد مصطفى هدارة: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، (القاهرة: دار المعارف، 1963)، ص 57.
(2) ابن خلدون: **المقدمة**، ص 295.
(3) الجاحظ: **البيان**، ج 2، ص 154؛ فلوتن: **السيادة العربية**، ص 41.
(4) انظر: المبرد: **الكامل**، ج 2، ص 416، 417.

ذا كافأتهم ببنات كسرى فهل يجد الموالي من مزيد
فأي الحق أنصف للموالي من إصهار العبيد إلى العبيد[1]

وهكذا كان الذي يتزوج من عربية يعرض نفسه للاضطهاد النفسي والاجتماعي وليس القتل كما يزعم بليابيف، ولعل المولى الميسور الحال يستطيع الزواج من عربية، ففي العراق نلاحظ شيوع زواج الدهاقين من العربيات ويتضح ذلك من قول عمر بن عبد العزيز:

«لم أجد أحداً من العرب يتزوج إلى الموالي إلا الطمع الطبع، ولم أجد أحداً من الموالي يتزوج إلى العرب إلا الأشر البطر، ولا أحرم حلالاً ولا أحل حراماً»[2].

وكان الذي يصاهر الموالي في هذا العصر، يعرض نفسه إلى هجاء الشعراء، فذكر المبرد أن أبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري زوّج ابنته ليحيى بن أبي حفصة مولى عثمان بن عفان على عشرين ألف درهم فعيره أعرابي بقوله:

لعمري لقد حللت نفسك خزية وخالفت فعل الأكثرين الأكارم
ولو كان جداك اللذان تتابعا يبدر لما راما صنيع الآلائم

فقال إبراهيم بن النعمان يرد عليه:

ما تركت عشرون ألفاً لقائل مقالاً فلا تحفل ملامة لائم
وإن أكُ قد زوجتُ مولى فقد مضت به سُنّةٌ قبلي وحب الدراهم[3]

وباتت هذه النظرة القاسية من قبل العرب للموالي تحذو حذوها لتشمل

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 14، ص 144.
(2) ابن منظور: **اللسان**، ج 10، ص 103. 104 (طبع)؛ انظر: البخاري: **تاريخ**، ج 1، ص 138.
(3) المبرد: **الكامل**، ج 2، ص 416، 417.

الولاة والقضاة الذين يفرقون بين الزوج (المولى) وزوجته (العربية)[1] دون أي وجه حق وما ذنبهما إلا أنهما تزوجا!.

ونظرة الإجحاف هذه التي سنَّها الأمويون جعلت بعض الموالي في هذا العصر يدعون أنهم من أصول عربية، وأن السبي وقع عليهم في الجاهلية[2]، بل دفعت الأمويين أنفسهم ألى أن ينسبوا الأدعياء لهم ولا سيما الفرسان والأبطال، فقد ادّعى معاوية بن أبي سفيان أن زياد بن أبيه (زياد بن عبيد) هو أخوه، عندما ظهرت حنكته في مجال الحرب والسياسة والإدارة، فقال له معاوية بعدما فخر زياد أمامه باستجلابه للغنائم:

«لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عز قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان، ومن القلم إلى المنابر، وما أمكنك ما اعتددت به إلاّ بنا...»[3].

ويبني أغلب المؤرخين آراءهم[4] حول وضعية الموالي الاجتماعية من كتابات متفرقة في بعض المصادر المتأخرة[5]، وهي في الواقع حالات فردية لا يمكن الجزم بها أو تعميمها، فمثلاً في العقد الفريد نلاحظ أن الكاتب يفرد فصلاً لمثالب العرب ويسميه المتعصبين العرب جاء فيه:

«كان العرب يقولون: لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى، وكانوا لا يكنون، ولا يدعونهم إلا

---

(1) أمر عامل سليمان بن عبد الملك على دمشق مولى أن يطلق امرأته العربية، انظر: ابن عساكر: **تهذيب**، ج6، ص 383. وذكر أيضاً: أن القاضي بلال بن أبي بردة أمر ابن عون أن يطلق زوجته العربية، راجع: وكيع: **أخبار القضاة**، ج 2، ص 28؛ انظر: البلاذري: **فتوح**، ص 442 (زعم مولى من بني عجل بأنه من الصلبية).

(2) انظر: ابن سعد: **الطبقات**، ج 5، ص 161، 176، 177؛ ابن حجر العسقلاني: **الإصابة**، ج 1، ص 29، البلاذري: **أنساب**، ج 1، ص 175.

(3) الجهشياري: **الوزراء**، ص 27.

(4) النجار: **الموالي**، ص 36 ـ 38؛ الخربوطلي: تاريخ العراق، ص 257 ـ 258.

(5) مثل: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج 3، ص 423؛ الأصفهاني: **الأغاني**، ج 14، ص 144؛ الجاحظ: **البيان**، ج 2، ص 130.

بالأسماء والألقاب ولا يمشون في الصف معهم ولا يتقدمونهم في الموكب، وإن حضروا طعاماً قاموا على رؤوسهم، وإن أطعموا المولى لسنّه وعلمه وفضله وأجلسوه في طريق الخبار لئلا يخفى عن الناظر أنه ليس من العرب ولا يدعونهم يصلون على الجنازة وإذا حضر أحد من العرب.. وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم إلى أبيها ولا أخيها وإنما يخطبها إلى مواليها، فإن رضى زوّج وإلاّ رد فإن زوّج الأب أو الأخ بغير رأي مواليه فسخ النكاح وإن كان قد دخل»[1].

قال ابن عبد ربه:

إن عربياً تخاصم مع مولى بين يدي ابن عامر صاحب العراق فقال له المولى: لا كثّر الله فينا مثلك، فقال له العربي: بل كثّرَ الله فينا مثلك، فقيل له: أيدعو عليك وتدعو له؟! قال: نعم، يكسحون طرقنا ويخرزون خفافنا ويحوكون ثيابنا»[2].

فهذه الروايات، كما أسلفت الذكر تمثل حالات فردية، كما أنه ليس من المعقول أن ينظر العرب للمولى نظرة الحيوان! مثل قول: «لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى!» لأنه هناك موالٍ برعوا في الفقه فمنهم الأئمة الذين لاقوا احترام الخلفاء وعامة الشعب مثل الحسن البصري[3]، وعطاء بن أبي رباح[4]، وأبي جعفر المدني[5]، وعكرمة مولى ....

(1) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج 3، ص 423.
(2) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج 3، ص 423.
(3) انظر: أحمد بن أبي بكر بن خلكان: **وفيات الأعيان**، حققه إحسان عباس، ج 2 (بيروت: دار الثقافة، 1969)، ص 69؛ ابن عساكر: **تهذيب التهذيب**، ج 4، ص 71.
(4) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 261؛ ابن سعد: طبقات، ج 5، ص 344.
(5) عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **المعارف**، حققه ثروت عكاشة، (القاهرة: دار الكتب، 1960) ص 241.

ابن عباس[1]، ونافع المدني[2]، وغيرهم كثيرون.

أما بالنسبة لموضوع الكنية فقد كان الموالي يكنون مثل عمرو بن دينار وهو مولى ابن باذان من فرس اليمن ويكنى: أبا محمد، وحماد الراوية وهو حماد بن هرمز، وكان يكنى: أبا ليلى[3]. . . وغيرهم كثيرون.

فروايات ابن عبد ربه مبالغٌ فيها بعض الشيء؛ لأن العرب والموالي كانوا جنباً إلى جنب في مشاركة الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأحياناً في السياسة في العصر الأموي، كما أنه لا يمكننا إصدار أحكامنا حول وضعية الموالي من مجرد وجهة نظر متعصبة من العرب أو مشاجرة عربي مع مولى أو نظرة العرب للموالي في إقليم ما مثل العراق خاصة بالكوفة والبصرة نعممها على باقي الأمصار الإسلامية، حيث كان الوضع الاجتماعي والاقتصادي لموالي العراق في اضطراب دائم وكانت نظرة العرب لهم نظرة مستمدة من العصبية للعراق، ويزعم بعض المؤرخين القدامى أن معاوية فكر في قتل موالي البصرة فدعا الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب وقال:

«إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت واراها قط طعنت على السلف وكأني انظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطرق، فما ترون؟ فقال الأحنف: أرى أن نفسي لا تطيب بقتل خالي لأمي وخالي ومولاي، وقد شاركناهم وشاركونا في النسب، فظننت أني قد قتلت عنهم»[4].

---

(1) ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، ج 12، (بيروت: دار صادر، د. ت) ص 181؛ ابن سعد: **طبقات**، ج 5. ص 587؛ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: **صفة الصفوة**، حققه محمود فاخوري، ج 2، ط 2، (بيروت: دار المعرفة، 1971)، ص 103.

(2) ابن قتيبة: **المعارف**، ص 528.

(3) **المصدر السابق**: ص 541.

(4) ابن عساكر: **تهذيب**، ج 7، ص 15؛ ابن عبد ربه: **العقد**، ج 3، ص 413.

إن صحت هذه الرواية فإن معاوية ربما فكر في هذا الإجراء بُعيد ثورة الموالي في الكوفة بقيادة أبي علي مولى بني الحارث بن كعب[1]، خشية منه من انتقال فكرة الثورة إلى البصرة، كما أن أغلب موالي العراق قد تبنوا فكرة التشيع لآل البيت وفي حق العلويين للخلافة، ويرون في معاوية مغتصباً لحق الخلافة فأمه هند آكلة الأكباد، وأبوه أبو سفيان من طُلقاء فتح مكة.

وبالرغم من اختلاط الموالي بالعرب إلا أن مخاوف العرب وكرههم واستهجانهم للعجم قد زاد من حدته في هذا العصر، حيث كانوا يعتبرون هؤلاء الأعاجم أحط منهم، وأن اختلاطهم بهم سيؤدي إلى إفساد العنصر العربي[2].

كما حرم الموالي من تولي منصب القضاء وذلك لكراهية العرب أن يقضي بينهم مولى فلما أراد الحجاج أن يعين سعيد بن جبير قاضياً على الكوفة، «ضج الناس، وقالوا: لا يصلح للقضاء إلا عربي»[3]، ولما ولى نوح بن دراج، وهو مولى، القضاء في الكوفة حنق الناس عليه فنظم الشاعر أبياتاً جاء فيها:

إن القيامة فيما أحسب اقتربت ... إذ كان قاضيكم نوح بن دراج
لو كان حيا له الحجاج ما بقيت ... صحيحة كفه من نقش حجاج[4]

ويذكر ابن عبد ربه أيضاً:

«أن إعرابياً من بني العنبر دخل على سوّار القاضي، فقال: إن أبي مات وتركني وأخاً لي وخط خطين، ثم قال: وهجيناً، ثم خط ناحية، فقال: كيف يقسم المال؟ فقال له سوّار: ها هنا وارث غيركم؟ قال: لا، قال: فالمال بينكم إثلاثاً، قال: ما أحسبك فهمت عني، إنه تركني وأخي وهجيناً، فكيف يأخذ الهجين

---

(1) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 221.
(2) صالح أحمد العلي: **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري**، (بغداد: د. ن 1953)، ص 93.
(3) المبرد: **الكامل**، ج 2، ص 439؛ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج 2 (القاهرة: مكتبة القدس، 136 هـ)، ص 2.
(4) ابن عبد ربه: **العقد**، ج 3، ص 416.

كما آخذ أنا وكما يأخذ أخي؟ قال: أجل، فغضب الأعرابي، ثم أقبل على سوّار، فقال: والله لقد علمت أنك قليل الخالات بالدهناء، قال سوّار لا يضرني ذلك عند الله شيئاً»[1].

وبنظرة العرب غير المساوية هذه، نتج ردود فعل من قبل الموالي في نهاية الدولة الأموية جعلتهم يستعيدون أمجادهم الماضية والفخر بها ولا سيما الموالي من أصول فارسية بل وصل بهم الاعتداد بأنفسهم أمام الخلفاء، وظهرت بصورة جلية في أشعارهم وهي التي تعرف باسم الشعوبية، فيروى عن إسماعيل بن يسار مولى بني تميم أنه دخل يوماً على الخليفة هشام بن عبد الملك فأنشد قصيدة يفخر بها بأصله:

إني وجدك ما عودي بذي خور	عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به	ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمي به مجد أقوام ذوي حسب	من كل قرم بتاج الملك معموم
جحاجح سادة بلخ مرازبة	جرد عتاق مساميح مطاعيم
مَنْ مثل كسرى وسابور الجنود معاً	والهرمزان لفخر أو لتعظيم؟
أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا	وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشون في حلق الماذي سابغة	متى الضراغمة الأسد اللهاميم
هناك إن تسألي تبنى بأن لنا	جرثومة قهرت عز الجراثيم

فما كان من الخليفة هشام إلا أن عاقبه حيث أمر بغطسه في بركة من الماء ثم أخرجه ونفاه إلى الحجاز[2].

ونحن وإن كنا نختلف مع بعض المصادر حول مبالغتها في ازدراء الأوضاع الاجتماعية للموالي ألا أننا نؤيد تصورها العام حول نظرة العرب غير المساوية في العصر الأموي.

---

(1) ابن عبد ربه: **العقد**، ج 3، ص 316.
(2) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 4، ص 124.

فمن الحقائق التاريخية التي لا خلاف عليها، أن البنية الاجتماعية والخلقية التاريخية للأمويين كانت تتميز بالعصبية وحب الذات، لهذا عاملوا الموالي على هذا الأساس حينما شعروا بأن الموالي يهددون صرح الدولة الأموية بانضمامهم للثورات معتقدين أن القسوة معهم ستجدي نفعاً!، ودليلنا على ذلك الإجراء الذي اتخذه الحجاج إزاء الموالي عقب خروجهم عليه وانضمامهم لحركة عبد الله بن جارود وثورة ابن الأشعث، وكان أكثر مَنْ قاتله وخرج عليه الفقهاء والموالي من أهل البصرة فلما علم بكثرة عددهم، أسقط ديوانهم وفرّق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يتضامنوا فأقبل على الموالي وقال لهم:

«أنتم علوج وعجم، وقراكم أولى بكم، ففرّقهم وفض جمعهم كيف أحب وسيّرهم كيف شاء ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجُّهه إليها، وكان الذي تولى ذلك منهم رجل من بني سعد بن عجل بن لجيم يقال له خراش بن جابر وقال شاعرهم:

وأنت من نقش العجلي راحته فرشيخك حتى عاذ بالحكم[1]

* * *

سياسة الأمويين الاقتصادية تجاه الموالي:

أخذت سياسة الدولة الأموية منذ نشأتها تتبلور في فرض سيطرتها على الموارد المالية غير عابئة بحقوق شعبها عرباً كانوا أم موالي، فقد استهل معاوية بن أبي سفيان (41 ـ 60 هـ، 661 ـ 680 م) حكمه بأن طالب من الموالي خاصة الفرس في العراق وخراسان أن يقدموا له هدايا النوروز والمهرجان فبلغ مقدار الهدايا عشرة آلاف درهم[2].

وقد ذكر اليعقوبي أن صاحب العراق كان يحمل إليه مال صوافيه والتي

---

(1) ابن عبد ربه: **العقد**، ج 3، ص 416.
(2) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 218.

بلغت مائة ألف ألف درهم، فمنها كانت صِلاته وجوائزه، وكان خراج مصر في عهد معاوية ثلاثة آلاف ألف دينار، وكان عمرو بن العاص يحمل منها إليه الشيء اليسير[1]، فكتب إليه معاوية:

«أما بعد، فإن سؤال أهل الحجاز، وزوار أهل العراق
قد كثروا عليّ، وليس عندي فضل من أعطيات الجنود
فأعنّي بخراج مصر هذه السنة» فكتب إليه عمرو:

مُعاوي أن تدركك نفسي شحيحة ... فما ورثتني مِصْرَ أُميَّ ولا أبي
وما نلتها عفواً ولكن شرطتها ... وقد دارت الحرب العوان على قطب
ولولا دفاعي الأشعري وصحبه ... لألفيتها ترغو كراغية السقب(*).

فلما رجع الجواب إلى معاوية تذمم، فلم يعاوده في شيء من أمرها[2] فلما مات عمرو (43 هـ ـ 663 م)[3] حمل المال إلى معاوية، كما طلب معاوية أيضاً من عامله بمصر وردان مولى عمرو بن العاص أن «يزد على كل امرىء من القبط قيراطاً، فكتب إليه كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم، فعزل معاوية وردان»[4].

ويذكر اليعقوبي اصطفاء معاوية ما كان لملوك الشام والجزيرة واليمن من الضياع وتصييرها لنفسه.. وأقطعها لأهل بيته وخاصته وكان أول من كانت له الصوافي حتى بمكة والمدينة[5].

وقد عمل معاوية على كسب مؤيديه في بداية وصوله للخلافة[6] بأن أغدق

---

(1) **المصدر السابق**: ج 2، ص 233.
(*) السقب: ولد الناقة الذكر ساعة تضعه أمه.
(2) الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص 222.
(3) اليعقوبي: **تاريخ.**، ج 2، ص 234.
(4) ابن عبد الحكم: **فتوح مصر**، ص 65.
(5) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 234.
(6) أبو النصر محمد الخالدي: **قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي**، رسالة دكتوراة قُدمت لجامعة القاهرة، 1949، ص 75.

عليهم الأعطيات الكثيرة حيث نراه يضاعف العطاء للعلويين بكل سخاء فوصلت الملايين فكان عطاء الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب مليوناً من الدراهم، وأعطى مثل ذلك لعبد الله بن عباس ابن عم النبي - ﷺ - وكذلك لعبد الله بن جعفر وغيرهم من أبناء الصحابة(1).

وفي سنة 53 هـ «كتب معاوية إلى زياد أما بعد فإن حولك جمهور ربيعة ومضر واليمن فأما مضر فولهم الأعمال وأحمل بعضهم على رقاب بعض وأما ربيعة فأكرم أشرافهم فإن أتباعهم لهم معاون، وأما اليمن فأكرمهم في العلانية وتجافِ عنهم في السر»(2).

فهذه الأعطية المضاعفة وغير مقسمة بالعدل والتساوي بين الناس خلقت الهوة والجفاء بين الحاكم والمحكوم، ولا سيما أن هذه الأموال من فرض الضرائب «النيروز والمهرجان» والخراج والجزية من حق الأقاليم المفتوحة وعلى حساب الموالي الكادحين.

فهذه السياسة غير عادلة من قبل معاوية جعلت بعض الخلفاء يسيرون على منهاجه في كسب مؤيديهم، وعندما شعر الخلفاء والولاة الأمويون بنقص كبير في موارد بيت المال، لجأوا إلى أسلوب بديل يحل لهم مشاكلهم المالية تمثل في إعادة الجزية والخراج على من أسلم من غير العرب (الموالي) بحجة أن الخراج كسر في جميع الأمصار الإسلامية بسبب دخول أغلب الأعاجم في الإسلام، ويعتبر أول من سن وطبق هذا الإجراء الحجاج بن يوسف الثقفي في

---

(1) ابن كثير: البداية، ج 8، ص 137؛ محمد بن أحمد الأبشهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**، ج 1 (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، 1952)، ص 58، ذكر الأبشهي: (قدم إلى معاوية ابن عباس فأهدى إليه من هدايا النوروز وحللاً كثيرة وآنية من الذهب والفضة)؛ كذلك انظر: قاسم الصباغ: «التحول الاجتماعي بالحجاز في العصر الأموي»، **مجلة أدب الرافدين**، العدد 7، (الموصل: جامعة الموصل، 1976)، ص 122.

(2) بدر الدين محمد العيني: **عقد الجمان في تاريخ أهل زمان**، ج 10، ق 2 (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1584 تاريخ) و 280.

العراق، وبذلك حرم الموالي أو المسلمين الجدد من العطاء بل من المساواة التامة مع إخوانهم العرب المسلمين[1]، مما أدى بهم الأمر إلى الانضمام إلى الثورات ضد الدولة الأموية، كما لجأ بعض الخلفاء إلى طريقة أخرى تتمثل في إحصاء السكان في الأقاليم المفتوحة مثلما أمر عبد الملك بن مروان عامله الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري بإحصاء أهل السواد والجزيرة والشام.

«فاستغل ما يؤخذ منهم فأحصى الجماجم وجعل الناس كلهم عمالاً بأيديهم وحسب ما يكسب العامل سنته كلها ثم طرح أيام الأعياد في السنة كلها فوجد الذي يحصل بعد ذلك في السنة لكل واحد أربعة دنانير فألزمهم ذلك جميعاً وجعلها طبقة واحدة..»[2].

ويعتبر عبد الملك بن مروان (65 ـ 86 هـ، 685 ـ 705 م) أول من وضع قانون الإحصاء هذا، كما ساءت أحوال الموالي الاقتصادية في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك (86 ـ 96 هـ، 705 ـ 715 م) نتيجة قسوة ولاته فلجأ أغلب موالي العراق للرحيل إلى الحجاز حيث واليها العادل عمر بن عبد العزيز فلما بلغ هذا الخبر مسامع الحجاج بعث إلى الخليفة الوليد كتاباً جاء فيه:

«إن مُراق أهل الشقاق قد جلوا من العراق ولجأوا إلى المدينة ومكة وإن ذلك وهن في سلطان الدولة فطلب الوليد من الحجاج أن يختار له رجلين ليوليهما مكة والمدينة فأشار عليه بخالد بن عبد الله القسري وعثمان بن حيان المرىء فعزل الوليد عمر بن عبد العزيز سنة 93 هـ وولى خالداً مكة وعثمان المدينة»[3].

---

(1) انظر: الطبري: **تاريخ**، ج 7، ص 50؛ اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 291.
(2) أبو يوسف: **الخراج**، ص 49.
(3) الطبري: **تاريخ**، ج 8، ص 90.

وبتوليتهما مكة والمدينة استطاعا أن يخرجوا الفارين من الموالي إلى أراضيهم[1]، وبوجود مثل هؤلاء الولاة القساة ساءت أحوال الرعية نتيجة السياسة اللامركزية التي اتبعها الأمويون.

وقد بلغ من جشع الخليفة الوليد بأن أراد أن يجعل أهل السواد فيئاً له فأخبره سليمان بن يسار أن لهم عهداً منذ خلافة عمر بن الخطاب حيث أقر عمر بن الخطاب «السواد لمن في أصلاب الرجال وأرحام النساء وجعلهم ذمة تؤخذ منهم الجزية ومن أرضهم الخراج وهم ذمة لا رق عليهم»[2].

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (96 ـ 99 هـ، 715 ـ 717 م) نعم الموالي من العدل والإنصاف، فقد كان سليمان يمقت سياسة العنف والظلم التي اتبعها الحجاج مع أهل العراق خاصة الموالي[3]، ولما آل الحكم إلى عمر بن عبد العزيز (99 ـ 101 هـ، 717 ـ 720 م) تمتع الموالي بالحقوق المادية والمعنوية والتي طالما بحثوا عنها في وسط ظلم الأمويين وولاتهم الجبابرة، فطبق عمر بن عبد العزيز مبادىء الإسلام السمحة ونهى الولاة عن اشتطاط الأهالي بالضرائب الفادحة وبعث إلى الولاة يأمرهم بالعدل والمساواة وإعطاء كل ذي حق حقه وأن يبتعدوا عن سياسة الظلم والجور فأرسل كتاباً إلى عامله بالكوفة جاء فيها:

«.. أما بعد، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسنة خبيثة استنها عليهم عمال سوء وأن قوام الدين العدل والإحسان لا تحمل خراباً على عامر، ولا عامراً على خراب، انظر الخراب فخذ منه ما طاب وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا

---

(1) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 290.
(2) البلاذري: **فتوح**، ص 373.
(3) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 11.

تأخذن في الخراج إلا وزنة سبعة ليس لها آين، ولا أجور الضرابين ولا هدية النوروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف، ولا أجور الفيوج ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض..»[1].

ويدل كتاب الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز على أن الكوفة كانت تعاني من اضطهاد اجتماعي واقتصادي من قبل الولاة الأمويين.

وقد بعث عمر كتاباً لعامله على الحيرة عبد الحميد بن عبد الرحمن يقول له فيه: «كتبت تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذنني في أخذ الجزية منهم، إن اللّه جل ثناؤه بعث محمداً داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جابياً، فمن أسلم من أهل تلك الملل وميراثه لذوي رحمه، إذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الإسلام..»[2].

ففي هذا الكتاب يتضح أن سياسة عمر جعلت الكثير من أهل الذمة يدخلون في الإسلام، حتى اعتقد بعض المؤرخين أن إسلامهم غير صحيح وأن هدفه هو إعفاؤهم من الضرائب المتمثلة في الجزية والخراج[3]، فالسياسة التعسفية التي اعتاد عليها الولاة جعلتهم غير عابثين بالوضع الاجتماعي والاقتصادي للمسلمين الجدد في الأقاليم المفتوحة فقد شكا أبو أيوب بن شرحبيل والي مصر من قبل عمر بن عبد العزيز كثرة دخول الناس في الإسلام وما يؤدي ذلك من نقص في بيت المال، واستأذن في فرض الجزية والخراج على من أسلم، فرد عليه عمر:

«قبح اللّه رأيك! إن اللّه إنما بعث محمداً هادياً ولم

---

(1) الطبري: تاريخ، ج 8، ص 138.
(2) أبو يوسف: الخراج، ص 134.
(3) الخربوطلي: تاريخ العراق، ص 256. Nicholson: Aliteray, P 247.

يبعثه جابياً فضع الجزية عمن أسلم ولعمري ولعمرُ أشقى من أن يدخل الناس كلهم في الإسلام على يديه . .»[1].

ومن سياسة عمر العادلة والهادفة إلى إحقاق الحق ونشر العدل والمساواة بين الناس وردع الولاة المتعصبين وعزلهم فقد بلغه أن عامله الجراح بن عبد الله الحكمي على خراسان يطبق سياسة الحجاج في أخذ الجزية والخراج على من أسلم، وعندما تأكد من الأمر عزله وعين عبد الرحمن بن نعيم الغامدي والياً على خراسان وأمره أن يرفع الجزية عمن أسلم من الموالي، وأن يعيد المهاجرين المسلمين (الموالي) وأبناءهم من وراء النهر إلى مدينة مرو[2].

أما في المغرب فقد عين عمر بن عبد العزيز والياً عليها وهو إسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر، فنشر العدل والمساواة بين الناس مما أدى إلى اعتناق الكثير من البربر للإسلام[3]، وألغى عمر الجزية أو الضريبة التي كان يقدمها البربر والمتمثلة في تقديم أبنائهم أو نسائهم إذا عجزوا عن تقديم الأموال، وبعث كتاباً في البربر لواته، «إن كانت عنده لواتيه فليخطبها إلى أبيهاة أو فليردها إلى أهلها»[4]

وهكذا نعم الموالي في الأقاليم الإسلامية بالعدل والإنصاف مدة خلافة عمر بن عبد العزيز القصيرة (99 ـ 101 هـ، 717 ـ 720 م) والتي دامت سنتين، وبوفاته عادت المظالم لسابق عهدها مع خلافة يزيد بن عبد الملك (101 ـ 105هـ، 720 ـ 724م) وكانت سياسته تتمثل في كتب بعثها لعمال عمر بن عبد العزيز جاء فيها:

«. . أما بعد، فإن عمر كان مغروراً غررتموه، أنتم

---

(1) البلاذري: **فتوح**، ص 309.
(2) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 302.
(3) البلاذري: **فتوح**، ص 332.
(4) **المصدر السابق**: ص 332؛ ابن سلام: **الأموال**، ص 239.

وأصحابكم، وقد رأيت كتبكم إليه في انكسار الخراج والضريبة، فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنت تعرفون من عهده وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى أخصبوا أم جدبوا، أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا، والسلام»[1].

ففي بداية عهده عين يزيد بن أبي مسلم (102 هـ، 721 م) مولى الحجاج وصاحب شرطته على المغرب، فأساء السيرة وطبق سياسة مولاه الحجاج مع الموالي في البربر مخالفاً العدالة التي أقرها إسماعيل بن عبد الله بن المهاجر في عهد عمر بن عبد العزيز، حيث فرض الجزية على من أسلم، وأجبر الأهالي على دفعها بالقوة[2]، وقد وصفه ابن عذاري بأنه كان «ظلوماً غشوماً»[3]، وأراد أن يوسم أسماء حراسه على أيديهم كما تصنع الملوك من غير المسلمين، فثار عليه حراسه من البربر وقتلوه، وأعادوا الوالي السابق وكتبوا إلى الخليفة يزيد: أنهم لم يخلعوا أيديهم عن الطاعة وإنما لم يرضوا عن سياسة الظلم والجور التي تهدد كرامة البربر وإنسانيتهم، فأدعى الخليفة بأنه ليس له العلم بأسلوب عامله هذا، ثم ولى عليهم والياً آخر وهو بشر بن صفوان الذي حاول أن ينشر الأمن والعدل والاطمئنان بين قبائل البربر، إلا أنه غيّر سياسته تجاه الموالي فأمره الخليفة يزيد بتعذيب آل موسى بن نصير ومواليهم وأنصارهم من البربر حيث كان الخليفة يزيد يتهمهم بالخيانة[4]، فأدى تصرف الوالي هذا إلى تذمر السكان من هذه السياسة الظالمة وانتهاز أي فرصة للثورة على الحكم الأموي.

أما في ولاياته الشرقية فقد أدت سياسة العنف مع السكان المحليين إلى الانتفاض والثورة، بل أسفر عن نقص العطاء وعدم إعفاء الداخلين للإسلام من

---

(1) ابن قتيبة: **الإمامة**، ج 2، ص 126.
(2) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 48؛ ابن عبد الحكم: **فتوح مصر**، ص 134.
(3) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 48.
(4) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 49؛ الحموي: **معجم البلدان**، ج 1، ص 302؛ اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 313.

الجزية والخراج في كل من الصغد وفرغانه[1]، وكش ونسف إلى الارتداد عن الإسلام، وبذلك خسر الخليفة يزيد شعبه أصبحوا ضده إضافة إلى النزاعات القبلية وأهواء الولاة المختلفة[2].

ولما تولى هشام بن عبد الملك (105 ـ 125 هـ، 724 ـ 743 م) الخلافة حاول أن يصلح ما أفسده يزيد العابث بالسياسة، فأجزل العطاء للموالي فوصل إلى ثلاثين درهماً[3]، وكان والي العراق من قبله خالد بن عبد الله القسري الذي سار في الرعية بأحسن السياسة فنعم الموالي في عهده بالمساواة وأحبوه كثيراً لكرمه وسخائه معهم وكان يُهدّي من حدة النزاع بين اليمانية والمضرية فأحبه أهل العراق وأصبح له جاه ومركز مما أدى هذا إلى حسد أعدائه الذين أوغروا صدر هشام عليه فأمر الخليفة بعزله وعين مكانه ابن عم الحجاج يوسف بن عمر الثقفي الذي كان والياً على اليمن، وما كان من الوالي الجديد إلا أن اعتقل خالد القسري بحجة تبذيره لأموال الدولة وحاسبه عليها، فاستاء الموالي من تصرف الوالي والخليفة وذهبوا إلى يوسف بن عمر وقالوا له: «نحن نتحمل هذا المال عنه ونؤديه»[4].

وكان يوسف بن عمر قد بعث خيلاً فأخذت الأثقال والإبل وموالي لخالد كانوا فيها فضرب وباع ما أخذ لهم ورد بعض الموالي إلى الرق[5].

وبتغيير الوالي واستبداله بيوسف الثقفي عادت الاضطرابات من جديد فكان هذا الوالي مرآة منعكسة عن الحجاج.

أما إقليم خراسان فقد عمت فيه الفوضى والاضطرابات نتيجة السياسة الرامية إلى نقص العطاء وفرض الجزية والخراج مما أدت إلى ثورة أهالي ما وراء النهر وارتدادهم عن الإسلام، وقد تدارك هشام الأمر بأن أرسل نصر بن

---

(1) **المصدر السابق**: ص 311؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج 4 ص 179 ـ 180.
(2) **المصدر السابق**: ج 4، ص 184.
(3) ابن عبد ربه: **العقد**، ج 6، ص 86.
(4) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 323، 333.
(5) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1813.

سيار ليكون والياً على خراسان حيث استتب الأمن بمجنه، ففرض العطاء للموالي وأعفاهم عن تقديم الجزية[1].

أما في مصر والمغرب فقد كانت الأحوال سيئة للغاية نتيجة عسف الولاة فقد زاد عبيد الله بن الحبحاب الخراج باعتبار أن مصر فتحت عنوة وأن أهلها عبيد للعرب، أما في المغرب فقد استعمل أسلوب العنف مع البربر حيث اعتبرهم فيئاً للمسلمين، وسبى النساء البربريات الجميلات، وكان عامله على طنجة عمر بن عبد الله المرادي يتعدي على الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر[2]، فهذا الوضع الاقتصادي المزري أدى إلى ظهور الثورة بين صفوف البربر.

وانتعش وضع الموالي الاقتصادي في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125 ـ126 هـ، 743 ـ 744 م) الذي زاد أعطيات للموالي[3]، ولكن مدة خلافته لم تدم إلا سنة واحدة كان الوضع العام للدولة الأموية يموج بالفتن والقلاقل[4].

فلما آل كرسي الخلافة ليزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة (126 هـ، 744 م) كانت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سيئة، فأنقص يزيد عطاء الجند لذلك وصفه أعداؤه بالناقص[5]، ومع ذلك فقد رضي الموالي عنه لأنه ينفق موارد الإقليم على أهله، كما أن أمه فارسية، وقد حاول يزيد كسب ود الموالي ولا سيما موالي العراق بأن عزل الوالي القاسي يوسف بن عمر الثقفي، وعين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والياً على العراق الذي أحبه الموالي حباً عظيماً لعدله وسيرته الطيبة فيهم، مثل أبيه[6]، إلا أن الفوضى والاضطرابات

---

(1) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 326، 327.
(2) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 51، 52.
(3) أبو الفداء: **المختصر**، ج 1، ص 204.
(4) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 333.
(5) **المصدر السابق**: ج 2، ص 335.
(6) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1890.

عجلت بنهاية صرح الدولة الأموية، فانشغل بها الخلفاء الأمويون والولاة دون النظر لأحوال الرعية.

هكذا كان الوضع الاقتصادي للموالي متأرجحاً حسب رغبة الخلفاء والولاة فلما تولى الخلافة إبراهيم بن الوليد (ذو الحجة 126 هـ، 744 م) وجد نفسه أمام منافس من أهل بيته وهو مروان بن محمد الجعدي الذي خلفه[1] في فترة حرجة لم يستطع فيها أن يخمد الفتن والقلاقل التي أساءت بالوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي وعجلت بنهاية الدولة الأموية سنة (132 هـ، 750 م).

من خلال عرضنا السابق لأوضاع الموالي الاجتماعية والسياسية يتضح لنا:

ـ أن الدولة الأموية لم يكن لها سياسة ثابتة مع مواليها، تارة تقربهم وتوظفهم لأهم المراكز الإدارية والقيادية في الدولة وتجزل لهم العطاء، وتارة أخرى تسيء إليهم وتنقصهم حقهم الاجتماعي والاقتصادي بأن تفرض عليهم الجزية والخراج، بل وفي بعض الأحيان تنظر لهم نظرة السيد للمسود وتعتبرهم فيئاً للمسلمين العرب.

فسياسة الدولة الأموية هذه جاءت نتيجة احتدام العصبية كما أشرنا إليه سابقاً، وابتعاد بعض الخلفاء والولاة الأمويين عن تطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية، وقد شعر الموالي منذ البداية بهذا الظلم وسياسة الاستبداد التي لم تتح لهم الفرصة لتقوية نفوذهم السياسي عندئذ انصرفوا إلى ميادين أكثر نفعاً وأوفر ربحاً، انصرفوا نحو تدعيم نشاطهم الاقتصادي والفكري الذي أكسبهم قوة خطيرة في نهاية الأمر، مما حذا بهم إلى المشاركة الفعالة في كل ثورة أو حركة تمرد على جسم الدولة الأموية وتتمثل ردود الفعل عند الموالي في الآتي:

1 ـ نشاط الموالي الاقتصادي.

---

(1) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 337.

2 ـ نشاطهم الفكري.

3 ـ حركات الموالي المناهضة للسياسة الأموية[1].

1 ـ نشاط الموالي الاقتصادي:

اتجه بعض من الموالي نحو تدعيم نفوذهم الاقتصادي حيث عملوا تجاراً يتاجرون في بعض السلع التموينية مثل الحبوب[2]، والتمور[3]، والزيوت[4]، وبعض السلع الحديثة.

وكان موالي العتاقة من أشهر الذين احتكروا هذا المجال فقد ذكر ابن حبيب أن زياد مولى ثقيف وسليمان وهارون موالي آل أبي خازم البجيليين ورزين أبو داود كانوا تجاراً[5]، ولم يذكر لنا أي نوع من التجارة كانت ومن المرجح أنهم كانوا يتجارون في مختلف السلع.

والجدير بالملاحظة أن أغلب الموالي الذين عملوا في مجال التجارة كان هدفهم في بادىء الأمر (أي عندما كانوا عبيداً) تجميع المال ومكاتبة سادتهم نظير إعتاقهم وحريتهم، وأحياناً تصل مكاتبة العبد لسيده إلى آلاف، فقد كاتب أبو مرداس في زمن عثمان بن عفان رجل من بني مرهبه على أربعين ألفاً وثلاثين ناقة ورعاتها، وكذلك طهمان الوندي مولى الوليد بن عقبة كاتب الوليد على سبعين ألفاً، وكان يُعين ويبيع إلى العطاء وهما من موالي الكوفة[6].

ويذكر أيضاً أن أبا نافع:

---

(1) أفردنا فصلاً خاصاً لموضوع حركات الموالي.

(2) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 22، (القاهرة: طبعة الهيئة المصرية 1973)، ص 137، (قدوم عبد العزيز بن يسار مولى بجير بسفائن دقيق).

(3) **المصدر السابق**: ج 7، ص 47. (مولى بني كليب بن يربوع كان يبيع الرطب بالبصرة).

(4) ابن قتيبة: **المعارف**، ص 529، (كان حمزة الزيات يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة).

(5) ابن حبيب: **المحبر**، ص 341.

(6) **المصدر السابق**: ص 341 ـ 342.

«كان غلاماً لابن عبد اللّه بن عامر بن كريز وكان مولاه نجيلاً فسأله المكاتبة، فقال: أكاتبك على مائة ألف، فأتى أبو نافع رجلاً من آل معمر فقال له: إن لي مالاً وأنا أكره مولاي فاشترني وكاتبني على ما بدا لك، فاشتراه بعشرة آلاف وكاتبه على خمسين ألفاً، وصار ولاؤه له»[1].

ويذكر أيضاً أن فيروز مولى حصين كاتب حصين بن الحر العنبري على خمسين ألفاً، ويذكر عن ثرائه:

«أن رجلين من العرب ابني عم تفاخرا وكانت أم أحدهما أم ولد، ففخر عليه ابن العربية بأمه، ومر فيروز بهما على ثنية ذلك، فقال ابن الأمة: هذا خالي، وأشار إلى فيروز، فرآه فيروز وقد أشار إليه، فقال: فيم أنتما؟ فقال الرجل: إن هذا ابن عمي فخر علي بأن أمه عربية وفخرت بك لأن أمي عجمية، فأمر فيروز بعض غلمانه أن يحضره عشرة آلاف درهم، وتختاً من عصب اليمن، فأحضره ذلك وهو واقف، فدفعه إلى الرجل، فقال له: يا ابن أختي! قل لخال ابن عمك يأتيه بمثل هذا»[2].

وهو نفسه الذي خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورة ضد الحكم الأموي فنادى الحجاج:

«من جاءني برأس فيروز فله عشرة آلاف، فنادى فيروز من جاءني برأس الحجاج فله مائة ألف، فأهمت الحجاج نفؤته، ولم يأمن ثقاته، ثم ظفر به الحجاج بعد، فطالبه بأن يطلعه على أمواله، فقال: إن لي

---

(1) ابن حبيب: **المحبر**، ص 346.
(2) **المصدر السابق**: ص 345، 346.

أموالاً على الناس وودائع عندهم، فاخرجني مع حرس حتى أقفه عليها، فأخرجه مع حرس، فنادى فيروز: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا فيروز مولى حصين بن الحر العنبري، فمن لي قبله وديعة أو لي عليه مال فهو من ذلك أجمع في حل محلل، ثم رجع إلى الحجاج، فقتله»[1].

فرواية ابن حبيب هذه تدل على الثروة الهائلة التي يمتكلها الموالي عامة وثروة فيروز خاصة باعتباره مولى عتاقة، ومدى الخطر الذي كان يشكله هذا المولى في اشتراكه في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث، كما تدل أيضاً على افتخار الموالي بامتلاكهم الأموال.

وكما كان الموالي يملكون الدور والحمامات والضياع والقرى، فيذكر البلاذري في كتابه فتوح البلدان عن ملكية المولي لمثل هذه المنشآت المعمارية الشهيرة آنذاك مثل دار أبي نافع مولى عبد الرحمن بن أبي بكرة في البصرة[2]، ودار عبد الله بن الأصبهاني الذي كان من أثرياء الموالي في البصرة، فقد قيل أن له أربعمائة مملوك لقي المختار بهم مع مصعب بن الزبير[3]، ومن أشهر الحمامات في البصرة حمام فيل مولى زياد بن أبيه[4]، ويُعد هذا الحمام ثاني حمام بالبصرة بعد حمام عبد الله بن أبي العاص الثقفي، وكانت تلك الحمامات تدر الأرباح الطائلة على أصحابها، كما كانت لا تبنى إلا بإذن من الولاة[5].

---

(1) المصدر السابق: ص 345.
(2) البلاذري: فتوح، ص 474.
(3) المصدر السابق: ص 488.
(4) قال أبو الأسود الدؤلي:

لعمر أبيك ما حمام كسرى ... على الثلثين من حمام فيل
وما أرقصنا حول الموالي ... بسنتنا على عهد الرسول

المصدر السابق: ص 476، 477.
(5) المصدر السابق: ص 475، (انظر: قول أبي بكرة لابنه مسلم في أهمية الحمامات وما تدر عليهم من أرباح).

ولعل الذين يمتلكون الدور والحمامات والضياع من المقربين للولاة والخلفاء وربما من موالي العتاقة فقد كان لمسمار مولى زياد بن أبيه ضيعة نسبت إليه[1]، كما كان لحمران بن أبان مولى عثمان بن عبد الملك بن مروان قرية عبادان المشهورة في البصرة[2]، ومن المرجح في ملكيتهم هذه جاءت نتيجة أقطاع أو منح الخلفاء لهم[3] وقد عمل الموالي وكلاء لمواليهم مثل موالي معاوية بن أبي سفيان الذين كانوا وكلاء على ضياعه بالحجاز[4]، وكذلك موالي هشام بن عبد الملك[5].

ويتضح مما سبق إقبال الموالي في النشاط الاقتصادي نتيجة إبعاد الأمويين لهم عن مجال السياسة بالرغم من وجود بعض الشخصيات من الموالي التي ساهمت في حركة الفتوح وفي الأعمال الإدارية إلا أن الموالي عملوا على إثبات وجودهم في الحياة الاقتصادية والعلمية فقد ذكر أعرابي هجاءه للموالي:

تَأَمَّلْتُ أَسْواقَ العِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ ... دَكَاكِينَهَا إلاّ عليها المواليَا
جُلوساً عليهَا ينفُضُون لحاهُمُ ... كَما نَفَضَتْ عُجْفُ الْبِغالِ المخاليَا[6]

وقول الجاحظ في أن العرب أبعد الناس عن الصناعة والتجارة بقوله:

«العرب، لم يكونوا تجاراً ولا صُنّاعاً، ولا أطبّاءَ ولا حسّاباً ولا أصحاب فلاحة فيكونون مهنة، ولا أصحاب زرع، لخوفهم من صغار الجزية»[7].

وحسبنا هنا قول الجاحظ في تفسير إقبال الموالي للمجال الاقتصادي.

---

(1) **المصدر السابق**: ص 486.
(2) **المصدر السابق**: ص 491.
(3) انظر: جودة: **الأوضاع**، ص 123.
(4) عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج 1 (القاهرة: مطبعة الكتب العربية 1925)، ص 214.
(5) المبرد: **الكامل**، ج 4، ص 124.
(6) عمرو بن بحر الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، حققه عبد السلام محمد هارون، ج 2 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964)، ص 251.
(7) **المصدر السابق**: ج 1، ص 69 ـ 70.

2 ـ النشاط الفكري:

اتجه بعض من الموالي إلى المجال الفكري والنبوغ العلمي فظهرت من بينهم شخصيات لامعة كان لها الأثر في المجتمع العربي في العصر الأموي:

1 ـ الحسن البصري (21 ـ 110 هـ 642 ـ 728 م):

هو أبو سعيد الحسن بن أبي يسار البصري الأنصاري بالولاء، كان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه خيرة مولاة أم سلمة، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب (21 هـ ـ 642 م) ونشأ في وادي القرى، استكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية ثم استقر في البصرة، وكان من سادات التابعين[1].

2 ـ عطاء بن أسلم (27 ـ 114 هـ 647 ـ 732 م):

هو عطاء بن أسلم بن صفوان تابعي من أجلاء الفقهاء، كان عبداً أسود، ولد في جند باليمن ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم[2].

3 ـ ابن إسحاق الزيادي الحضرمي (29 ـ 117 هـ 650 ـ 735 م):

هو عبد الله بن إسحاق الزيادي الحضرمي، يكنى أبا بحر وهو من موالي الحضرمين خلفاء بني عبد شمس، من أهل البصرة كان ضليعاً في النحو أخذ عنه كبار من النحاة كأبي عمر وابن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي والأخفش[3].

---

(1) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 2، ص 69؛ محمد بن أحمد الذهبي: ميزان الاعتدال، ج 1 (القاهرة: مطبعة السعادة، 1335)، ص 557.

(2) الأصفهاني: **حلية الأولياء**، ج 3، ص 310؛ ابن حجر العسقلاني: **تهذيب التهذيب**، ج 2، ط 1 (بيروت: دار صادر، 1325 هـ)، ص 263؛ ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ج 2، ص 119.

(3) جمال الدين ابن أبي حسن القفطي: **أنباء الرواة على أبناء النحاة**، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1950)، ص 104؛ البغدادي: **خزانة الأدب**، ج 1، ص 115.

4 ـ ابن سيرين البصري (33 ـ 110 هـ 653 ـ 629 م):

هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء، كان أبوه سيرين من جرحرايا فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد، وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق، ولد محمد بالبصرة لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان، سمع أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عمر بن الخطاب، وأنساً وروى عنه قتادة بن دعامة وخالد الحذاء وأيوب السختياني وغيرهم من الأئمة وكان محمد تابعياً من أشراف الكتاب إماماً وفقيه البصرة، أشتهر بالورع والتقوى، توفي سنة مائة وعشر بالبصرة[1].

5 ـ سليمان بن يسار الهلالي (34 ـ 107 هـ 654 ـ 725 م):

وهو مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، كان عالماً ثقة رفيعاً فقيهاً حافظاً للحديث، وقد وصف بالجلالة والعلم، وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له: اذهب إلى سليمان بن يسار، فإنه أعلم من بقي اليوم[2].

6 ـ ابن منبه (34 ـ 114 هـ 654 ـ 732 م):

هو وهب بن منبه الأنباري، مؤرخ كثير الأخبار، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن أمه من حمير، ولد في صنعاء سنة 34 هـ ـ 654 م، وولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز قضاءها وحبس في كبره، قال ابن خلكان: «رأيت له تصنيفاً ترجمه يذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم في مجلد واحد، وهو من الكتب المفيدة»وله

---

(1) الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ج 2، ص 282؛ ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 321 ـ 322؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 138؛ أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 5 (بيروت: دار الكتب العربية، د. ت)، ص 331؛ ابن قتيبة: **المعارف**، ص 226.

(2) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 2، ص 399؛ النووي: **تهذيب الأسماء**، ج 1، ص 234، 235؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 234.

قصص الأنبياء وقصص الأخبار»[1].

7 ـ الرقي (37 ـ 117 هـ 627 ـ 735 م):

ميمون بن مهران الرقي، كان مولى لامرأة بالكوفة فأعتقته فنشأ فيها ثم استوطن الرقة، فكان عالم الجزيرة الفراتية وسيدها، عُرفَ عنه الصدق والأمانة، وكان ثقة في الحديث كثير العبادة، عده ابن حبيب من أشراف المعلمين وفقهائهم وكان مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، وبصفاته هذه استمال رعاية واهتمام الخلفاء حيث استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج وقضاء الجزيرة الفراتية، وكان على مقدمة الجند الشامي مع معاوية بن هشام بن عبد الملك لما عبر البحر غازياً إلى قبرص[2].

8 ـ سعيد بن جبير (45 ـ 95 هـ 665 ـ 714 م):

هو أبو عبد اللّه وقيل أبو محمد، سعيد بن جبير بن هشام بالولاء الكوفي، من كبار أئمة التابعين عالم جليل في التفسير والحديث والفقه والعبادة، وهو حبشي الأصل تتلمذ على يد عبد اللّه بن عباس وعبد اللّه بن عمر وابن الزبير وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: «أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً»، ولما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فهرب سعيد ولحق بمكة، وكان واليها خالد القسري فقبض عليه خالد وبعث به إلى الحجاج فقتله بواسط سنة 95 هـ ـ 714 م[3].

---

(1) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 5، ص 88، 89؛ الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ج 4، ص 23؛ حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج 2 (بغداد: مكتبة المثنى، د. ت)، ص 1328.

(2) ابن حبيب: **المحبر**، ص 478؛ الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ج 4، ص 82؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 154.

(3) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 2، ص 371؛ النووي: **تهذيب الأسماء**، ج 1، ص 216، 217. أحمد بن سهل المقدسي: **البدء والتاريخ**، ج 6، (باريس: د. ن، 1919) ص 39؛ أحمدبن حسن بن قنفذ: **الوفيات**، حققه عادل نويهض، ط 4 (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983) ص 101.

9 ـ أبو البختري (.. ـ 83 هـ .. ـ 703 م):

هو سعيد بن فيروز الطائي بالولاء، ومن كبار فقهاء الكوفة، حافظ للحديث، روى عن ابن عباس وطبقته، ثار على الحجاج مع ابن الأشعث، قتل في موقعة دير الجماجم سنة 83 هـ ـ 703م[1].

10 ـ ابن وثاب (.. 101 هـ .. 720 م):

هو يحيى بن وثاب أسدي بالولاء، كوفي تابعي جليل ثقة من أفضل القراء قال الأعمش: «كان إذا قرأ لم يحس في المسجد حركة كأن ليس في المسجد أحد»[2].

11 ـ عكرمة مولى ابن عباس (.. ـ 104 هـ .. ـ 723 م):

هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله المدني، أصله من بربر المغرب توفي عبد الله ابن عباس وعكرمة عبد مملوك فباعه علي بن عبد الله بن عباس لخالد بن يزيد بن معاوية، بأربعة آلاف دينار «فأتى عكرمة علياً فقال له: ما خير لك؟ أتبيع علم أبيك؟ فاستقال خالداً فأقالهُ وأعتقه»، وكان كثير الترحال والطواف في البلاد دخل خراسان وأصبهان ومصر وغيرها، وروى عنه جمع من الفقهاء وكان يرى رأي الخوارج[3].

12 ـ أبو محمد (.. ـ 104، .. ـ 723 م):

هو أبو محمد عطاء بن يسار المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين فقيه قاض

---

(1) ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج 4، ص 72؛ ابن قنفذ: **الوفيات**، ص 94؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 92.

(2) ابن قنفذ: **الوفيات**، ص 104؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 125؛ النووي: **تهذيب الأسماء**، ج 2، ص 159.

(3) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 265، 266؛ ابن سعد: **الطبقات**، ج 5، ص 287.

روى عنه كبار الصحابة مات سنة ثلاث ومائة وهو ابن أربع وثمانين سنة[1].

13 ـ أبو عبد الله (.. ـ 112 هـ .. ـ 730 م):

هو أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل الهذلي بالولاء، أصله من فارس ولد بكابل ونشأ بها، وسبي وصار مولى لامرأة من هذيل فنسب إليها ثم أعتقته فرحل في طلب علم الحديث ورحل كثيراً في الأمصار الإسلامية واستقر به المطاف في دمشق وكان في لسانه عجمة ظاهرة وهو فقيه الشام[2].

14 ـ نافع (.. ـ 117 هـ .. ـ 735 م):

هو أبو عبد الله نافع المدني مولى ابن عمر بن الخطاب تابعي جليل، فقيه من رواة الحديث، أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها أصول الشريعة الإسلامية، وهو ديلمي الأصل مجهول النسب، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً في بعض مغازيه ونشأ بالمدينة[3].

15 ـ الأشدق (.. 119 هـ 737 م):

هو سليمان بن موسى الأموي بالولاء، ويكنى أبا أيوب أو أبا الربيع المعروف بالأشدق، من فقهاء دمشق وفقيهها، كان ينعت (بسيد شباب أهل الشام)، قال سعيد بن عبد العزيز كان سليمان أعلم أهل الشام بعد مكحول، روى أنه: «قدم هشام بن عبد الملك وهو في الرصافة فسقاه طبيب لهشام شربة

---

(1) النووي: **تهذيب الأسماء**، ج 1، ص 235؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 125.

(2) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 5، ص 280؛ الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ج 5، ص 177.

(3) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 5، ص 367؛ النووي: **تهذيب الأسماء**، ج 2، ص 123، 124؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 154؛ ابن قنفذ: **الوفيات**، ص 115؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج 5 ص 10.

فقتله ثم إن هشاماً سقى ذلك الطبيب من الدواء نفسه فقتله..»[1].

16 ـ **الهذلي (.. 126 هـ 744 .. م):**

هو عطاء بن دينار الهذلي بالولاء من رجال الحديث له كتاب في التفسير يرويه عن سعيد بن جبير توفي بمصر[2].

17 ـ **عبد الحميد الكاتب (.. ـ 132 هـ .. ـ 750 م):**

هو عبد الحميد بن يحيى العامري بالولاء المعروف بالكاتب عالم بالأدب من أئمة الكتاب كان جده مولى للعلاء بن وهب العامري فنسب إلى بني عامر عمل كاتباً على رسائل الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين[3]، ويتصف أسلوب عبد الحميد الكاتب بالدقة والبلاغة والشفافية حتى جرى المثل لسائر الذي قال: «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد»[4].

18 ـ **ابن المقفع (106 ـ 142 هـ 724 ـ 759 م):**

عبد الله بن المقفع واسمه الحقيقي روزبة بن داذويه، فارسي الأصل، استعرب بعد ذلك لساناً نشأ في البصرة عند بني الاهتم، الفصحاء وخالط الأعراب، اتصل بعمال بني أمية في عهد مروان بن محمد وعمل كاتباً لهم، ثم اتصل عبد الله بن المقفع بعيسى بن علي عم السفاح وأسلم على يديه.. وعاش حتى زمن أبي جعفر المنصور الذي قتله سنة 142 هـ ـ 759 م، ومن أهم أعمال ابن المقفع الأدبية ثلاثة كتب أدبية وواحد مترجم هي:

---

(1) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 5، ص 280 ـ 281؛ الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ج 5، ص 177.

(2) ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج 6، ص 198.

(3) النديم: **الفهرست**، ص 131؛ خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج 4، ط 2 (القاهرة: دار المؤلف، د. ت)، ص 60 ـ 61.

(4) مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند علماء العرب، ط 5 (بيروت: دار العلم للملايين، 1989)، ص 72.

1 ـ كتاب الأدب الصغير. 2 ـ كتاب الأدب الكبير أو الدرة اليتيمة.
3 ـ رسالة الصحابة. 4 ـ ترجمة كتاب كليلة ودمنة[1].

19 ـ أبو سليمان (.. 149 هـ .. 767 م):

هو أبو سليمان عيسى بن عمر، الثقفي بالولاء وهو من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية تتلمذ على يديه سيبويه وابن العلاء وأول من هذب النحو ورتبه، وهو صاحب تقعر في كلامه، مكثراً من استعمال الغريب له نحو سبعين مصنفاً احترق أكثرها وبقي منها الجامع والإكمال في النحو[2].

وكان عيسى بن عمر يطعن على العرب ويخطيء الشعراء منهم مثل النابغة الذبياني في بعض أشعاره وغيره[3].

20 ـ ابن إسحاق المطلبي (.. ـ 151 هـ .. ـ 768 م):

هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، وهو حفيد يسار الذي أسر عام 12 هـ ـ 633م بعين التمر بالعراق ثم جلب إلى المدينة وأصبح من موالي قبيلة عبد الله بن قيس، وهناك شب وترعرع، وهو من حفاظ الحديث النبوي، ومن أقدم المؤرخين، روى عن أبيه والزهري وعطاء، روى عن يحيى الأنصاري، وشعبة وعبد الله بن عون، وفي سنة 119 هـ ـ 640 م رحل إلى مصر، ثم إلى العراق وهو من المخضرمين عاصر الدولتين الأموية والعباسية توفي عام 151 هـ ـ 768 م.

ومن أشهر مؤلفاته السيرة النبوية التي رواها عنه ابن هشام، وكتاب

---

(1) النديم: **الفهرست**، ص 132. البغدادي: **خزانة الأدب**، ج 3، ص 459؛ الزركلي: الأعلام، ج 4، ص 283.
(2) النديم: **الفهرست**، ص 47؛ ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 486.
(3) عبد الرحمن بن محمد الأنباري: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الفجالة، 1967)، ص 21.

الخلفاء وكتاب المبدأ، ويعتبر من المؤرخين الأوائل[1].

21 ـ حماد الراوية (95 ـ 155 هـ 714 ـ 772 م):

هو حماد بن هرمز، وكان أبوه هرمز من سبي مكنف بن زيد الخيل وكان ديلمياً، وحماد مولى بني بكر بن وائل وأطلق عليه لقب الراوية لمعرفته بروايات العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها المشهورة وأشعارها ولغاتها، وكانت له حظوة لدى الخلفاء الأمويين فكان يجالس الخليفة الوليد بن يزيد فقال له ذات يوم:

> «بما استحققت هذا الاسم فقيل لك الرواية؟ قال: بأبي أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به، ثم لا ينشدني أحداً شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم من المحدث، فقال له: فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثير ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام، قال: سأمتحنك في هذا....»، ونجح حماد في هذا الامتحان فكافئه الخليفة بأن أعطاه مائة ألف درهم»[2].

وظهر من بين الموالي شعراء كثيرون مثل إسماعيل بن يسار[3]، ويزيد بن ضبة (ت 230 هـ، 748 م) مولى ثقيف المتميزا بشعوبيتهما[4]، وغيرهم كثيرون،

---

(1) الحموي: **معجم الأدباء**، ج 6، ص 399 ـ 400؛ البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج 1، ص 214 ـ 234؛ انظر: ابن سيد الناس: **عيون الأثر**، ج 1، (القاهرة: مكتبة القدس، 1356 هـ)، ص 11 ـ 17 (وفيه قول في الطعن عليه والدفاع عنه).

(2) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 2، ص 92؛ الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج 1، ص 239.

(3) الأصفهاني: **الأغاني**، ج 4، ص 423.

(4) **المصدر السابق**: ج 15، ص 27.

وكان بعض الشعراء من الموالي المقربين للبلاط الأموي يمدحون الخلفاء وينالون منهم المنح والعطايا مثل السائب بن فروخ مولى بني الدؤل الذي مدح الأمويين بقوله:

خطباء على المنابر فرسان عليها وقالة غير خرس
لا يعابون صادقين وإن قالوا أصابوا ولم يقولوا بلبس[1].

* * *

الموالي والعلوم التطبيقية:

برع الموالي في مجال العلوم التطبيقية مثل الطب والكيمياء، ومن أهم من عمل في مجال الطب:

- ابن آثال (تقريباً ت 46 هـ 667 م):

كان يهودي المذهب، من الأطباء المقربين إلى معاوية بن أبي سفيان وكان خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها، وما منها سموم قواتل، وكان معاوية يقربه لذلك[2].

- ماسرجويه (ت 65 هـ 685 م):

كان يهودي المذهب سريانياً، وقد تولى في عهد مروان بن الحكم تفسير كتاب أهرن بن أعين القس إلى العربية، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب[3].

---

(1) **المصدر السابق**: ج 7، ص 95.

(2) أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ج 2، (بيروت: دار الفكر، 1956) ص 24.

(3) سليمان بن حسان بن جلجل: **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيد، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955) ص 61؛ ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، ص 111، 112.

ـ تياذوق (ت 90 هـ 709 م):

طبيب مشهور له نوادر وألفاظ مستحسنة في الطب وكان من المقربين للحجاج بن يوسف الثقفي حيث كان الأخير يعتمد عليه ويثق بمداواته[1].

ـ ابن أبحر (............؟):

من أشهر الأطباء في عصر بني مروان، أسلم على يد عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة، فلما أمضت إليه الخلافة سنة 99 هـ ، 717 م، نقل التدريس من الإسكندرية إلى أنطاكية وحران[2].

ـ ابو الحكم (........؟):

وهو طبيب نصراني عالم بأنواع العلاج والأدوية، وكان طبيب معاوية بن أبي سفيان الخاص، حيث يعتمد عليه معاوية في صنع بعض تركيبات أدوية لأغراض قصدها منه[3].

ـ عيسى بن حكم الدمشقي (........)[4]:

تلك كانت نخبة من الموالي المثقفين الذين ظهرت مقدرتهم الفكرية في سماء الدولة الأموية المتعصبة للجنس العربي، فقد أدى تساؤل بعض المؤرخين حول نبوغ الموالي في مجال اللغة والفقه والشعر والعلوم التطبيقية إلى ترجيح رأيهم في الآتي: فقد عد ابن خلدون العلم من جملة الصنائع فقال: «إن العرب

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 2، ص 80؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 8، ص 80؛ ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، ص 113.

(2) ابن جلجل: **طبقات الأطباء**، ص 59؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج 6، ص 394 ـ 395.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 2، ص 28.
لم يرد ذكر تاريخ ميلاده ولا وفاته ولا في أي عصر من الخلفاء الأمويين عاش.

(4) **المصدر السابق**: ج 2، ص30.

أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم في معناهم من الموالي..»[1].

أما مؤرخونا المعاصرون مثل أحمد أمين فأرجع السبب إلى:

«إن الصحابة قد استكثروا من الموالي يستخدمونهم في بيوتهم وفي أعمالهم، فإذا كان الصحابي تاجراً فمواليه أعوانه في التجارة، وإذا كان عالماً كانت مواليه تلاميذه وأعوانه في العلم، ومتى كان عندهم حسن استعداد نبغوا فيه بحكم مخالطتهم لسادتهم في السر والعلن وملازمتهم لهم في الإقامة والسفر، ودليلنا على ذلك نافع مولى عبد الله بن عمر، فقد أخذ عنه أكثر علمه..»[2].

ويرى جرجي زيدان «أن الفرس يرون للعرب مزية عليهم بالسيادة والنبوة وهيبة الفتح، فجعلوا يتقربون إليهم بالعلم على ما تتطلبه حال الإسلام»[3].

أما النجار فإنه يؤيد هذه الآراء ويضيف إليها شعور الموالي بعقدة النقص أمام عصبية الأمويين للجنس العربي فقال:

«أرادوا أن يتلمسوا طريقاً إلى المجد حتى يتسنى لهم أن يقفوا على قدم المساواة مع العرب وحتى لا ينالهم مثل هذا الازدراء والاحتقار، وقد كان العلم من الوسائل التي اتخذوها لتحقيق تلك الغاية..»[4].

ونحن وإن نتفق مع تلك الآراء السابقة إلا أننا نرجح إقبال الموالي على النشاط الفكري جاء نتيجة عوامل ثلاثة:

---

(1) ابن خلدون: **المقدمة**، ص 601.
(2) أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ط 1 (بيروت: دار الكتب، 1979)، ص 155.
(3) زيدان: **التمدن**، ج 3، ص 53.
(4) النجار: **الموالي**، ص 94.

1 ـ عامل مادي (اقتصادي).

2 ـ عامل اجتماعي.

3 ـ عامل نفسي.

1 ـ العامل المادي (مكاسب اقتصادية):

لاقت العلوم المعرفية والعقلية اهتماماً ورعاية كبيرين لدى الخلفاء الأمويين، فقد كان معاوية بن أبي سفيان يقرب من حوله العلماء والمفكرين والإخباريين، حيث نراه يستحضر من اليمن الإخباري الشهير عبيد بن شريه الجرهمي ليسامره ويقص عليه أخبار الأمم الماضية من ملوك العرب والعجم(1)، وكذلك خالد بن يزيد بن معاوية كان شغوفاً بالعلوم التطبيقية مثل الكيمياء ـ بعدما استبعد عن الخلافة ـ فألف الكثير من الكتب في علم الكيمياء والعلوم المعملية مثل كتاب الحرارات، وكتاب يوصي به الصنعة لابنه، وكتاب الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصغير وديوان شعر كبير(2).

وكما كان لعمر بن عبد العزيز مكتبة كبيرة تزخر بمؤلفات مترجمة مثل كتاب النكاش لأهزن بن أعين القس(3).

وكما كان لدى الخليفة الأموي الوليد بن يزيد مكتبة كبيرة تضم مصنفات العلماء في العلوم المختلفة(4).

وكان هؤلاء الخلفاء كما سبق الإشارة شغوفين بالعلم والعلماء ويجزلون لهم المنح والهدايا نظير إبداعهم الفكري والعلمي، بل كانت لهم المكانة السامية في البلاط الأموي حيث يُمنح لهم حق المجالسة بالخلفاء والأمراء؛ لهذا لجأ بعض الموالي إلى إنماء وإظهار نشاطهم العلمي في مختلف المجالات لكي

---

(1) النديم: **الفهرست**، ص 102.
(2) **المصدر السابق**: ص 419.
(3) ابن جلجل: **طبقات الأطباء**، ص 61.
(4) الشكعة: **مناهج التأليف**، ص 54.

يكون لهم شرف الحضوة لدى الخلفاء الأمويين خاصة ولجمهور الناس عامة وأن تكون لهم اليد الطولى في التقدم العلمي، فقد كان عطاء بن يسار، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري ومحمد بن سيرين، وميمون بن مهران، وسالم مولى هشام بن عبد الملك، وعبد الله بن المقفع، والشاعر السائب بن فروخ، وغيرهم من الموالي الذين برعوا في مجال المعرفة والعلم والفقه، وكان وضعهم الاقتصادي جيد.

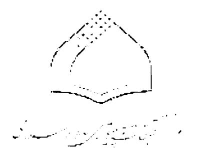
2 ـ العامل الاجتماعي:

استغل الموالي علمهم لجذب قلوب الناس إلى صفهم ولضرب الأمويين عندما يحين الوقت المناسب، فنادوا بالمساواة والعدل الاجتماعي الذي أقره الله عز وجل في كتابه العزيز، وبهذا حاول الموالي جذب انتباه الطبقة الكادحة من العامة والموالي خاصة في ظروف صعبة مرت بها الدولة الأموية، وكان يمثل مثل هذه الآراء الفقيه سعيد بن جبير، وأبو البحتري اللذان انضما إلى صفوف ابن الأشعث وتأليب الأهالي والموالي ضد الأمويين وعمالهم، وفضح سياستهم غير العادلة.

3 ـ العامل النفسي:

اجتهد الموالي في العلم والمعرفة لكي يبزوا العرب في التحصيل العلمي بل ويتفوقوا عليهم في أغلب المجالات الفكرية بأن يبلغوا أرقى درجات العلم لإبراز مقدرتهم العلمية والعقلية على مضاهاة العرب والتفوق عليهم في لغتهم الأم، مثل تفوق عبد الحميد الكاتب في كتابه رسائل الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، والتي تعد رسائله من أروع الكتب لما تمتاز به من شفافية وبلاغة منقطعة النظير، وكذلك عبد الله بن المقفع الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة إلى العربية، وغيرهما كثيرون، فكان هؤلاء الموالي إلى جانب خدمتهم للحضارة الإسلامية يهدفون إلى أهميتهم في المجتمع العربي بل والإسلامي كأن يقولوا ها نحن هنا؛ كما نستشف الهدف الحقيقي لبعض الموالي من وراء

تأليفهم في التاريخ الإسلامي هو الدس الشعوبي وتشويه تاريخ العرب، فظهرت كتب تتحدث عن مثالب العرب، وانتصاف العجم من العرب[1].



(1) انظر: ابن عبد ربه العقد، ج 3، ص 403 (قول الشعوبية وهم أهل التسوية)، وأيضاً ص 408 (رد ابن قتيبة على الشعوبية)؛ انظر كذلك: النديم: الفهرست، ص 137 حول مَن كتب عن انتصاف العجم من العرب لسعيد بن حميد، وكتاب فضل العجم على العرب وافتخارها لسعيد أبختكان.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع

حركات الموالي المناهضة للسياسة الأموية في المشرق والمغرب والأندلس وموقفهم من الأحزاب المعارضة

أولا: ثورات الموالي في المشرق:

- الموالي وثورة عبد الله بن الزبير
- انضمام الموالي لثورة المختار بن عبيد الثقفي
- حركة عبد الله بن جارود والموالي
- اشتراك الموالي في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث
- انتفاضة أبي الصيداء وانضمام الموالي إليه.
- التحاق الموالي بثورة الحارث بن سريج

ثانياً: ثورات الموالي في المغرب والأندلس:

- ثورات الموالي على الدولة الأموية
- غزوة الأشراف (122 هـ ـ 739 م)
- موقعة بقدورة (124 هـ ـ 741 م)
- وقعة الأصنام والقرن (125 هـ ـ 742 م)
- ثورات الموالي في الأندلس وانبعاث العصبية القبيلية بين عرب الشمال والجنوب

ثالثاً: الموالي والأحزاب المعارضة للسياسة الأموية:

- الموالي والخوارج
- موقف الموالي من التشيع

أولًا: في المشرق

تناولنا في الفصل السابق أوضاع الموالي الاجتماعية والاقتصادية، وتعرفنا على السياسة الاستبدادية التي انتهجتها الدولة الأموية إزاء الموالي، وكيف حاول العناصر غير العربية إثبات وجودهم في خضم هذه السياسة، عن طريق تنمية وتحسين وضعهم الاقتصادي بالاعتماد على أنفسهم واتجاههم نحو التحصيل العلمي والفكري لمضاهاة العرب، وفي هذا الفصل سنتعرض لدراسة حركات الموالي المناهضة للسياسة الأموية في المشرق والمغرب والأندلس وانضمام الموالي لحزبي الخوارج والشيعة.

وقد اتجه الموالي لكل ثائر عن جسم الدولة الأموية عندما شعروا بأن وضعهم لم يتحسن إلا بالحركات الانتفاضية، حيث انخرطوا في بادىء الأمر في جيش عبد الله بن الزبير عندما أعلن ثورته على الأمويين[1].

ولعل هدف الموالي من الاشتراك في الثورات في بداية الخلافة الأموية هو من أجل المساواة الاجتماعية والاقتصادية، وقد وضح هذا الاتجاه في معاتبة الموالي لابن الزبير الذي أبخس عطاياهم، فهجوه في شعرٍ يندد ببخله، فقال أبو وجزة مولى الزبير:

إن الموالي أمست وهي عاتبة ... على الخليفة تشكو الجوع والحربا

ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا ... أي الملوك على ما حولنا غلبا؟

---

(1) يذكر البلاذري مشاركة الأساورة في وقعة الزبدة حيث كانوا من ماهري الرمي بالرماح والأسهم، والبلاذري: فتوح، ص 499.

ويقول فيه الضحاك بن فيروز الديلمي:

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة ... وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئاً قضمتهُ ... كما قضمت نارُ الغضى حطب السدر
فلو كنت تجزي إذ تبيت بنعمة ... قريباً لردتك العطوف على عمر[1]

انضمام الموالي لثورة المختار بن عبيد الثقفي (66 هـ - 685 م):

قبل الشروع في التعرف على دور الموالي في ثورة المختار، لا بد من إعطاء لمحة سريعة عن ترجمة هذه الشخصية.

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، وهو رجل طموح يطمع في الإمارة وكان يحاول بقدر الإمكان استغلال المواقف لصالحه، بدأ ظهوره على مسرح الأحداث السياسية عندما طلب من عمه سعد بن مسعود والي المدائن أن يقبض على الحسن بن علي - رضي الله عنه - ويبعثه لمعاوية، عندما خرج في مظلم ساباطا لقتال الأخير سنة 41 هـ - 661 م إلا أن عمه رفض ذلك، فلما علمت الشيعة بنوايا المختار عزمت على قتله إلا أن عمه شفع عنه عند الحسن فعفا عنه[2].

وعندما رأى المختار في الانضمام لصف معاوية لا فائدة مرجوة، اتجه إلى حركة مسلم بن عقيل عم الحسين بن علي بالكوفة ليكون عوناً لهم على الأمويين، إلا أن عبيد الله بن زياد قبض عليه وأودعه السجن، ولكن شاءت الأقدار أن أُخرج من السجن بعد أن شفع له عبد الله بن عمر بن الخطاب ليغادر الكوفة ويرحل إلى الحجاز، فانضم لصف عبد الله بن الزبير لكن لكلا الرجلين أطماع وأهداف متباينة وغير موحدة فلم يستمر الوفاق طويلاً، فأخذ المختار يتزعم حركة الشيعة بالكوفة، وقد كسب ودهم وثقتهم عقب مقتل

(1) علي بن الحسين المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد ميحي الدين عبد الحميد، ج 3، ط 4 (القاهرة: مطبعة السعادة، 1964) ص 84، 85؛ ابن خياط: **تاريخ**، ص 257.
(2) البلاذري: **أنساب**، ج 5، ص 214.

زعيمهم الروحي (سليمان بن صرد)، خاصة وأنه زعم بأنه موفد من قبل محمد بن الحنفية للأخذ بثارات آل البيت والدعوة لهم، ولكن الشيعة شكّت في أمره فطلبت التحقق من الأمر فذهبوا إلى ابن الحنفية فقال لهم:

«ما أحب إلينا من طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا فانصرفوا إلى المختار فبايعوه وعاقدوه»[1].

وقد انضمّ إلى المختار الكثير من الشيعة إلى جانب الموالي، حيث عمل على اجتذاب الموالي بأن اختار رئيس حرسه منهم وهو كيسان أبو عمره مولى عرينه، وأعلن بأن أيما عبد انضمّ إليه يكون حراً.

وفي هذه الأثناء عمل ولاة ابن الزبير في الكوفة على اتباع سياسة البطش بالشيعة والموالي (أتباع المختار) فما كان من المختار إلا أن أعلن الثورة على ابن الزير، ودخل قصر الإمارة بالكوفة، واصطفى الأموال وفرقها على العرب والموالي بالتساوي وأخرج عبد اللّه بن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة وخطب في الناس قائلاً:

«تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم»[2].

وبهذه الخطبة أشعل نار العداء بين المختار وابن الزبير، فعمل الأخير على إلقاء القبض على محمد بن الحنفية وآله خشية منه لتداعي الناس إليه ومبايعته والرضا بأمره ـ فابن الحنفية في نظر الجميع وخاصة (الموالي والشيعة) يمثل الزعامة القدسية والدينية التي تستقطب الأنصار والمؤيدين من المستضعفين ـ وألزمه بمبايعته للخلافة قسراً وهدده وأهل بيته بالقتل حرقاً إذا لم يبايعوا، فبعث

---

(1) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 258.
(2) الطبري: **تاريخ**، ج 7، ص 633.

ابن الحنفية إلى المختار يستنجده، فاستغل المختار هذا الحادث لصالحه الذي يعزز موقفه أمام الشيعة فخطب وقال:

«هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم، ومن معه من إخوانكم قد تركوا محظوراً عليهم حظار كزرب الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في أثناء الليل ونارات النهار لستُ بأبي إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً وأسرب إليهم الخيل في آثار الخيل كالسيل يتلو السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل»[1].

وبهذا اصطبغت ثورة المختار بالصبغة الشرعية فالتف حوله الاتباع من العرب والموالي، وحاول المختار التوفيق بين أشراف العرب في الكوفة وبين الموالي لكنه لم ينجح في ذلك، فقد لاحظ الموالي تقرب المختار من العرب فشكوا ذلك إلى رئيس حرسه كيسان حيث قالوا له: «أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا»، فلما علم المختار بذلك قال: «قل لهم: لا يشق ذلك عليكم فأنتم مني وأنا منكم، ثم سكت طويلاً، ثم قال: إنَّا من المجرمين منتقمون»[2].

فاطمئنت الموالي من جانب المختار، لكن أشراف العرب في الكوفة كانت ناقمة على سياسة المختار هذه في التقرب للموالي ومساواته للموالي بهم فقال له أحدهم وهو شبث بن ربعي:

«عمدت إلى موالينا وهو فيء أفاءه اللّه علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر والثواب في ذلك والشكر»[3].

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2 (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1103) و 521.

(2) الطبري: تاريخ، ج 7، ص 634.

(3) المصدر السابق: ج 8، ص 650.

فكان جواب المختار عليهم: «إن أنا تركت مواليكم وجعلت فيئكم فيكم أتقاتلون معي بني أمية والزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن إليه من الأيمان؟»[1].

ومن هذا نستدل على أن المختار الثقفي لم يكن غرضه من استقطاب الموالي رأفة لحالهم وإنما كان هدفه تجميع أكبر قدر من آلة الحرب إذا صح التعبير.

لكن الأشراف رفضوا هذا العرض واجتمعت كلمتهم على الثورة عليه فذهبوا إلى عبد الرحمن بن مخنف وطلبوا منه الانضمام إليهم فنصحهم بالتريث وعدم الخروج على المختار قائلاً:

> «إني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا مع الرجل ـ أي المختار ـ شجعانكم وفرسانكم من أنفسكم.. ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء والله واحدة ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وإن انتظرتموه قليلاً كفيتموه بقدوم أهل الشام أو بمجيء أهل البصرة فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم»[2].

وهذه الرواية توضح كثرة عدد الموالي المنضمين في جيش المختار وكذلك بعض أشراف العرب، ولكن أشراف الكوفة أصروا على قتال المختار فخرجوا إلى مصعب بن الزبير بالبصرة طالبين منه يد العون والنصرة على المختار بقولهم له:

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 731، «ولكننا نجد رواية تختلف عن هذه عند الدنيوري حيث يقول: واجتمع أشرافهم فدخلوا عليه، فعاتبوه، فقال: لا يبعد الله غيركم، أكرمتكم فشمختم بأنافكم، ووليتكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أطوع لي منكم وأوفى وأسرع إلى ما أريد»، الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص 299.

(2) الطبري: **تاريخ**، ج 8، ص 651؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 231 ـ 232.

«إنه تأمر علينا بغير رضى منا، وزعم أن ابن الحنفية بعثه إلينا، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل وأطعم موالينا فيئنا وأخذ عبيدنا، فحارب بهم يتامانا وأراملنا وأظهر هو وسبايته براءة من أسلافنا الصالحين»[1].

ولعل اجتماع كلمة أشراف العرب في الكوفة على حرب المختار صديقهم بالأمس ليست بسبب تقريبه للموالي فحسب بل لابتداعه لبعض الآراء المتطرفة التي لا تمت للإسلام بصلة[2].

وقد لبى مصعب بن الزبير نداء أشراف الكوفة، فجهز جيشاً قوياً لقتال هذا المارق المخادع، واستدعى المهلب بن أبي صفرة من بلاد فارس لمحاربة المختار في الكوفة كما خرج في هذه الأثناء عبد الرحمن بن مخنف ليحمل أهل الكوفة على البيعة لابن الزبير وخلع المختار.

وكان يتزعم جيش المختار أحمد بن شميط، وكانت الأغلبية العظمى في جيش المختار من الموالي، حتى أن معسكره كان لا يسمع فيه لسان عربي؛ لذلك عمل مصعب على إرسال رجل يدعى عبد اللّه بن وهب الجشمي إلى ابن شميط ليخادعه فقال له:

«إن الموالي والعبيد وآل خور عند المصدوقة وأن معهم رجالاً كثيراً على الخيل وأنت تمشي فمرهم فلينزلوا معك فإن لهم تلك أسوة فإني أتخوف إن طوردوا ساعة وطوعنوا وضوربوا ثم يجدوا من الصبر بدا».

وكانت هذه خدعة من الجشمي فما كان القتال حتى أخذ ابن شميط بهذه النصيحة فحلت هزيمة مروعة بجيش المختار عند المذار، وقتل قائده ابن شميط[3].

---

(1) الطبري: تاريخ، ج 8، ص 650.
(2) انظر: ملحق رقم 7.
(3) المصدر السابق: ج 8، ص 721 ـ 722.

وبهذه الهزيمة الساحقة لجيش المختار أيقن أن نهايته قد حانت فقد شتت جيشه بالأسر والتقتيل فقال: «قتلتوالله العبيد قتلة ما سمعت بمثلها قط.. ما من الموت بد وما من ميتة أموتها أحب إليّ من مثل ميتة ابن شميط هذا مصارع الكرام»[1].

فلما وصل جيش مصعب بن الزبير إلى الكوفة استمات المختار في قتاله وهو في قلة من اتباعه لمدة أربعة أشهر وهو يكر ويفر ثم تحصن بقصر الإمارة فكانت نهايته على يد مصعب بن الزبير الذي اقتحم قصر الإمارة وقتله[2].

وهكذا تنتهي قصة المختار بن أبي عبيدة الثقفي سنة (67 هـ، 686 م) لكنها تركت آثاراً سلبية، أهمها:

1 ـ شجعت ثورة المختار الموالي على التجرؤ عن الدولة الأموية فيما بعد.

2 ـ أصبحت الكوفة والعراق بصفة عامة في نظر الدولة الأموية مركز شغب وتمرد.

اشتراك الموالي في حركة عبد الله بن جارود العبدي (75 هـ ـ 694 م):

لما استقرت الأمور لعبد الملك بن مروان، وقضى الأمويون على المشاكل الداخلية، عملوا على إحكام سيطرتهم بتولية عمال أشداء أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي والمهلب بن أبي صفرة على العراق، وكانت سياسة الحجاج في العراق تنطوي على التهديد والوعيد، وقد تمثل ذلك في خطبته لأهل الكوفة في قوله:

«يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق والمراق
ومساوىء الأخلاق، إن أمير المؤمنين نثل كنانته،

---

(1) **المصدر السابق**: 724.

(2) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 8، ص 290.

> فعجمها عوداً عوداً، فوجدني أمرّها عوداً وأصعبها كسراً، فرماكم بي، وأنه قلدني عليكم سوطاً وسيفاً، فسقط السوط وبقي السيف»[1].

وبتولي الحجاج منصب الإمارة في العراق وإمعانه في سياسة الاستبداد تجاههم أخذت أحوال الناس في تدهور مستمر حيث أنقص أعطياتهم وحرم الموالي من الميزات التي منحها لهم الإسلام مثل إعفائهم من الجزية، ويرجع سبب انضمام الموالي لحركة عبد الله بن جارود أن الحجاج عندما ندب الناس للانضمام للمهلب بالبصرة لقتال الخوارج خطب فيهم قائلاً:

> «إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ولست أجيزها، فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدي فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا..»[2].

فما كان من الحجاج إلا أن كذبه وتوعده، فثار ابن جارود على حكمه الجائر، فانضم إليه الفقهاء والمقاتلة والموالي، وكان هؤلاء الموالي من ضمن الجماعات التي فرت من سياسة الحجاج القمعية إلى البصرة، ولكن قوات الحجاج استطاعت القضاء على حركة التمرد هذه بقتل قائدها وتشتيت جموع المتمردين[3].

تعد حركة ابن جارود أول مواجهة مسلحة بين الحجاج والموالي، ويمكن أن نطلق عليها حركة تمرد محلية غير منظمة إلا أنها تركت نتائج سلبية على السياسة الأموية حيث شجعت الموالي بالانتفاض عن السلطة الأموية واللجوء إلى الثوار مثل ثورة عبد الرحمن الأشعث، وثورة أبي الصيداء صالح بن طريف، وانتفاضة الحارث بن سريج.

---

(1) الطبري: تاريخ، ج 8، ص 865؛ اليعقوبي: تاريخ، ج 2، ص 273.
(2) الطبري: تاريخ، ج 8، ص 874.
(3) الطبري: تاريخ، ج 8، ص 875.

اشتراك الموالي في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث (81 ـ 83 هـ/700 ـ 702 م):

لقد واجهت الدولة الأموية ثورة من أعنف الثورات والمتمثلة في ثورة رجل من كندة وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس، من أشراف قومه، وكان قائداً شجاعاً فخوراً بنفسه، يرجع سبب الثورة في شخصيته فهو رجل معتد بنفسه وبماله مما جعل الحجاج الثقفي يتحرز منه فعهد إليه بولاية سجستان[1]، وكانت قبل أن يتولاها ابن الأشعث تحت إمرة عبيد اللّه بن أبي بكر الذي أوغل المسلمين في بلاد كابل وظن أنه يستطيع الانتصار على العدو، ولكن قوات العدو انتصرت على المسلمين، وبلغ ذلك الحجاج فبعث للخليفة عبد الملك بن مروان يخبره بالأمر[2] ولكن الخليفة فوض له الأمر وبعث إليه بكتاب جاء فيه:

> «أما بعد، أتاني كتابك تذكر فيه مُصاب المسلمين بسجستان، وأولئك قوم كتب اللّه عليهم القتل فبروزا إلى مضاجعهم وعلى اللّه ثوابهم، وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأي من توجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون. . . فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشداً موفقاً، وكان الحجاج ـ وليس بالعراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ـ يقول ما رأيته قط إلا أردت قتله[3].

وعهد إليه ولاية سجستان ليقف على حقيقة أمره وطلب منه أن يخضع رتبل أمير كابل، ورحل عبد الرحمن بن الأشعث إلى سجستان والياً عليها وهو عاقد العزم على خلع الطاعة للحجاج، فأعد له الحجاج أفضل الجيوش عرف

---

(1) ابن قتيبة: **الإمامة**، ج 2، ص 29 ـ 30.
(2) الطبري: **تاريخ**، ج 8، ص 1037 ـ 1038.
(3) ابن كثير: البادية والنهاية، ج 9، ص 31.

بجيش الطواويس، واستقر عبد الرحمن عاماً ببست[1] ثم توجه إلى كابل لإخضاع ملكها[2]، وتم له النصر في هذه المعركة مما اضطر رتبل[3] إلى الانسحاب والتخلي عن جزء كبير من بلاده فلما أوغل ابن الأشعث في بلاد كابل خشي التوغل في البلاد لعدم معرفته التامة بمناطقها وقرر الرجوع إليها في العام المقبل، فرجع إلى بست وبعث إلى الحجاج يعلمه بذلك، فرد عليه الحجاج بكتاب يتوعده ويتهمه بالجبن والمهادنة[4]، ويأمره هو وجنده بأن يحرثوا الأرض التي جاءوا للقتال فيها، استهزاءً منه لابن الأشعث ثم أردفه بكتاب آخر جاء فيه:

«أما بعد فامضِ لما أمرتك به من الوغول في أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس فخله وما وليته»[5].

استاء ابن الأشعث من كتب الحجاج وجمع جنده واطلعهم على ما تتضمنه هذه الكتب، وخطب فيهم قائلاً:

«أيها الناس إني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعة ناظر، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت ذوي أحلامكم وأولي التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأياً ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً وقد كتبت إلى أميركم الحجاج فجأني كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني

---

(1) بست وادي بأرض أربل من ناحية أذربيجان في الجبال، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج 1، ص 612.

(2) ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 461؛ المسعودي: **التنبيه والإشراف**، ض 271.

(3) كانت العرب تأخذ الخراج من رتبل، لكن رتبل امتنع عن دفع الجزية، انظر: الطبري: **تاريخ**، ج 5، ص 1036.

(4) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 277.

(5) الطبري: **تاريخ**، ج 8، ص 1053.

بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس إنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم وآبي إذا أبيتم»[1].

وكان لهذه الخطبة الأثر الإيجابي في نفوس جند ابن الأشعث فتعالت الصيحات في معسكره على خلع طاعة الحجاج الوالي المستبد الذي لا يكترث بنفوس المسلمين ولا سيما أن أغلب جند ابن الأشعث من العراقيين (عرب وموالٍ) وكان لخطبة عامر بن واثلة الكناني أثر بالغ عند الموالي خاصةً حيث قال:

«أما بعد فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول، إذ قال لأخيه أحمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك وإن نجا فلك، إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب فإن ظفرتم ففتحتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وإن ظفر بكم عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتهم ولا يبقى عليهم، اخلعوا عدو الله وبايعوا عبد الرحمن فإني أشهدكم أني أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله»[2].

لاقت فكرة الثورة قبولاً حسناً لدى جند ابن الأشعث لذلك انضم إليه الشعراء والفقهاء وكان أغلب الفقهاء من الموالي، وكان سعيد بن جبير الفقيه المشهور من ضمن من خرج مع ابن الأشعث وكذلك أثرياء الموالي أمثال فيروز مولى حصين[3].

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 461 ـ 462.
(2) الطبري: **تاريخ**، ج 8، ص 1054؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 462.
(3) ابن حبيب: **المحبر**، ص 345.

جهز ابن الأشعث الجيش لإعلان الثورة العارمة عن الحكم الأموي وكتب إلى المهلب بن أبي صفرة والي خراسان يطلب منه الانضمام إلى ثورته ومد يد العون له ولكن ابن أبي صفرة رفض طلبه وحذره بقوله: «انظر إلى نفسك فلا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكثها»[1].

فما كان من ابن الأشعث إلا أن عقد صلحاً مع رتبل وقرر العودة إلى العراق لمحاربة الحجاج وحده ولقب نفسه بناصر المؤمنين[2] عندما علم بأنه لا فائدة من المهلب، فكتب الأخير إلى الحجاج رسالة يعلمه فيها بغدر ابن الأشعث والعراقيين جاء فيها: «إن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل»[3].

استاء الحجاج كثيراً عندما علم بخيانة ابن الأشعث والتفاف الموالي والعراقيين من حوله فأعد العدة وطلب المعونة من الخليفة فأرسل له جيشاً كبيراً من الجند الشامي[4]، واشتبك الطرفان في قتال عنيف عند دجيل[*] وكان القتال من صالح ابن الأشعث حيث دخل الأخير البصرة فوجد أهلها على أهبة الاستعداد لاستقباله هم ومواليهم الذين ساموا ظلم الحجاج، فخلعوا طاعته، ثم واصل ابن الأشعث انتصاراته على قوات الحجاج حتى دخل الكوفة سنة 82 هـ - 701 م فرحب به أهلها وبايعوه[5].

شعر الخليفة عبد الملك بن مروان بتحرج موقف الخلافة فأرسل لأهل العراق ابنه عبد الله وأخاه محمد يعرضون عليهم شروطاً لعقد الصلح، فاشترط أن الأغلبية العظمى من سكان هذا الإقليم تناهض الخلافة الأموية.

---

(1) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 9، ص 36.
(2) المسعودي: **التنبيه**، ص 288.
(3) ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 464.
(4) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص 319.
(*) دجيل: اسم نهر في الأهواز، راجع : الحموي: **معجم البلدان**، ج 2، ص 555.
(5) ابن الأثير: **الكامل**، ج 4، ص 465.

وكانت شروط أو عروض الخليفة تتمثل في الآتي:

1 ـ عزل الحجاج وتعيين محمد بن مروان والياً على العراق.

2 ـ المساواة التامة لأهل العراق في الأعطيات مع أهل الشام.

3 ـ منح ابن الأشعث الولاية على أي بلد يرغب أن يكون أميراً عليها.

تعكر صفو الحجاج عندما علم بعرض الخليفة هذا على العراقيين وأرسل له بنصيحة بعدم موادعة العراقيين وحذره منهم ولا سيما أنهم أهل غدر وخيانة، لكن الخليفة. كان مُصراً على رأيه هذا الذي يحقن دماء المسلمين ويمنع تسرب الفتن والقلاقل في عضد الدولة الأموية وخشية منهم من تفاقم خطر العنصر غير العربي والمتمثل في الموالي.

وصلت عروض الخليفة إلى ابن الأشعث والعراقيين، فرحب عبد الرحمن بهذه الشروط إلا أن العراقيين رفضوا تماماً فكرة الصلح وعقدوا العزم على مواصلة القتال والانفصال عن جسم الدولة الأموية وكان هذا الرفض في صالح الحجاج الذي كسب الوقت الكافي لمقاتلة العراقيين، «وكان جملة ما اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم»[1]. والتقت القوتان عند دير الجماجم سنة 83 هـ ـ 702 م في معركة عارمة كان القتال فيها سجالاً ودامت المعركة مائة يوم أسفر هذا القتال عن انتصار قوات الحجاج وانهزام العراقيين وفرار عبد الرحمن بن الأشعث مع بقية من قواته، فلحقت بهم الجيوش الشامية بقيادة الحجاج والتقى الجيشان عند مسكن تم فيها هزيمة الأشعث وفراره إلى سجستان حيث اتصل بالأمير رتبل الذي وفر له الآمان وقتاً من الزمن إلا أن الحجاج استطاع أن يغري رتبل وفق شروط معينة تم فيها تسليم ابن الأشعث أسيراً للحجاج ولكن الأخير غافل الحراس والقى بنفسه من حصن الرخج فسقط جثة هامدة وهكذا فضل ابن الأشعث الانتحار على أن يسلم للحجاج ليفعل به ما يريد[2].

(1) ابن كثير: البداية، ج 9، ص 33.

(2) المقدسي: البدء والتاريخ، ج 6، ص 37؛ اليعقوبي: تاريخ، ج 2، ص 279.

ثورة أبي الصيداء صالح بن طريف (110 هـ ـ 728 م):

قامت ثورة أبي الصيداء في عهد الخليفة بن عبد الملك سنة (110 هـ ـ 728 م) في بلاد ما وراء النهر وكان سببها اقتصادياً واجتماعياً ودينياً، وقد روى الطبري أن أشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان أراد إرسال رجل تقي إلى بلاد ما وراء النهر يدعو الناس إلى الإسلام، فوقع الاختيار على أبي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة، فاشترط الأخير ألا يأخذ الجزية على من دخل الإسلام، فوافق أشرس على شرطه هذا، فخرج أبو الصيداء إلى سمرقند ـ وكان على حربها وخرابها الحسن ابن أبي العمرطة الكندي ـ ودعا أهلها إلى الإسلام فوجد قبولاً لدعوته ودخل معظم العجم في الإسلام، فكتب الدهاقون إلى أشرس بأن الخراج انكسر بدخول الأتراك في الإسلام، فكتب أشرس إلى الحسن بن أبي العمرطة الكندي أن يأخذ الخراج من العجم بقوله:

> «إن في الخراج قوة المسلمين وقد بلغني أن أهل السغعد وأشباههم لم يسلموا رغبة وإنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزية فانظر من اختتن، وأقام الفرائض وحسن إسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه خراجه»[1].

وعندما رفض ابن أبي العمرطة ذلك عزله أشرس وعين بدلاً عنه هانيء بن هانيء والأشحيذ، وأمعنا الاثنان في أخذ الجزية على مسلمين العجم، وحاول أبو الصيداء منعهما من ذلك فكتب هانيء: «إن الناس قد دخلت الإسلام وبنوا المساجد» فاستاء الدهاقون من إسلام العجم الذي أضر مصلحتهم في جمع الضرائب فأصبح من المتعذر الحصول على الأموال فكتبوا إلى أشرس يوضحون له حقيقة الأمر بقولهم: «ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً»[2]، أي صار العجم مسلمين، فكان رد فعل أشرس بأن استبدل العمال

(1) الطبري: تاريخ، ج 9، ص 1058.
(2) المصدر السابق، ص 1508.

بغيرهم أشداء وأمرهم بأخذ الجزية على من أسلم من الموالي[1]، فأحجم الموالي على دفع الجزية واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند معلنين الثورة على السياسة التعسفية من قبل الوالي أشرس وعلى الحكم الأموي الجائر، فانضم إلى الثورة ثابت قطنة الشاعر وبعض أشراف العرب مثل ربيع بن عمران التميمي والقاسم والثيان وأبو فاطمة الأزدي وغيرهم، فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي الذي كتب إلى أبي الصيداء يطلب منه المجيء إليه والتفاهم معه هو وأصحابه فلما قدم أبو الصيداء وثابت قطنة سجنهما المجشر فقال: «أبو الصيداء: غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال له هانيء ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء، وحمل أبا الصيداء إلى أشرس وحبس ثابت قطنة عنده».

وهكذا أصبح الموالي بدون زعيم إلا أنهم التفوا حول أبي فاطمة وولوه مهمة الثورة لكنه أشار عليهم بالمهادنة فقال لهم «كفّوا حتى أكتب إلى أشرس فيأتينا رأيه فنعمل بأمره.. فكتب أشرس ضعوا عليهم الخراج» ورأى أصحاب أبي الصيداء إصرار أشرس على رأيه فانسحبوا من تأييد الموالي[2]، حيث رأوا أن موقفهم أصبح ضعيفاً عندئذ فَقَدَ الثائرون من الموالي النصير وخاصة أن العمال قد أمعنوا في إذلالهم والاستخفاف بهم وأجبروهم على دفع الجزية صاغرين مما أدى الأمر إلى ارتداد السغد وبخارا عن الدين الإسلامي[3]، والتجائهم إلى الترك ليساندوهم في تقويض الحكم الأموي والسيادة العربية.

جهز أشرس جيشه لقتال الموالي المتمردين والأتراك سنة (110 هـ - 128 م)، ونزل آمُل وبقي فيها ثلاثة أشهر ثم قدم إليه قطن بن قتيبة بن مسلم في عشرة آلاف وعبر النهر وكان أهل السغد وبخارا معهم خاقان والترك فحاصروا الجيوش الإسلامية، فأرسل لهم أشرس مسعود من بني حيان في سرية اشتبك

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 54.
(2) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1509.
(3) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1510.

فيها مع العدو أسفرت عن هزيمة جيش مسعود الذي تراجع إلى أشرس فالتقت قوات أشرس مع المشركين وكان النصر فيها حليف القوات الأموية، إلا أن الترك سدوا أمام الأمويين طريق العبور إلى نهر بلخ وقطعوا عنهم الماء، فمات من العطش سبعمائة وعجز الناس عن القتال إلا أن إيمان المسلمين بالجهاد كان له أثر كبير فحض الحارث بن سريج الناس على الجهاد وقال: «أيها الناس القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند اللّٰه من الموت عطشاً، فتقدم الحارث بن سريج وقطن بن قتيبة، وإسحاق بن محمد، وقاتلوا حتى أبعدوا الترك عن الماء فشربوا وارتووا وواصلوا مسيرهم للجهاد، فأتى أشرس بخارا فحاصرها وبعث بقوات أخرى متجهة نحو كمرجة[1]، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين لم تؤدِ إلى نتيجة حاسمة فحاصرهم الأتراك عند كمرجة ثلاثة وخمسين يوماً فلما طال الحصار أعطى الأتراك الأمان للمسلمين على أن يرحلوا عنها إلى سمرقند أو الدبوسية[2].

واجه الجيش الأموي بقيادة أشرس الصعاب فقد حاصرهم الترك عند سمرقند فبعث إليهم الخليفة بنجدة من الجيش الشامي بقيادة الجنيد بن عبد الرحمن، الذي كان في الهند، فاستطاع الجنيد أن يفك حصار الترك عن القوات الأموية وعند عودة أشرس من سمرقند عزله الخليفة هشام بن عبد الملك وعين مكانه الجنيد[3].

ثورة الحارث بن سريج وانضمام الموالي (116 ـ 128 هـ/734 ـ 745 م):

قام الحارث بن سريج بثورته ضد الدولة الأموية لنصرة الأعاجم ومساواتهم مع إخوانهم العرب المسلمين، وهو في ذلك يُكمل رسالة أبي الصيداء في مناهضة السياسة الاستبدادية من قبل الولاة الأمويين المتعصبين،

---

(1) **المصدر السابق**، ج 9، ص 1514 ـ 1515.

(2) دبوسية: بلدة من أعمال الصغد من ما وراء النهر، الحموي: **معجم البلدان**، ج 2، ص 546.

(3) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1535.

فحرض الموالي على الثورة ووعدهم بالمنح والعطايا ورفع الجزية عنهم، فانضم إلى جانبه الموالي والدهاقون والكثير من العرب الساخطين على الحكم الأموي من قبائل تميم والأزد، كما انضم إليه بعض الثوار الذين كانوا قد خرجوا مع أبي الصيداء أمثال أبي فاطمة الأيادي، وبشر بن جرموز الضبي.

قامت ثورة الحارث بن سريج في ولاية خراسان وكان واليها آنذاك عاصم بن عبد اللّه، ويذكر الطبري أن الحارث خرج من التخذ حتى وصل إلى الفارياب واستعان ببشر بن جرموز، فوجه إليه عاصم بن عبد اللّه الخطاب بن محرز السلمي ومنصور بن عمر بن أبي الخرقاء السلمي ومقاتل بن حيان النبطي[1]، ولكن قوات الحارث استطاعت أن تتقدم إلى بلخ وجوزجان والطالقان ومرو الروذ، كما استولى على طخارستان، وانضم إليه جيفويه نائب ملك الترك في طخارستان العليا وانضم إليه أمير الختل، وهذا الزحف من قبل الحارث يدل على مدى كراهية أغلب مدن بلاد ما وراء النهر وترحيبها بثورة الحارث وتذليل الصعاب أمامه، فالغاية والهدف واحدة تجمع ملوك بلاد ما وراء النهر مع الحارث مهما اختلفت الرسائل، فالحارث هدفه تقويض الحكم الأموي أما هؤلاء «ملوك العجم كان هدفهم نشر الذعر والقلاقل في هذا الإقليم المترامي الأطراف في آسيا الصغرى والدعاية لإسقاط الحاكم العربي المتمثل في الخلافة الأموية، وعلى كل حال فقد رأى أمير خراسان التريث في مقاتلة هؤلاء الثوار من موالي وعجم وعرب، حيث آثر الإنسحاب إلى أبرشهر، لكن أحد رجاله يقال له المجشر بن مزاحم حاول إقناعه بمواصلة قتال الحارث إذ لا مناص من صد هجوم الحارث، وكان جيش الأخير يتألف من ستين ألفاً ومعه فرسان الأزد وتميم ومن موالي الجوزجان، فاستطاع عاصم أن يرد هجوم الحارث، وفي هذه الأثناء بعث عاصم بكتاب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك جاء فيه:

«إن الرائد لا يكذب أهله وقد كان من أمر أمير

(1) الطبري: تاريخ، ج 9، ص 1566.

المؤمنين إلى ما يحق به عليّ نصيحته وأن خراسان لا تصلح ألا أن تضم إلى صاحب العراق فتكون موادّها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطيء غياثه عنها»[1].

وهذه الرسالة توضح مدى عمق وخطر هذه الثورة التي هددت أركان الدولة الأموية المترامية الأطراف، مما حذا بالوالي أن يكتب للخليفة بضم إقليم خراسان إلى ولاية العراق، حيث كانت خراسان تابعة للخليفة مباشرة، ويعتبر عدم التنسيق الإداري والمركزي في بعض الأقاليم وخاصة في ولاية خراسان من أهم الأسباب المشجعة للحارث بن سريج للقيام بثورته هذه ومناداته بمساواة الموالي بإخوانهم العرب المسلمين.

شعر الخليفة من خلال رسالة عاصم أمير خراسان بأنه ليس بوالٍ كفء لهذه الولاية فقرر عزله وولى أسد بن عبد اللّٰه القسري سنة (117 هـ ـ 735 م)، وهو من أقوى وأشد الولاة قسوة في خراسان حيث استرجع الكثير من المدن التي كانت قد خضعت للحارث، ولا سيما أن أغلب مدن خراسان كانت في حوزة الحارث ما عدا مرو وناحية من أبرشهر، بدأ الوالي الجديد قتاله للحارث ومن انضم معه من الموالي والعجم حيث تقدم ناحية بلخ وحاصرها فنصب على المدينة المنجانيق مما أدى الأمر بأصحاب الحارث أن طلبوا الآمان وقالوا: «لا تأخذ أهل هذه المدن بجنايتنا»[2]، فأعطاهم ذلك واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيباني، واتخذ أسد مدينة بلخ مقراً له سنة (118 هـ ـ 736 م)، ونقل إليها الدواوين، ثم اتجه أسد إلى ترمد فوجد الحارث محاصرها، ولكن أهل ترمد استطاعوا الصمود أمام الحارث فقاتلوه مما اضطروا إلى الفرار ناحية طخارستان لوجود أصهاره التغلبيين بها، فأسرع أسد بقواته إلى طخارستان، وبعث جديع بن علي الكرماني إلى القلعة التي بها الحارث وأصحابه من الموالي إلا أن

---

(1) الطبري: تاريخ، ج 9، ص 1574.
(2) المصدر السابق، ج 9، ص 1583.

التغلبيين غدروا به، فحاصرهم حتى فتحها عنوة، فقتل أهلها وسبى نساءهم وأبناءهم ومواليهم وباعهم في سوق بلخ[1].

فهرب الحارث إلى شمال بلخ سنة (118 هـ ـ 736 م)، حيث حالف الخُتّل وخاقان الترك، لكن أسد استطاع أن يقضي على هذا التحالف وشتت شملهم فظفر بالأسلاب والمغانم وأطلق أسرى المسلمين الذين كانوا في معسكر العدو، وأرسل أسد إلى الخليفة هشام يخبره بانتصاراته على العدو إلا أنه لم يمكث طويلاً حتى وافته المنية بغتة في بدايات سنة (120 هـ ـ 738 م).

فعين الخليفة هشام بن عبد الملك والياً كفوءاً على خراسان هو نصر بن سيار الذي عرف عنه الورع والتقوى وحاول نصر بُعيد وصوله للإمارة في خراسان أن يسير في الرعية سيرة طيبة، فعمل على إسقاط الجزية على الموالي المسلمين وحاول معالجة الأمور بإصلاح نظام الخراج[2].

فأصبح نظرياً لثورة الحارث بن سريج ليس لها مُبرر ما دام الأخر الذي نادى به هو المساواة والعدالة بين الحاكم والمحكوم خاصة عنصر الموالي. إلا أن الحارث لم يلزم جانب الهدوء والسكينة فقد واصل قتاله مع الترك ضد الحكم الأموي، وهذا يفسر لنا أن الثورة التي قام بها الحارث بن سريج ثورة شخصية فهي تعبر عن سخطه وكرهه للحكم الأموي وليست ثورة من أجل الموالي والمستضعفين بل أخذ شعار المساواة لكي يصبغها بالصبغة الشرعية وأن يضم أكبر قدر من الموالي المستضعفين لجنده كما لا ننسى أن أغلب عنصر الثورة من العرب وخاصة بني تميم والأزد وأهل الذمة من الممالك التركية.

وكان من ضمن برامج نصر العسكرية إخضاع بلاد ما وراء النهر للإسلام والقضاء على حركات تمرد الترك، وكان ذلك سنة 121 هـ ـ 739م، حيث خرج بقواته من بلخ وغزا بلاد ما وراء النهر من ناحية باب الحديد ثم قفل راجعاً إلى

---

(1) المصدر السابق، ج 9، ص 1589.
(2) انظر: الخطبة التي ألقاها نصر بن سيار في الرعية، الطبري: تاريخ، ج 9، ص 1688.

مرو[1]، ومن هناك إلى ورغسر وسمرقند، ثم دخل الشاش فعرض عليه ملك الشاش الصلح وقدم له الهدايا لكن نصراً اشترط عليه إخراج الحارث بن سريج من بلده، فأخرجه إلى فاراب[2]، فالتزم الحارث السكون ولم يقُم بالثورة إلا عندما علم بوقوع الفتن بالشام عقب مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة 126 هـ ـ 744 م، وكذلك انتفاض العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية في خراسان وإظهار الكرماني الثورة على نصر بن سيار[3]، ففي هذه الأثناء خشي نصر بن سيار من خروج الحارث بن سريج ولا سيما أن الأوضاع في خراسان تفور من الغليان بالفتن، فعمل على مهادنته بأن أرسل له عهد الأمان والصلح كذلك بعث إليه الخليفة يزيد بن الوليد كتاب آمان[4].

وفي سنة (127 هـ ـ 744 م)، اتجه الحارث بن سريج إلى مرو فتلقاه نصر بالترحاب وأنزله قصر بخاراً خذاه، وأجرى عليه خمسين درهماً في كل يوم، وقدم له الهدايا فباعها الحارث وقسم ثمنها على أصحابه بالسوية كما عرض عليه نصر أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل وأرسل إليه كتاباً جاء فيه:

«إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزوج عقائل العرب في شيء وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل فإن فعلت ساعدتك على عدوك».

وفي نفس الوقت الذي أرسل فيه نصر رسالته هذه إلى الحارث أرسل الحارث إلى جديع بن علي الكرماني عدو نصر كتاباً جاء فيه:

---

(1) **المصدر السابق**، ج 9، ص 1688.
(2) **المصدر السابق**، ج 9، ص 1694.
(3) كان سبب الفتن في خراسان هو عدم توزيع العطاء على الأهالي فخرجوا بزعامة جديع بن علي الكرماني، لكن نصراً استطاع أن يقبض على الكرماني ويسجنه إلا أن الأخير تمكن من الفرار وتأليب الأزد عليه حيث كوّن جيشاً لقتاله، انظر: الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1866.
(4) انظر نص الأمان عند الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1867؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 308.

«إن أعطاني نصر العمل بكتاب اللّه، وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضدتهُ وقمت بأمر اللّه وإن لم يفعل استعنت باللّه عليك وأعنتك إن ضمنت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة[1]».

ويبدو واضحاً من رسالة الحارث هذه إلى الكرماني عدو نصر أنه لم يكن مطمئناً إلى نوايا نصر بل إنه يفضل العمل مع الكرماني على الإطاحة بالحكم الأموي.

ويذكر الطبري أنه كلما «دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه»[2]، وهذا يفسر بأن الثورة التي قام بها الحارث لا تُعد حركة تمرد ومساواة بين الحاكم والمحكوم بل هي ثورة من أجل انقلاب الحكم الأموي؛ لهذا نراه يرفض العروض المغرية من قبل الوالي نصر بن سيار والمتمثلة في دعواه للجماعة وعرض عليه الأموال وأن يرجع عن عزمه في الثورة ويوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلاثمائة ألف فلم يقبل الحارث، ثم قال له نصر: «إذا شئت فابدأ بالكرماني. فإن قتلته فأنا في طاعتك، وإن شئت فسر بأصحابي فإذا جزت الري فأنا في طاعتك»، ثم اتفقا لحل النزاع بينهما إلى أن يحتكما إلى مقاتل بن حيان وجهم بن صفوان، فكان نص الحكم يقضي بعزل نصر بن سيار وأن يكون الأمر شورى، وهذا يوضح لنا مدى الضعف الذي حل بالدولة الأموية مما حذا بالحارث أن يملي شروطه على نصر[3].

رفض نصر بن سيار أمر هذا الاحتكام مما أسفر الأمر إلى انبعاث الحرب بين الطرفين، فاتجه الحارث نحو مرو محاولاً الاستيلاء على المدينة في جمادى الآخرة سنة (128 هـ ـ 745 م)، لكنه لم يستطع دخولها فاستنجد بالكرماني الذي

---

(1) المصدر السابق، ج 5، ص 328؛ الطبري: تاريخ، ج 9، ص 1889.
(2) المصدر السابق، ج 9، ص 1890.
(3) ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 342 ـ 343؛ عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، حققه ا. م كاترمير، ج 3 (بيروت: مكتبة لبنان، 1970)، ص 249.

انضمت قواته لقوات الحارث مما اضطر نصر للرحيل مدبراً إلى نيسابور على الرغم من وجود القيسية فيها، إلا أنهم أحسنوا وفادته وقدموا له يد العون على الرغم من العصبية التي كانت بينهما.

وعندما استولى الحارث والكرماني على مرو أمعن الكرماني فيها بهدم الدور والتقتيل والتخريب، مما أدى إلى استياء أصحاب الحارث من تصرف الكرماني ونبذ الحلف بينهما، فيخرج بشر بن جرموز الضبي بخرقان ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه وقال للحارث:

«إنما كنا نقاتل معك طلباً للعدل، فأما إذا اتبعت الكرماني للعصبية فنحن لا نقاتل»[1].

وتبع بشر خمسة آلاف مقاتل وانفضوا عن مساندة الحارث واتفقت كلمتهم على العدل وإحقاق الحق وألاّ يقاتلوا إلا من يقاتلهم. فأرسل الحارث إلى الكرماني يدعوه أن يكون الأمر شورى، فرفض الكرماني وانفصم عقد التحالف الذي كان بينهما إلى اشتباك مسلح أدى في نهاية الأمر إلى قتل الحارث على يد الكرماني سنة (128 هـ - 745 م)[2].

* * *

(1) ابن خلدون: **العبر**، ج 3، ص 250.
(2) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 346.

ثورات الموالي في المغرب والأندلس

لم تقتصر ثورات الموالي على الأمويين في المشرق بل قامت ثورات أخرى ضدهم في المغرب والأندلس، نتيجة لقسوة بعض الولاة في المغرب المتعصبين للجنس العربي، فقد أصبحت نظرة الدولة الأموية لإقليم إفريقية والمغرب مقتصرة فقط على أنه المنهل الذي لا ينضب ماؤه، فكانت خيرات المغرب تُستجلب إلى قصر الخلافة في دمشق، ومن المرجح أن هذه النظرة السطحية جاءت من قبل بعض الولاة الذين يحاولون التقرب من قصر الخلافة، وأن يحضوا على رضى الخليفة في دمشق، وبذلك اعتاد الخلفاء الأمويون على خيرات المغرب، ودليلنا على ذلك ما فعله مسلمة بن مخلد والي مصر، عندما أساء إلى عقبة بن نافع حيث رفض الأخير الإذعان لمطالبه من غنائم وسبايا فشكاه إلى الخليفة معاوية وبث السعايا المغرضة لعزله، وبالفعل ثم عزل عقبة[1] في ظروف سيئة للغاية مما ترتب عليه نتائج سلبية فيما بعد على الرغم من إعادة عقبة مرة ثانية للولاية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية.

وهكذا كان ولاة المغرب وإفريقية يعملون على استرضاء والي مصر، فأحدث فجوة بين الولاة الأمويين والسكان المحليين مما أثار الحروب المحلية والإقليمية بين العرب والموالي نتيجة لهذا التعسف.

---

(1) انظر: المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 21 ـ 22، ابن عبد الحكيم: **فتوح مصر**، ص 133.

وقد بدأ هذا الاتجاه يتضح في زمن خلافة يزيد بن عبد الملك الذي ألغى الأنظمة الإدارية التي كان معمولاً بها في زمن خلافة عمر بن عبد العزيز[1]، واستبدال عماله بولاة قساة أمثال يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف الذي كان قيسياً متعصباً وقد دفعته قيسيته إلى تعذيب الكلبي محمد بن يزيد القرشي وسجنه[2]، كما أحيا سيرة مولاه الحجاج الظالمة في معاملته للموالي، حيث أعاد على من أسلم منهم الجزية وهو صاغر، بل استبد بهم فسبى نساءهم وأولادهم واعتبرهم فيئاً للمسلمين، وقد دفعت سياسته هذه الموالي إلى قتله غيلة ووصفه ابن عذاري:

«كان ظلوماً غشوماً، وكان البربر يحرسونه فقام على المنبر خطيباً، فقال: إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم، كما تصنع ملوك الروم بحراسها، فأرسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره (حرسي) ليُعرفوا بذلك بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمرت به، فلما سمعوا ذلك منه اتفقوا على قتله وقالوا جعلنا بمنزلة النصارى، وكان هؤلاء الحراس من موالي آل نصر، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه»[3].

وبعد أن انتقم الثوار من يزيد بقتله بعثوا إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك بكتاب يشرحون فيه موقفهم هذا جاء فيه:

«إنا لم نخلع أيدينا من طاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا مالا يرضاه اللّه والمسلمون، فقتلناه وأعدنا عاملك».

---

(1) انظر: فرج الهوني: **النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية**، ط 2 (بنغازي: منشورات الشركة العامة، 1978)، ص 258.

(2) ابن عبد الحكم: **فتوح مصر**، ص 143.

(3) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 48.

فرد عليهم الخليفة بخطاب: «إني لم أرضَ ما صنع يزيد بن أبي مسلم»[1].

وأقر محمد بن يزيد على عمله، لكن الخليفة لم يذعن لأمر الموالي فعزل محمداً هذا، واستدعى بشر بن صفوان الكلبي من مصر وأقره والياً على إفريقية سنة (103 هـ ـ 721 م)[2]، فكان بشر هذا من غلاة الكلبية فأذل القيسية وأمره الخليفة يزيد بتعذيب موالي آل بني موسى بن نصير، وقتل سيدهم عبد اللّه بن موسى بن نصير، ومصادرة أمواله، إلا أن بشراً مرض سنة (109 هـ ـ 727 م) فاستخلف العباس بن باضعه الكلبي ليكون والياً بعد وفاته الذي أخذته عصبيته بالقسوة على القيسية[3]، فخشى الخليفة هشام بن عبد الملك من ازدياد قوة نفوذ الكلبية فعزل العباس، وآل الأمر إلى القيسية بتولي عبيدة بن عبد الرحمن السلمي الذي عمل على التنكيل بعمال بشر بن صفوان وتعيين أقاربه في مناصب الدولة، حيث عين عبد الملك بن قطن والياً على الأندلس[4]، وكان عبيدة قاسياً في معاملته مع الموالي فأساء السيرة فيهم مما أثار حفيظة الخليفة هشام الذي هم بعزله وتولية عبيد اللّه بن الحبحاب مولى بني سلول مكانه، لكن الخليفة هشام بن عبد الملك لم يصب هذه المرة باستبدال العمال حيث كان عبيد اللّه بن الحبحاب قيسياً متعصباً أحيا العصبية القبلية من جديد، بل وبلغت عصبيته إلى الإساءة بالموالي فكان عماله في المغرب يستبدون بهم وخير مثال على ذلك استبداد عبد اللّه المرادي عامل طنجة بالسكان المحليين حيث:

> «أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام فكان فعله الذميم سبباً لانتقاض

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 101.
(2) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 49.
(3) ابن عبد الحكم: **فتوح مصر**، ص 144.
(4) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 50.

البلاد، ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير من القتل في العباد»[1].

ويتضح من خلال العرض السريع أن إقليم المغرب وإفريقية عانى من قسوة بعض الولاة الذين غرتهم نشوة الفتح والإمارة فنسوا المبدأ الذي جاءوا من أجله، وهو نشر الإسلام في ربوع إفريقيه والمغرب وتحرير سكانها من ظلم العبودية، وأخذتهم ملذات الحياة ومتاع الدنيا إلى إحياء العصبية الجاهلية من جديد، وأصبح كل من يتولى الإمارة يتعصب لقبيلته، ويرجع السبب المباشر إلى بعض الخلفاء الأمويين الذين أثاروا روح التعصب القبلي!.

غزوة الأشراف (122 هـ ـ 739 م):

استاء الموالي كثيراً من سياسة الاستبداد التي انتهجها ولاة إفريقية وعمالهم فكان لزاماً عليهم من تفجير الموقف بثورة عارمة تندد بالأسلوب اللاإنساني والبعيد كل البعد عن جوهر الإسلام ومبادئه السمحة، وقد حان الوقت المناسب للثورة عندما جاءت وفود دعاة الخوارج للمغرب الإسلامي الذين وجدوا مرتعاً خصباً في نفوس موالي المغرب وإفريقية فاعتنقوا مذهب الخوارج، وقد تشجع الموالي بالثورة عندما وجدوا أن سياسة الاستبداد والجور قد أنهكت قواهم اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، فالأمويون شهروا سلاحاً ذا حدين على أنفسهم، وهو وثوب العصبية القبلية إلى المغرب وتحقير شأن الموالي، فالعامل الأخلاقي كان سبباً من ضمن الأسباب المتعددة في الثورة كما أنه يجب أن نضيف أن الموالي قاموا بالثورة بعد أن شعروا بضعف الدولة وكثرة مناوئيها سواء في الداخل أو الخارج أضف إلى ذلك العامل الجغرافي، حيث إن بلاد إفريقية والمغرب أصبحت ملاذاً جيداً للمخالفين والثائرين، فكثرة الهضاب والسلاسل الجبلية شكلت عاملاً مساعداً لتفجير الثورة لأن صعوبة المواصلات واتساع رقعة الدولة الأموية وبعدها عن مركز الخلافة في دمشق أثرت في أوامر الخليفة

---

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 51 ـ 52.

وإمداداته فإذا صدرت فإنها تصل متأخرة وعندئذ يكون الثائرون قد استفادوا من الوقت، وعلى الرغم من هذه العوامل المجتمعة والتي تعتبر من أهم أسباب الثورة إلا أننا نجد أن الموالي لم يقوموا بالثورة إلا بعد أن يئسوا من الإصلاح، ففساد الإدارة المركزية خير شاهد على ذلك فقد رحل ميسرة المذغري إلى دمشق للتفاوض قبل إعلان الثورة ونقل تذمر الناس ومكثوا فترة طويلة دون مقابلة الخليفة وإتمام مهمتهم التي جاءوا من أجلها، فأدركوا حقيقة فساد الإدارة المركزية وأعلنوا الثورة[1].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سكان الإقليم المغربي والأفريقي كانوا أناساً متطلعين إلى الاستقلال وعاشقين للحرية لأنهم طالما عاشوا حياة ذليلة في ظل حكم الرومان والبيزنطيين، وقد نمى هذا الشعور لديهم نتيجة الاستبداد والعنف اللذين اتبعهما عمال بني أمية وقيامهم بفرض الجزية على نحو ما كانت تؤخذ منه قبل أن يعتنقوا الإسلام[2].

ونتيجة لهذه الأسباب جميعاً أعلن الموالي الثورة بزعامة قائدهم ميسرة المذغري الذي اعتنق المذهب الصفري الخارجي ونشره بين قومه الذين بايعوه ولقبوه بأمير المؤمنين[3].

ويقول صاحب أخبار مجموعة أن هؤلاء البربر (الموالي) اقتدوا بخوارج الأزارقة وأهل النهروان أصحاب عبد الله بن وهب الراسي وحلقوا رؤوسهم[4]، وقد استغل ميسرة فرصة خروج الجيش الأموي لغزو صقلية بقيادة حبيب بن أبي عبدة للقيام بالثورة فأصبح من اليسير الانقضاض عليهم كما أنه في نفس الوقت

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ط 2 (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1982)، ص 217.

(2) صالح مصطفى المزيني: **ليبيا منذ الفتح العربي**، ط 2 (بنغازي: جامعة قاريونس، 1994 م)، ص 67.

(3) ابن خلدون: **العبر**، ج 4، ص 405.

(4) مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، حققه إبراهيم الأبياري، ط 1 (بيروت: دار الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري، 1981)، ص 34.

عبأ الجيوش البربرية وأعلنوا الثورة سنة (122 هـ ـ 739 م) فكانت معركة حاسمة قد بدأها من المغرب الأقصى، حيث خرج ميسرة المذغري إلى طنجة وقتل عاملها عمر بن عبد الله المرادي وولى مكانه عبد الأعلى بن حريج الأفريقي "وهو من أصل رومي ومن موالي موسى بن نصير" فدانت له طنجة بالسمع والطاعة، ثم رحل ميسرة متجهاً إلى أكسوس واصطدم بقوات إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب وانقضّ عليهم كالصاعقة وشتت جموعه فقتل في هذه المعركة إسماعيل، فوصلت أصداء هذه المعركة إلى عبيد الله بن الحبحاب الذي استاء كثيراً من مقتل عامله عمر المرادي وابنه إسماعيل فبعث إلى حبيب بن أبي عبدة يستنفره بالرجوع من صقلية وإرساله نجدة إلى خالد بن حبيب لمواجهة الثورة العارمة من قبل الموالي[1].

اجتمع الجيشان عند وادي شلف بالقرب من تاهرت، لكن حبيب الفهري آثر الانتظار عند الوادي خوفاً من انضمام بربر المغرب الأوسط إلى ثورة ميسرة، وبث الرعب في السكان المحليين الذين قد تحدثهم أنفسهم بالعصيان والثورة في هذه المنطقة[2].

أما جيش خالد فقد اتجه إلى لقاء قوات ميسرة في المغرب الأقصى عند طنجة فاشتبك الفريقان، وأسفر عن تراجع ميسرة فاعتبره جيشه (البربر) خائناً فثاروا عليه وقتلوه ورشحوا مكانه خالد بن حميد الزناتي قائداً وزعيماً لهم واستماتوا في القتال مما كان النصر حليفهم وشتتوا جموع العرب وقتل قائدهم خالد بن حبيب ومن معه من أشراف العرب لذلك سميت المعركة بـ (وقعة الأشراف سنة 122 هـ ـ 739)[3].

وكان لمعركة الأشراف الأثر السيء في نفوس العرب وكانت بداية النهاية

---

(1) محمد بن عمير بن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، حققه إبراهيم الأبياري، ط 1 (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982)، ص 39.
(2) المراكشي: البيان، ج 1، ص 53؛ لقبال موسى: المغرب الإسلامي، ط 1 (قسطنطينة: مطبعة البعث، 1969)، ص 219.
(3) المراكشي: البيان، ج 1، ص 54.

لضعف الدولة الأموية وتقطع أطرافها الغربية وبالمقابل ازدياد قوة الخوارج والموالي.

تُعبّر ثورة الموالي هذه عن الاستهانة بالخلافة الأموية عندما شقوا عصا الطاعة وأعلنوا وجود أمير المؤمنين.

كما كان من نتائجها أيضاً موقعة بقدورة ونمو روح الانفصال لموالي الأندلس.

موقعة بقدورة (124 هـ ـ 741 م):

تُعد موقعة بقدورة نتيجة محصلة عن معركة الأشراف، حيث أعلن الموالي الثورة في وجه الدولة الأموية، فشعروا أن الكفة قد رجحت لصالحهم فشقوا عصا الطاعة فاختل توازن القوى في المغرب والأندلس فانتفضت الأندلس، وعزلت واليها عقبة بن الحجاج وولوا عبد الملك بن قطن[1]، فلما علم الخليفة هشام بن عبد الملك باضطراب الأحوال السياسية في المغرب والأندلس استدعى عبيد اللّه بن الحبحاب وولى عوضاً عنه كلثوم بن عياض القشري سنة 123 هـ ـ 740 م، وقال كلمته المشهورة:

«واللّه لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي»[2].

وكان الجيش الذي بعثه هشام لقتال الموالي في إفريقية يتكون من أجناد الشام منها جند أهل الأردن وعلى رأسه ثعلبة بن سلامة العاص، وجند قنسرين وعدده ثلاثة آلاف وجند مصر وعدده ثلاثة آلاف[3]، وكان على مقدمة الجيش الأموي بلج بن بشر القشري (ابن عم كلثوم)، فقدم القيروان سنة 123 هـ ـ 740 م، ولقى أهلها بالجفاء والتكبر عليهم وأراد أن ينزل جيشه في منازلهم فقال

(1) ابن القوطية: افتتاح، ص 39.
(2) ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 192.
(3) ابن القوطية: افتتاح، ص 40.

لهم: «لا تغلقوا أبوابكم، حتى يعرف أهل الشام منازلكم»[1]، فشكى الأهالي من تصرف بلج إلى حبيب بن عبيدة وهو بتلمسان فكتب حبيب بن عبيدة إلى كلثوم يحذره ويهدد من تصرفات قريبه، فاعتذر كلثوم وذهب إلى حبيب وعلى مقدمته بلج بن بشر والتقى الاثنان، فاستهان بلج بحبيب وكاد أن يقع الخلاف في الصف العربي بسبب العصبية، ولكن الموقف لا يسمح بذلك لأنهم أمام خطر الموالي الذي يهدد صرح الدولة الإسلامية فانضم العرب البلديون برئاسة حبيب بن عقبة مع عرب الشام وقد أمر الخليفة كلثوم بن عياض أن يستعمل هارون القرني مولى معاوية بن هشام ومغيث مولى الوليد لدرايتهما بالبلاد وأن يأخذ بمشورتهما، وقد اقترحا على كلثوم إقامة خندق يعسكر فيه الأمويون وأن يلزم جانب المبارزة حتى يشغلهم ثم يتجه الأمويون بالهجوم على قراهم، وقد انبهر كلثوم بهذا الاقتراح إلا أن بلج أثر في نفسية كلثوم وقال له «لا تفعل ولا يرعك كثرة هؤلاء فإن أكثرهم عريان لا سلاك لهم»[2].

فتوجه الجيش العربي بقيادة كلثوم نحو وادي سبو وهو في ثلاثين ألفاً من الجند فبعث كلثوم بلجاً لمقاتلة «الموالي الذي كان قائدهم خالد بن حميد الزناتي إلا أن الأخير أحرز نصراً على القوات العربية ووصلوا إلى كلثوم الذي كان يشرف على سير المعركة من فوق ديدبان (المنصة) فقتلوه وهزم العرب في هذه المعركة وقتل أيضاً حبيب بن أبي عبيدة وسليمان بن أبي المهاجر وشتت جموع الأمويين، وفر بلج هارباً إلى سبتة هو ومن بقي معه من جيشه، فحاصرهم الموالي وأخذوا يهاجمون المدينة إلا أنهم لم يستطيعوا اقتحامها لحصانة أسوارها ومناعتها فاضطروا إلى تخريب مزارعها وحرق محاصيلها، مما اضطر العرب إلى أكل دوابهم، وطلب بلج من عبد الملك بن قطن والي الأندلس أن يأذن له بالعبور إلى الأندلس لكنه رفض خشيةً على سلطانه، إلا أن عرب الأندلس عندما علموا بالهزيمة وما لحق بإخوانهم العرب من مجاعة رأوا مساعدتهم بمد يد العون لهم حيث أرسل لهم عبد الرحمن بن زياد ـ وأصله من

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 192.
(2) المراكشي: **البيان**، ج 1، ص 54؛ مؤلف مجهول: **أخبار المجموعة**، ص 39.

لخم ـ المؤن والزاد من شعير وآدم[1].

ويمكن أن نجمل هزيمة الأمويين في الآتي:

1 ـ تفرق كلمة العرب المسلمين نظراً للعصبية القبلية التي أخذت منحنى خطيراً في الطرف الغربي من الإمبراطورية الأموية فهم لم ينسوا الأحقاد الدفينة رغم الخطر الجاثم على صدورهم والمتمثل في ثورات الموالي والخوارج.

2 ـ توحيد صف الموالي باختيارهم المناسب للشخصية القيادية والمتمثلة في خالد بن حميد الزناتي.

3 ـ أصبح الأمويون في موقف المدافع على عكس ما كانوا أيام الفتح.

4 ـ تُعد وقعة الأشراف وبقدورة من أخطر المعارك التي قام بها الموالي في الساحة المغاربية، فهي تعبر عن مدى سخطهم ومقتهم لسياسة الدولة الأموية الجائرة بل إن عناصر ثورتهم من الموالي ذوو نزعة خارجية صرفة.

5 ـ شجعت ثورة بقدورة الموالي على اعتناق المذهب الصفري الخارجي فانتشر في المغرب انتشاراً واسعاً حيث انتشرت الثورة من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط بزعامة عكاشة بن أيوب النفزاوي وعبد الواحد بن يزيد الهواري، وأبي قرة المغيلي، وأصبح هؤلاء لا يحاربون الاستبداد وجور عمال بني أمية فحسب، مثلما هو واضح في ثورتي الأشراف وبقدورة، وإنما أصبح الدافع لقتال الأمويين من أجل رفع راية الخوارج.

* * *

ثورة عكاشة بن أيوب الفزاري، وعبد الواحد بن يزيد الهواري:

موقعة الأصنام والقرن (125 هـ ـ 742 م):

بعد هزيمة العرب في وقعة بقدورة وقتل كلثوم بن عياض والي إفريقية سنة (124 هـ ـ 741 م)، عين الخليفة هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان

(1) المراكشي: البيان، ج 1، ص 55 ـ 56.

الكلبي والياً على إفريقية والمغرب وكان الوضع العام سيئاً للغاية، حيث انتشر الذعر بين الأهالي وعمّت الفوضى عندما علم الناس بزحف عكاشة ابن أيوب الفزاري زعيم الصفرية إلى القيروان، إلا أن حنظلة استطاع أن يصد زحف عكاشة قبل أن تجتمع جيوش عبد الواحد الهواري وأبي قره المغيلي.

فقد كتب عبد الواحد الهواري إلى حنظلة يأمره بإخلاء القيروان ليسبق صاحبه الفزاري، ولكن من حسن حظ حنظلة أن اختلفت كلمة الثائرين، فكل واحد منهما يريد أن يفوز بالقيروان فما كان من حنظلة إلا أن حفر خندقاً حول المدينة والتقوا بالقرن ودارت معركة حاسمة أسفرت عن انتصار العرب على القوات البربرية الصفرية المذهب وتشتيت شمل البربر، ثم كر حنظلة قافلاً للقيروان قبل أن تحتلها قوات عبد الواحد، وقد جهز حنظلة بأفضل ما عنده من العدة والعتاد ووزعها على أهالي القيروان لمقابلة هذا الخطر[1]، وقد وصف ابن الأثير الوضع بقوله:

«لما دنا الخوارج مع عبد الواحد خرج إليهم حنظلة من القيروان، واصطفوا للقتال وقام العلماء في أهل القيروان يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج، ويذكرونهم بما يفعلونه بالنساء من سبي وبالأبناء من الاسترقاق وبالرجال من القتل فكسر الناس أجفان سيوفهم، وخرج إليهم نساؤهم يحرضنهم، فحمى الناس وحملوا على الخوارج حملة واحدة وثبت بعضهم لبعض، فاشتد اللزام وكثر الزحام وصبر الفريقان، ثم إن الله تعالى هزم الخوارج والبربر ونصر العرب، وكثر القتل في البربر وتبعوهم إلى جلولاء يقتلون، ولم يعلموا أن عبد الواحد قد قتل حتى حُمل رأسه إلى حنظلة فخر الناس لله سجداً»[2].

---

(1) ابن عذارى: **البيان**، ج 1، ص 58.
(2) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 194.

وهكذا تمكن الأمويون من إحراز النصر وهزيمة البربر الصفرية، وفي هذه الأثناء توفى الخليفة هشام بن عبد الملك (6 ربيع الآخر 125 هـ - 742 م)[1]، دون أن يصل إليه نبأ انتصار قواته العربية على جيش المتمردين وبهذا الانتصار ساد الأمن والاستقرار في بلاد إفريقية والمغرب لفترة من الوقت، ولكن الأقدار شاءت أن تحول الساحة المغربية إلى حروب ومعارك طاحنة، فقد جاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري إلى إفريقية فآثر الشقاق في الصف العربي مما أدى إلى انسحاب حنظلة الكلبي عن ولاية إفريقية والمغرب ورحيله إلى دمشق حقناً لدماء المسلمين، وبقي عبد الرحمن الفهري والياً على إفريقية والمغرب حتى نهاية الدولة الأموية في عهد مروان بن محمد الجعدي[2].

وقد واجهت عبد الرحمن مشاكل وقلاقل من قبل الثوار العرب والبربر على السواء، (ولكن الأمر الذي يعنينا هو ثورات الموالي على الحكم الأموي فقط)، وقد وصف ابن خلدون أحوال المغرب في ولاية ابن حبيب الفهري بقوله:

> «واستشرى داء البربر، وأعضل أمر الخارجية ورؤساتها فانتفضوا من أطراف البقاع، وتواثبوا على الأمر بكل ما كان داعين إلى بدعتهم، وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة»[3].

فثار زعيم الموالي ثابت الصنهاجي بقواته على الحكم الأموي واستولى على باجة، وقد انضم إلى ثورته عبد الله بن سكرديد الهواري، فأرسل لهم عبد الرحمن الفهري أخاه إلياس لمقاتلتهم ووضع خطة مدروسة للانقضاض على الثائرين، وبذلك تمكن عبد الرحمن الفهري من إخماد فتنة ثابت الصنهاجي[4]، إلا أنه واجهته ثورة أخرى في طرابلس بقيادة الحارث بن تليد

---

(1) المراكشي: البيان، ج 1، ص 59.
(2) المصدر السابق، ص 60 - 61.
(3) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 223.
(4) المراكشي: البيان، ج 1، ص 61.

الهواري وعبد الجبار بن قيس الهواري، فخرج إليهما بنفسه سنة (131 هـ ـ 748 م) بعد أن جهز جيشاً عظيماً متجهاً نحو طرابلس وتم له النصر على أعدائه، ثم اتجه إلى قابس لقمع ثورة بربر نفوسه فتمكن من قتل الرأس المدبر لها وهو إسماعيل بن زياد النفوسي[1]، وبذلك قضى على كل ثورات الموالي (البربر) في الوقت الذي أُسقطت فيه الخلافة الأموية على يد العباسيين سنة (132 هـ ـ 750 م).

ثورة البربر في الأندلس ونتائجها:

تجرأ موالي الأندلس بمناهضة الحكم الأموي عندما علموا بثورات إخوانهم في المغرب وانتصاراتهم في موقعتي الأشراف وبقدورة، ورأوا أن الوقت قد حان لإعلان عصيانهم لأن ولاة الأندلس من قبل الدولة الأموية كانوا محقرين شأن هؤلاء الموالي بعد أن استقروا في الأندلس، فقد كان للبربر الدور الهام في فتح الأندلس بل كان عددهم يفوق عدد العرب حتى شعر العرب أنفسهم كأنهم أقلية فتحرزوا من البربر وأبعدوهم عن السلطة والحكم[2]، وبهذا الإجراء الظالم من قبل الولاة شعر البربر بعدم المساواة مع العرب فقاموا بالثورة في الأندلس، ويصف صاحب أخبار المجموعة الوضع بقوله:

> «فقضي أن بربر الأندلس لما بلغهم ظهور بربر العدوة على عربها وأهل الطاعة، وثبوا في أقطار الأندلس خلف الدروب، فلم يرع ابن قطن إلا فَلهم قد قدم عليه، وانضم عرب الأطراف إلى وسط الأندلس إلا ما كان من عرب سرقسطة وثغرهم، فإنهم كانوا أكثر من البربر، فلم يهج عليهم البربر»[3].

ذكرنا عند وقعة بقدورة أن بلجاً عندما كان محاصراً في سبتة طلب النجدة

---

(1) ابن عبد الحكم: **فتوح مصر**، ص 149.

(2) حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، ط 2 (جدة: دار السعودية، 1985)، ص 147.

(3) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص 42.

من عبد الملك بن قطن وأن الأخير ماطله ورفض مساعدته ولكن عبد الملك غير رأيه عندما رأى الخطر محدق به وأن العصيان على السلطة الأموية قد أخذ مساراً للثورة وأن أمره قد تفاقم، وأصبح ابن قطن في أمس الحاجة إلى تكتل القوات العربية بغض النظر عن عصبيتها لذلك بعث إلى بلج ومن بقي من جنده كتاباً يسمح لهم فيه بالعبور إلى الأندلس على ألا يزيد مقامهم فيها عن سنة واحدة ثم يرجعون إلى المغرب وقد أخذ منهم الرهائن وحملهم إلى جزيرة أم حكيم ضماناً لشروطهم التي قد تم الاتفاق عليها.

اتحد جيش ابن قطن مع قوات بلج فأعدوا العدة لقتال البربر الذين تزعمهم رجل زناتي بوادي الفتح من شذونة، فانقض عليهم العرب كالصاعقة فأصابوا أمتعتهم ودوابهم فاكتسى أصحاب بلج ثم واصلوا قتالهم ضد البربر متجهين جنوباً نحو قرطبة وعبروا وادي تاجه والتقوا مع قوات ابن قطن فساروا إلى جهة طليطلة حيث وجدوا البربر مجتمعين قد حلقوا رؤوسهم اقتداءً بميسرة المذغري إلا أن العرب استطاعوا إلحاق الهزيمة بالموالي[1].

«ويبدو أن فرسان بلج بن بشر القشيري مكنت العرب من سرعة الحركة فلم يتمكن البربر من تجميع قواتهم، فسهل على العرب أن يلحقوا بالبربر هزائم متتالية حتى كانت المعركة الحاسمة بين العرب والبربر عند وادي سليط»[2].

وبانتصار العرب على حركة التمرد من قبل البربر تنتهي مهمة بلج وجنده فطلب منهم ابن قطن الخروج من الأندلس على حسب الاتفاق الذي أبرم بينهما فطلب منه بلج أن يحملهم إلى ساحل البيرة أو ساحل تدمير فاعتذر منه ابن قطن وقال له: «ليس لنا مراكب إلا بالجزيرة، فاخرجوا إلى سبتة، فقالو له: تعرضنا لبربر طنجة أقذف بنا في لجة البحر أهون علينا»[3]، وهكذا هبت رياح

(1) المراكشي: البيان، ج 2، ص 30 ـ 31.
(2) محمد بركات البيلي: البربر في الأندلس، منذ الفتح حتى نهاية عصر الإمارة، رسالة دكتوراة قدمت لجامعة القاهرة، 1982، ص 82.
(3) المراكشي: البيان، ج 2، ص 31.

التمرد والعصبية من بين عرب الشمال والجنوب من أجل السيطرة على حكم الأندلس فتصاعدت الأحداث بين الطرفين إلى أن ثار الشاميون في وجه البلديين فقتلوا ابن قطن وعينوا بلجاً والياً على الأندلس، مما أثار حفيظة البلديين الذين أبرموا حلفاً مع أعداء الأمس (البربر) ضد إخوانهم العرب الشاميين بقيادة ابني عبد الملك أمية وقطن، وانضم إليهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة، فالتقى الجيشان ـ البلديين والشاميين ـ عند موضع يقال له (أقوة برطورة) وانتهت المعركة لصالح الشاميين على الرغم من وفاة قائدهم بلج متأثراً بجراحه (124 هـ ـ 741 م) وخلفه على قيادة الجيش والولاية ثعلبة بن سلامة العاملي الذي كان من غلاة العصبية فاشتط في تنكيل البلديين والبربر[1]، لذلك حاول البربر أن يثوروا عليه في ماردة فباغتهم وقتل كثيراً منهم وأسر ألف رجل[2].

وهكذا انتهت ثورة البربر في الأندلس لكنها تركت وراءها نتائج خطيرة تتمثل في النقاط التالية:

1 ـ تذكر المصادر الأندلسية أنه في أعقاب ثورة البربر اجتاحت بلاد الأندلس مجاعة استمرت خمس سنوات كان سببها قحط شديد استمر منذ سنة (131 هـ ـ 136 هـ، 748 م ـ 753 م)[3] ومن المرجح في سبب القحط هو ندرة الأمطار أو هجرة البربر لأراضيهم الزراعية نتيجة إمعان ثعلبة بن سلامة العاملي في قتلهم وبيعهم في أسواق النخاسة، فلذلك هُجرت الأراضي الزراعية وحل الخراب والجفاف.

كما أن انشغال العرب والبربر بالحروب فيما بينهم أدى إلى إهمال الجانب الاقتصادي وعمّ القحط مما أدى إلى هجرة سكان الأندلس إلى عدوة (المغرب الأقصى) طنجة.

2 ـ توقف الفتوحات الإسلامية فيما وراء جبال البرت.

---

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 32.
(2) ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 121.
(3) المراكشي: البيان، ج 2، ص 34؛ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص 61 ـ 62.

3 ـ إن هجرة أعداد كبيرة من سكان الأندلس عرب وموالي أدى إلى نقص السكان ولا سيما القاطنين في النواحي الشمالية الغربية[1]، مما أفسح المجال للنصارى أن يتقدموا في هذه الجهات ويسكنوها دون خوف، حيث استولوا على خمس الأندلس دون أن تواجههم موانع بعد شغل العرب والبربر في الحروب المستمرة فيما بينهم[2].

4 ـ أسفرت الفتن التي عمت الأندلس وما تضمنتها من شقاق بين الصف العربي وخلافهم مع البربر إلى إقامة الدولة الأموية في قرطبة فيما بعد، فقد استفاد عبد الرحمن بن معاوية من الخلافات واستمال إلى جانبه اليمنية التي كانت تتوق إلى الثأر من القيسية فانضم إليه عدد كبير من البربر الذين اتحدوا مع اليمنية مكونين جبهة البلدين فساعدوه لإحراز النصر بموقعة المصارة ودخول قرطبة وإقامة الدولة الأموية (138 هـ ـ 755 م)[3].

---

(1) انظر: مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة**، ص 62.

(2) رجب محمد عبد الحكيم: العلاقات بين الممالك الإسلامية والنصرانية في إسبانيا، رسالة دكتوراة قدمت لجامعة القاهرة، 1980، ص 20 ـ 21.

(3) البيلي: **البربر في الأندلس**، ص 85 ـ 86.

الموالي والأحزاب المعارضة للسياسة الأموية

1 ـ موقف الموالي من الخوارج[1]:

انضم الموالي إلى مذهب الخوارج لما رأوا فيه خدمة لوضعهم الاجتماعي حيث أجاز الخوارج:

> «أن تكون الإمامة في غير قريش وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غيّر السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله، وجوّزوا ألاّ يكون في العالم إمام أصلاً، وإن أحتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً، أو نبطياً، أو قرشياً»[2].

(1) سمي الخوارج بهذا الاسم لخروجهم على علي بن أبي طالب ومحاربتهم إياه، كما عرفوا في التاريخ باسم الحرورية لنزولهم حروراء، والشراة لأنهم (يقولون أنهم شروا أنفسهم من الله بالجهاد، ومن اسمائهم المحكمة، سموا بذلك لإنكارهم التحكيم في صفين وقالوا لا حكم إلا الله، ومن أسمائهم المارقة، وهم لا يرضون بهذا الاسم، ويرضون بسائر الأسماء).
نشوان بن سعيد الحميري: الحور العين، حققه كمال مصطفى (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1948)، ص 200.

(2) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، حققه أحمد فهمي محمد، ج 1، (القاهرة: مطبعة حجازي، 1948)، ص 116.

فمبادىء الخوارج الدينية والسياسية هذه لاقت قبولاً حسناً عند الموالي الذين طالما عانوا جور وقسوة الأمويين الذين فرقوا في المعاملة بينهم وبين إخوانهم العرب المسلمين في شتى المجالات[1]، ولهذا نرى انضمام الموالي في جيش أبي ليلى الخارجي وكان عددهم ثلاثين رجلاً، عندما خرج في عهد معاوية بن أبي سفيان في الكوفة، فتمكن والي الكوفة المغيرة بن شعبة من القضاء على جيش الخوارج سنة 42 هـ ـ 662 م.

وينفرد اليعقوبي بذكر رواية عن خروج الموالي بزعامة أمير منهم وهو أبو علي مولى بني الحارث بن كعب حيث وصفها بقوله:

«وكانت أول خارجة خرجت فيها الموالي فبعث المغيرة إليهم رجلاً من بجيلة، فالتقوا ببادوريا فناداهم البجلي: يا معشر الأعاجم هذه العب تقاتلنا على الدين فما بالكم؟ فنادوه يا جابر! إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولم نشرك بربنا أحد وإن الله بعث نبينا للناس كافة، ولم يزوه عن أحد، فقاتلهم حتى قتلهم»[2].

فهذه الثورة التي قام بها الموالي تشعرنا بعدم رضاهم عن السياسة الأموية، وأن طلبهم الوحيد هو مساواتهم مع إخوانهم العرب المسلمين، ولعل هذه الثورة ليست ثورة خارجية مثل ما يعتقد اليعقوبي لأنه لم نسمع قط عن هذه الثورة عند أغلب المصادر التي تهتم بدراسة المذاهب في الإسلام.

وقد كان بعض الموالي معتنقين المذهب الخارجي، ويرجع السبب في رأينا إلى أن الموالي كانوا من ضمن الجيش الذي حارب معاوية مع علي بين أبي طالب فلما انشق ذلك الجيش قبيل التحكيم كان من الطبيعي أن يكون

---

(1) راجع رأي كلٍ من جب وكرامز. Gibb and Kramers: Shorter Encyclopadid of Islam (London: 1953) P248.

(2) اليعقوبي: تاريخ، ج 2، ص 221.

الموالي قد انضموا إلى حزب الشيعة أو حزب الخوارج.

ويفسر أحمد أمين دخول الموالي لحزب الخوارج وفرقها المختلفة بقوله:

«ولعل السبب في دخولهم أنهم اشتركوا مع الخوارج في بغض الأمويين واعتقادهم بعدم صلاحيتهم ووجوب الخروج عليهم حتى تزول دولتهم»[1].

ولهذا نجد الموالي ينضمون لمذاهب القائمة في نظرهم على مساواتهم مع إخوانهم العرب المسلمين، حتى أن شعراء الخوارج يفخرون بأنهم مسلمون كقول شاعرهم نهار بن توسعة الشكري:

دعى القوم ينصر مدعيه ... ليلحقه بذي الحسب الصميم
أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم[2]

وقد أشار الطبري إلى أن جيش شبيب الخارجي كان يضم بعض الدهاقين الذين حاربوا الحجاج الثقفي سنة (76 هـ ـ 695 م)[3].

وقد اعتنق الموالي المذاهب المختلفة للخوارج مثل مذهب الأزارقة والنجدات والصفرية، والأباضية، وغيرها من المذاهب المختلفة، إلا أن المصادر التاريخية تؤكد على انضمام الموالي للمذاهب الخارجية آنفة الذكر، وهذه الفرق التي خرجت من الخوارج كان عقب الانقسام الذي كان بينهم من اختلافات مذهبية، وقد ظهرت شخصيات من الموالي انضمت إلى الحزب الخارجي وكان لها الدور الفعّال في إضعاف السلطة الأموية مثل عبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير الذي كان من ضمن الجيش الخارجي مع قطري بن فجاءة في حرب المهلب بن أبي صفرة والذي قاد حرباً شعواء، فانشق على قطري وانضم إليه الموالي والعجم، وكان عددهم حوالي ثمانية آلاف جندي واستطاع المهلب

---

(1) أمين: ضحى الإسلام، ج 3، ص 332.
(2) أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والآدب، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، 1756م)، ج 3، ص 179.
(3) الطبري: تاريخ، ج 8، ص 912.

بن أبي صفرة من دحر قوات عبد ربه وتشتيت جيشه والقضاء عليه[1].

كما كان في فرقة النجدات الكثير من الموالي حيث برزت شخصية أبي طالوت وهو سالم بن مطر مولى بني زمان بن مالك، الذي كاد أن يكون أمير الخوارج عقب الخلاف الذي دب بين الخوارج فيما بينهم إلا أن ظهور نجدة بن عامر الحنفي على مسرح الأحداث ومبايعة الخوارج له وسموه أمير المؤمنين وتسمت هذه الفرقة المنشقة عن فرقة الأزارقة بـ (النجدات) واستطاع نجدة هذا أن يثبت سلطانه على عدد من المناطق والبوادي من الطائف حتى نجران واستعمل عليها ولاته[2].

إلا أن نجم نجدة بدأ بالأفول عندما هب الشقاق بينه وبين جماعته من الخوارج عندما علموا بأن الخليفة عبد الملك بن مروان بعث له كتاباً يدعوه إلى طاعته، على أن يعفو عنه ويوليه على اليمامة، فكان رد فعل النجدات أن رموه بالخيانة، فلم يتورعوا على قتله وتولية ثابت الثمار وهو من الموالي، ولكنهم خلعوه لأنه من الموالي وتركوا له حرية الاختيار فيمن يولي عليهم من العرب فوقع اختياره على أبي فديك[3].

وهذا في نظرنا يخالف أهم المبادىء التي أدعت بها الخوارج من عدل ومساواة بين العرب والعجم المسلمين.

وهكذا كان الموالي في صف الخوارج الذين ظلوا يناهضون الحكم الأموي منذ بدايته حتى اضمحلاله وسقوطه فقد كانوا شوكة في حلق الأمويين وكانوا من أسباب ضعف الخلافة الأموية.

* * *

---

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج، ج 4، ص 204.
(2) نايف محمود معروف: **الخوارج في العصر الأموي**، ط 2، (بيروت: دار الطليعة، 1981)، ص 148 ـ 149.
(3) المرجع السابق: ص 149.

2 ـ الموالي وموقفهم من التشيع:

لجأ الموالي إلى حزب الشيعة الذي كان هدفه منذ البداية المطالبة بحق علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في الخلافة بعد النبي ـ ﷺ ـ ولما تولى علي الخلافة اعتبروه الوصي والإمام فقالوا:

> «ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغار. .»[1].

وكان هدف الشيعة إذاً أن تكون الإمامة أو الخلافة في بيت آل رسول الله ﷺ فلما قتل علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ استطاع ابن سبأ أن يظهر نواياه الخبيثة ويبث سمومه في الدين الإسلامي متخذاً التشيع ستاراً له لإخفاء تلك النوايا، فنادى بالرجعة وقال: «إن المقتول لم يكن علياً وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم»[2].

وجد الموالي في هذه الاعتقادات بالرجعة قبولاً في أنفسهم ولا سيما الموالي من أصول فارسية حيث أدخل الموالي للتشيع أفكاراً فارسية متمثلة في تناسخ الأزواج وعصمة الأئمة ورأوا في التشيع ملاذاً لنشر شعوبتهم وإحياء أمجادهم الماضية لذلك نراهم ينضمون لثورة المختار لمجرد أنه أظهر التشيع وحماية المستضعفين (الموالي)، وثورة زيد بن علي سنة 121 هـ ـ 739 م في خلافة هشام بن عبد الملك حيث رفع شعار الدفاع عن المستضعفين فلجأ إليه

(1) الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج 1، ص 146.
(2) عبد القاهر البغدادي: **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحمد (القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح، د. ت) ص 143.

موالي العراق الذين ضاقوا ذرعاً من سياسة واليهم يوسف بن عمر الثقفي، فرأوا في زيد بن علي المنقذ والمحرر لهم من ظلم الأمويين وولاتهم وكانت دعوته التي استقطبت الموالي هي:

«إنما ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنة نبيه ورد المظالم والدفاع عن المستضعفين وإعطاء وقسم هذا الفيء بين أهل السواد وجهاد الظالمين ونصرة أهل هذا البيت على من نصب لنا وجهل حقنا»[1].

وهكذا كان موقف الموالي من الثورات الشيعية، الموقف المؤيد والمساعد في مناهضة الحكم الأموي، حتى إنهم يلتجأون إلى دعوى آل البيت على الرغم من أنهم لا يعرفون عن هدفهم الحقيقي!.

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 233.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

انضمام الموالي للعلويين والعباسيين وإطاحتهم بالدولة الأموية

أ ـ سياسة آل البيت لجذب الموالي من خراسان:

1 ـ نقل الدعوة الهاشمية من الفرع العلوي للفرع العباسي.

2 ـ انضمام بعض الشخصيات القيادية من الموالي إلى دعوة آل البيت

1 ـ بكير بن ماهان.

2 ـ أبو سلمة الخلال.

3 ـ أبو مسلم الخراساني.

ب ـ الوضع العام للخلافة الأموية في الفترة (125 ـ 132هـ 743 ـ 750 م).

جـ ـ تكوين جيش من الموالي ودوره في الإطاحة بالدولة الأموية.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سياسة آل البيت
لجذب الموالي من خراسان

كان لفرقة الشيعة الكيسانية[1] دور كبير في الدعوة لآل البيت، حيث رأوا في محمد ابن الحنفية الدولة بعد مقتل الحسين[2]، فبايعه الشيعة إماماً لهم، وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب فقبلها وولى على شيعة كل بلد رجلاً منهم[3].

وكان ابن الحنفية في هذه الأثناء يعمل سراً على نشر الدعوة له، إلا أنه شعر بدنو أجله فعهد بالأمر من بعده إلى ابنه عبد اللّٰه الملقب بأبي هاشم، في طلب الخلافة وعمل ابنه عبد اللّٰه بما أمره به أبوه حيث أرسل إلى الشيعة في كل مكان بالنهوض في أمر الدعوة وإسقاط الخلافة الأموية، إلا أن هذا الحلم لم يتحقق على يديه فقد كان الأمويون يتتبعون أخبار العلويين ويبثون العيون والجواسيس في كل مكان، فعلموا بأمر أبي هاشم فدسوا له السم فمات وهو في طريقه إلى الحميمة[4].

---

(1) الكيسانية: «أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقيل تلميذ.. محمد بن الحنفية رضي اللّٰه عنه، يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده ودرجته في إحاطته بالعلوم كلها..»، انظر: الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج 1، ص 147.

(2) ابن الطقطقي: **الفخري**، ص 1032.

(3) ابن قتيبة: **الإمامة**، ج 2، ص 109.

(4) تختلف بعض المصادر التاريخية في من دس السم لأبي هاشم، فاليعقوبي يرى أنه حدث ذلك في زمن سليمان ابن عبد الملك، انظر: اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 297. أما صاحب أخبار الدولة العباسية فيعتقد أن الوليد بن عبد الملك هو من بعث من =

وتخبرنا المصادر التاريخية أنه عندما شعر أبو هاشم بدنو أجله رأى أن ينقل أمر الدعوة إلى ابن عمه محمد بن علي بن العباس الذي كان في الحميمة، خاصة وأن أبا هاشم لم يكن له ولد، وأوصاه بأمر الدعوة وأطلعه على أنصاره ورعاته وأوصاه بأن يجعل ميسرة النبال مولى الأسد داعية بالعراق وأوصاه خيراً بالشيعة وسلم له خاتماً كان في إصبعه ليختم به الكتب إلى الدعاة، وفي المقابل كتب أبو هاشم للشيعة والدعاة بتسليم الأمر إلى بني العباس[1]، فاختار سلمة بن بجير صديقه وشيعته ليكون عوناً لمحمد بن علي العباس.

وبهذا انتقلت الدعوة من الفرع العلوي إلى الفرع العباسي وأخذ محمد بن علي ابن العباس يعمل سراً ويستقطب حوله الدعاة فباشر نشاطه من الحميمة وأعلن شعاراً للرضا من آل محمد ﷺ[2].

عمل محمد بن علي بن البعاس بوصية أبي هاشم حيث قال إمام الشيعة لسلمة بن بجير:

> «أنت أخي دون الإخوة، ولست أقطع أمراً دونك ولا أعمل إلا برأيك، وهذا الأمر لا تنال حقيقته إلا بالتعاون عليه، فقوموا به يجمع لكم به خير الدنيا (وخير الآخرة) فدعا له القوم وطابت نفوسهم.. ثم قال له ابن بجير: إني قد كنت غرست لكم غرساً لا تخلف ثمرته، استجاب لي عدة من رهطي وجبرتي وخلطائي ليسوا بدون من يرى في محبتكم والمناصحة لكم، ونحن نشخص في أمرك وقد رأيت أن تثبت

= سممه، انظر: مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، تحقيق عبد العزيز الدوري، (بيروت: دار الطليعة، 1971)، ص 188 ـ 189.

(1) المصدر السابق: ص 188. اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 298؛ مؤلف مجهول: **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، ج 3، (بغداد: المثنى، د. ت)، ص 181.

(2) مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص 188.

أسماءهم لتعرفهم وتستظهر بهم على أمرك»[1].

وذكر له ابن بجير أسماء الشيعة القائمين بالدعوة، منهم موالي وعرب، وهم أبو هاشم بكير بن ماهان وحفص بن سليمان وهو أبو سلمة الخلال وهما من موالي آل بني مسلية، وميسرة النبال مولى أسد، أما من العرب موسى السراج، وزياد بن درهم الهمذاني، والمنذر بن سعيد وإبراهيم بن سلمة[2].

وبعد أن أطلع محمد بن علي العباسي أمر الشيعة بكتمان اسمه وكانت دعوته كما أسلفنا الذكر للرضا من آل محمد - ﷺ - وكان القائم بالأمر بجير، إلا أن بجيراً مات قبل أن يكمل مهمته فخلفه ميسرة النبال الذي ما لبث هو الآخر أن توفي، فاختار الشيعة بكير بن ماهان، فوافق محمد بن علي على اختيارهم له.

وكان بكير قد تهيأ للشخوص إلى محمد بن علي في الحميمة على هيأة تاجر إلا أنه اضطر إلى السفر إلى السند من أجل ميراث أخيه، وفي طريقه إلى جرجان ومرو استطاع أن يكسب الأتباع والشيعة أمثال أبي عبيدة قيس بن السري وأبي عامر إسماعيل ابن عامر ويزيد بن النهيد وسليمان بن كثير، وبعد أن تم بكير المهام في السند رحل إلى محمد بن علي في الحميمة على هيأة عطار وحمل إليه الميراث وأموال الشيعة[3].

وقد أرسل الإمام محمد بن علي العباسي أبا عكرمة زياد بن درهم السراج إلى خراسان وأمره أن يذهب بسيرة بكير وقال له:

> «لتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد فإذا وقعت بالرجل في عقله وبصيرته فاشرح له أمركم، وليكن اسمي مستوراً من كل إلا عن رجل عدلك في نفسك.. وتوثقت منه وأخذت بيعته فإذا قدمت مرو

---

(1) المصدر السابق: ص 190 - 191.
(2) المصدر السابق: ص 192.
(3) المصدر السابق: ص 196.

فاحلل في اليمنيين وتألف ربيعة وتوق مضر وخذ نصيبك من ثقاتهم واستكثر من الأعاجم، فإنهم أهل دعوتنا وبهم يؤيدها الله»[1].

وقد وجّه محمد بن علي دعاته إلى الكوفة وخراسان حيث أوصى ذلك في كتاب جاء فيه.

«.. أما الكوفة وسوادها، فشيعة علي وولده، وأما البصرة عثمانية تدين بالكف عن القتال تقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق نصارى، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل سفيان وطاعة بني مروان، وعداوة راسخة، وجهل متراكم، وأما مكة والمدنية فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم يتوزعها النحل وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة.. وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق»[2].

ووصية الإمام محمد هذه توضح استراتيجيته في الاختيار المناسب لبث الدعوة العباسية، فالعراق بصفة عامة والكوفة بصفة خاصة عانت من ويلات الولاة الأمويين أقسى معاناة ـ كما مر بنا ـ فكانت دائماً موطن التمرد والثورة

---

(1) المصدر السابق: ص 203.

(2) شمس الدين أبو عبد الله المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (بيروت: مكتبة خياط، د. ت)، ص 293 ـ 294؛ انظر: مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص 206 ـ 207.

ضد الحكم الأموي وكان سكان هذا الإقليم متطلعين إلى المنقذ وخاصةً إذا كان من آل البيت حيث كانت العراق مركز التشيع.

أما خراسان فكانت أكثر الأمصار الإسلامية نقمةً على الحكم الأموي كما أن موقعها الجغرافي وبعدها عن مركز الخلافة من العوامل المشجعة لنشر الدعوة، ولهذه الأسباب مجتمعة قرر الإمام محمد الأخذ بمشورة بكير بن ماهان في نقل مركز الدعوة إلى خراسان وأن تبقى الكوفة نقطة اتصال بين مرو والحميمة.

وقد تولى بكير بن ماهان تنظيم الدعاة لآل البيت إلى اثني عشر نقيباً وهم: من العرب:

سليمان بن كثير الخزاعي، لاهز بن قريظ التميمي، وقحطبة ابن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم، والقاسم بن مجاشع، ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي.

نقباء من الموالي:

عمران بن إسماعيل مولى بن معيط، وعمرو بن أعين مولى خزاعة، وشبل بن طهمان مولى بني حنيفة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة[1].

واختار سبعين رجلاً من الدعاة يعملون تحت إشراف هؤلاء النقباء وأوصاهم بالسرية التامة والدعوة للرضا لآل محمد، لاستقطاب الشيعة والموالي دون تحديد اسم الإمام، وقد أمرهم الإمام محمد بالسمع والطاعة لبكير بن ماهان حيث قال لهم:

> «اسمعوا منه وأطيعوا وافهموا هو لساني إليكم وأميني فيكم، فلا تخالفوه ولا تقضوا الأمور إلا برأيه وقد أثرتكم به على نفسي لثقتي به في النصيحة لكم واجتهاده في إظهار نور الله فيكم»[2].

---

(1) الطبري: تاريخ، ج 9، ص 1358.
(2) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 213.

٦

وبذلك اتجه الدعاة إلى خراسان بالسر متنكرين في زي تجار وحجاج[1]، وكانوا يدعون الناس لآل البيت إلى كل من يتوسمون فيه الثقة، وكانوا ينشرون مع الدعوة العدل والمساواة بين الطبقات المظلومة من عرب وموالي لاستقطاب أعداد هائلة من المضطهدين الناقمين على السياسة الأموية.

وقد تعرضت الدعوة في خراسان إلى المجازفة بالأرواح حيث كان والي خراسان أسد بن عبد الله القسري، يتبع أخبار الدعاة على الرغم من السرية التامة فقتل من ظفر منهم وهرب عمار العبادي من خراسان وأخبر رئيس الدعاة بكير بذلك، فكتب الأخير بدوره للإمام محمد بن علي العباسي، فبعث الإمام محمد داعيته في خراسان سنة 109 هـ ـ 727 م وهو زياد أبو محمد الذي عمل سراً للدعوة لآل البيت بمرو[2]، لكن أسداً القسري كان حذراً جداً من الدعاة فعلم بأمره فقبض عليه هو ومن معه من أهل الكوفة ثم قتلهم جميعاً، وفي سنة 117 هـ ـ 735 م رحل الدعاة إلى خراسان وهم سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، ولاهز بن قريظ، وخالد بن أبراهيم وطلحة بن زريق[3].

ورحيل الدعاة يدل على مدى إيمانهم بالعمل الذي وهبوا أنفسهم من أجله على الرغم من تتبع والي خراسان أسد القسري للدعاة والفتك بهم، فقد وقعوا في قبضة أسد فقتل بعضهم وسجن البعض الآخر إلا أنهم لم يفصحوا عن حقيقة أمرهم.

وفي سنة 118 هـ ـ 736 م بعث بكير بن ماهان عمار بن يزيد ليدعو الناس في خراسان للرضا من آل محمد، حيث غير اسمه وتسمى بـ (خداش) وأقام في مرو واستطاع في وقت قصير أن يجمع الأنصار والأتباع إلا أنه غيّر ما دعاهم إليه، وأظهر دين الخرمية وأباح بعضهم في نساء بعض، وأخبرهم أن ذلك عن

(1) انظر: الطبري: تاريخ، ج 9، ص 1434.
(2) ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 143 ـ 144.
(3) المصدر السابق؛ ج 5، ص 189.

أمر محمد الإمام، فبلغ ذلك أسد ابن عبد اللّٰه القسري، فقبض عليه وسمل عينه وقطع لسانه ويديه ثم قتله[1].

ويبدو أن عماراً هذا من أصل فارسي، لاعتناقه مبادىء الخرمية وإحياء أمجاد الفرس عندما وجد الفرصة متاحة له كهذه، وعلى الرغم من الدور الخطير الذي قام به خداش في خراسان إلا أن المصادر التاريخية[2]، لم تلقِ الضوء على ترجمته، اللهم تذكره بخداش، وقد ناقش فان فلوتن حول لقبه فرأى أن اسم (خداش) جاء من المعنى العربي (خدش الدين) ومزقه فسمي بخداش[3]. أما شاكر مصطفى فقد فسّر هذا الاسم باللغة الفارسية، والذي يعني:

«خذا أي الملك وصاحب مع اش الضمير الثالث الإضافي، ويكون المعنى عند ذلك: سيد الدعوة وصاحبها، وملكها، أوقد يكون اللقب مأخوذاً من خديش.. بمعنى: رب العائلة»[4].

وبهذا يمكن أن نقول إن عماراً أو خداشاً كان من الموالي الذين انضموا للدعوة العباسية متخذينها ستاراً لاخفاء شعوبيتهم، وهذا يوضح لنا سرعة انضمام وتقبل الموالي للثورة على الحكم الأموي.

وكان والي خراسان أسد بن عبد اللّٰه القسري يحد من نشاط الدعاة فلما توفي سنة 120 هـ ـ 737 م استأنف الدعاة نشاطهم السياسي والديني، في بث الدعاية لآل البيت ناشرين أهم مبادىء الإسلام التي تحقق العدالة والمساواة بين الناس عرباً كانوا أم موالي، وأن ما جاء به خداش ما هو إلا زيف وكذب على

---

(1) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1588.
(2) انظر: الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1505.
(3) فلوتن: **السيادة العربية**، ص 98؛ الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1503.
(4) شاكر مصطفى: **دولة بني العباس**، ج 1، ط 1، (الكويت: وكالة المطبوعات، 1973)، ص 123.

الإمام والإسلام، فبعث إليهم الإمام محمد بن علي، سليمان بن كثير فوجد أهل خراسان قد اتبعوا ما جاء به خداش، فأخبره عنهم.. فكتب له كتاباً مختوماً جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم» فعرفوا أنهم مخالفون أمر الإمام وأن ما جاء به خداش ما هو إلا زيف.

وفي نفس العام أرسل الإمام محمد بكير بن ماهان إلى شيعته في خراسان ينبههم مرة أخرى بأن خداشاً حمل شيعته على غير منهاجه، فقدم عليهم بكير بكتاب الإمام فلم يصدقوه.. فانصرف بكير إلى الإمام، فبعث معه بعصي مضببة.. ودفع بها إلى كل رجل من النقباء والشيعة، فعلموا أنهم مخالفون لسيرة الإمام، فتابوا[1].

وفي سنة 125 هـ ـ 743 م قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب على الإمام محمد بن علي العباسي محملين بالهدايا والأموال ومعهم أبو مسلم الخراساني وأخبروه بأن الناس قد استجابت لدعوته، فقال لهم: «لن تلقوني بعد وقتي هذا، وأنا ميت في سنتي هذه.. وصاحبكم ابني إبراهيم»، توفي محمد الإمام سنة 125 هـ743 م[2]، وولى الأمر من بعده إلى ابنه إبراهيم الذي عمل على إحكام السيطرة على خراسان، فوجه في سنة 126 هـ ـ 744 م أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان ومعه السيرة والوصية، فقدم مرو وجمع فيها النقباء ومن بها من الدعاة ونعى لهم الإمام محمد بن علي، ودعاهم إلى إبراهيم فقبلوا الدعوة[3].

وفي عام 128 هـ ـ 746 م اختار إبراهيم الإمام أبو مسلم الخراساني آخر دعاة آل البيت إلى خراسان بالنهوض بأمر الدعوة وكتب إلى أصحابه:

«إني قد أمرته على خراسان، وما غلب عليها، فآتاهم

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 218 ـ 219.
(2) اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 332.
(3) الطبري، **تاريخ**، ج 9، ص 1869.

فلم يقبلوا قوله، وخرجوا منه قابل فالتقوا بمكة، فأعلمهم أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه، قال إبراهيم: إنه قد أجمع رأية على هذا فأسمعوا له وأطيعوا، ثم قال لأبي مسلم: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل من أهل البيت، فاحفظ وصيتي انظر هذا الحي من اليمن فإكرمهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وانظر هذا الحي من ربيعة فإنهم معهم، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره، ومن وقع في نفسك منه تتهمه، فقال: أيها الإمام فإن وقع في أنفسنا من رجل هو على غير ذلك، احبسه حتى تستبينه؟ قال: لا السيف السيف، لا نتقي العدو بطرف، ثم قال للشيعة: من أطاعني فليطع هذا ـ يعني أبا مسلم ـ ومن عصاه فقد عصاني، ثم قال له: إن استطعت ألاّ تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فأفعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار، فاتهمته فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ ـ يعني سليمان بن كثير ـ ولا تعصه»[1].

ويعتقد بعض المؤرخين[2] أن هذه الوصية غير صحيحة بل مدسوسة على الإمام إبراهيم من حيث نصها الأول يناقض النص الثاني» إن استطعت ألاّ تدع بخراسان أرضاً فيها عربي. .» ونحن نؤيد صحة هذا الاعتقاد عدا الأسباب التي ذكرها وحللها بعض المؤرخين وهي: تباين وصية إبراهيم الإمام في مصدر عباسي لمؤلف مجهول حيث لم نعثر على الوصية الآنفة الذكر كما هي حيث يقول:

(1) ابن قتيبة: الإمامة، ج 2، ص 114.
(2) الفاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية، ط 1 (بيروت: دار الإرشاد، 1970)، ص 170؛ مصطفى: دولة بني العباس، ص 130 ـ 131.

«.. أما بعد، فقد وجهتُ إليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاي، فالقوا إليه أزمة أموركم وحملوه أعباء الورد لها والصدر في محاربة عدوكم، وعاهدوا اللّه على الطاعة وكونوا بحبله معتصمين..»
وختم وصيته بسورة النور ـ الآية 55[1].

فهذه الوصية واضحة وليس فيها قتل العرب كما تزعم بعض المصادر، لأنه إذا صح ذلك فإن العرب من نقباء ودعاة سينفضون عن مساعدة العباسيين.

كما إننا لم نجد ذكراً لنص الوصية عند اليعقوبي[2]، أما صاحب العيون والحدائق في أخبار الحقائق فإنه أشار إلى الشطر الأول بالوصية ولا يذكر النص الثاني بخصوص قتل العرب بل نراه يقول: «واقتل مَن شكت في أمره ولا تخالف أمر هذا الشيخ ـ يعني سليمان بن كثير»[3]، كما أن الطبري المتهم بسرد الأخبار بالإسناد نراه هنا وعند الحديث عن الوصية لم يسندها إلى رواية[4].

أما عند الدينوري في كتابه الأخبار الطوال فيذكر النص الثاني من الوصية ـ لكنه ليس لإبراهيم الإمام بل لأبي العباس وهو «ألا يدع بخراسان عربياً لا يدخل في أمره إلا ضرب عنقه»[5]، وهذا يخالف معنى قتل كل عربي.

ومع هذه الاختلافات الواضحة في الوصية من خلال بعض المصادر نرجح أن تكون هذه الوصية مدسوسة من قبل أعداء الدعوة العباسية وبذلك تخالف من ذهب بالقول إلى أن «العباسيين تمكنوا بفضل هذه السياسة من جعل خراسان بأكملها تدين بالولاء لهم، وحاولوا أن يطهروها من كل خطر يهدد

---

(1) مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص 269.
(2) انظر: اليعقوبي: **تاريخ**، ج 2، ص 332.
(3) مؤلف مجهول: **العيون والحدائق**، ص 184.
(4) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1937.
(5) الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص 359.
(6) ناجي فؤاد بدوي: **الشعوبية في العصر العباسي الأول**، ط 1، (الزقازيق: دار الأرقم، 1993)، ص 27.

وجودهم هناك، والإبقاء على الجنس الفارسي وحده، ولعل هذا يفسر لنا القسوة التي بعث بها إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخراساني»[1].

ولكنني أرجح أن يكون النص الثاني مدسوساً من قبل الأمويين لتأليب العرب بأكملهم عن حقيقة أمر الدعوة العباسية والغرض الذي جاءت من أجله، وأن توضح أن الدعوى ما هي إلا ماجوسية للقضاء على العرب والإسلام، ولعل دليلنا على ذلك ما قام به أبو مسلم الخراساني عندما قدم عليه رسولا نصر بن سيار للاستفسار عن أمر الدعوة فإن أبا مسلم بعث إلى سليمان بن كثير ووجوه من معه من العرب فصلوا جميعاً، فدخل عليهم رسولا نصر فكبرا، «فقال لهم أبا مسلم: لِمَ كبرتما؟ قال أحدهم: كان يقال لنا إنكم لا تصلون وإنكم تعبدون السنانير فلما رأيناك تصلي علمنا أن ما قيل فيكم باطل»[2].

وهناك دليل آخر هو عندما اشتبكت قوات أبي مسلم الخراساني بقيادة مالك الخزاعي بقوات نصر بن سيار بقيادة يزيد مولى نصر وأسفر القتال عن وقوع يزيد مولى نصر بن سيار في الأسر أكرمه أبو مسلم واعتبره ضيفاً عنده ثم أطلق سراحه وخيره بالبقاء معه أو بالعودة إلى سيده فاختار العودة وعندما عاد قال لمولاه:

> «إنهم يصلون الصلاة لمواقيتها بالآذان وإقامة، ويتلون كتاب اللّٰه ويذكرون اللّٰه كثيراً، ويدعون إلى ولاية رسول اللّٰه، وما أظن أمرهم إلا سيعلو، ولولا أنك مولاي أعتقتني من الرق، ما رجعتُ إليك ولقمت معهم»[3].

وقبل أن نخوض في الحديث عن دور الموالي في سقوط الدولة الأموية وجب علينا أن نقف عند ترجمة أهم الشخصيات القيادية من الموالي.

---

(1) مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص 282.

(2) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 134؛ ابن خلدون: **العبر**، ج 3، ص 253.

2 ـ بكير بن ماهان:

زعيم الدعوة العباسية والممهد لقيام الخلافة العباسية، عمل في بداية أمره كاتباً ومترجماً للجنيد بن عبد الرحمن أمير السند في العهد الأموي[1]، ولما استُقيل جنيد عن منصبه انصرف بكير إلى الكوفة عام (105 هـ ـ 723 م) وكانت الكوفة أحد مركزين للدعوة العباسية، فانضمّ إلى أمر الدعوة، وكان القائم بأمر الدعوة ميسرة النبال مولى علي بن عبد الله العباسي فلما توفي اختار محمد الإمام بكيراً ليكون رئيس الدعوة، وقد ساهم بكير بكل ما لديه من أموال لإنفاقها في نشر الدعوة حيث كان من الموسرين فاستقطب حوله الشيعة والموالي وجمع الأموال للإمام محمد، وأظهر كفاية نادرة ونشاطاً عظيماً في كسب المؤيدين للدعوة حيث أرسل في سنة (107 هـ ـ 725 م) رهطاً من الدعاة إلى خراسان لبث الدعوة فيها فعلم أسد بن عبد الله القسري بأمر الدعاة فقبض عليهم وقتلهم شر قتلة، ولم ينجَ منهم إلا عمار العبادي، إلا أن بكيراً لم ييأس من بث دعاته فأرسل في سنة (118 هـ ـ 736 م) بالدعوة للناس لآل البيت، فلما رحل عمار إلى خراسان استقر بمرو وغيّر اسمه وتسمى بخداش وعمل على اجتذاب الأنصار لمحمد بن علي، فلاقى نجاحاً كبيراً أول الأمر ألا أنه غيّر مساره حيث اعتنق عقائد الخرمية وجاهر بآراء بعيدة عن جوهر الدين الإسلامي، فقبض عليه أسد وعذبه وقتله[2].

وفي عام (124 هـ ـ 742 م) قبض على بكير وأُلقي به في السجن فتعرف وهو بالسجن بـ (عيسى بن معقل العجلي) حيث نشر له الدعوة وكان مع عيسى مملوك يقوم بخدمته هو أبو مسلم الخراساني، وشاءت الأقدار أن نجى بكير بن ماهان من السجن، فقدم بأبي مسلم إلى محمد الإمام ومعه الأموال[3].

---

(1) الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص 333.

(2) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 196.

(3) ك. ف. سترشتين: «بكير أبو هاشم بن ماهان»، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج 4، ص 55.

وفي سنة (125 هـ ـ 743 م) مات محمد بن علي العباس بالشراه من أرض الشام، وكان قد أوصى لابنه إبراهيم بالإمامة من بعده فقال لشيعته: «فلكم فيه خلف صدق مني»[1]، وفي سنة (126 هـ ـ 744 م) وجه إبراهيم الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان وبعث معه بالسيرة والوصية، فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة ونعى لهم محمد الإمام ودعاهم إلى ابنه إبراهيم وأخذ منهم نفقات الشيعة وقفل بهم راجعاً إلى الإمام إبراهيم ليتعرفوا عليه وطلبوا منه التعجيل بالثورة وقالوا له:

«حتى متى تأكل الطير لحم أهل بيتك وتسفك دماءهم تركنا زيداً مصلوباً بالكناسة وابنه مطرداً في البلاد وقد شملكم الخوف وطالت عليكم مدة أهل بيت السوء»[2].

أوصى بكير قبل وفاته وهو على فراش الموت أن يخلفه في أمر الدعوة أبو سلمة حفص بن سليمان فوافق إبراهيم الإمام على اختياره وجعله مبعوثه»[3].

* * *

2 ـ أبو سلمة حفص بن سليمان:

هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال، كان مولى لبني الحارث بن كعب، كان حسناً وممتعاً في حديثه أديباً على دراية بأمور السياسة، وكان من أثرياء أهل الكوفة حيث ينفق ماله على رجال الدعوة.

قدمه صهره بكير بن ماهان لإبراهيم الإمام ليكون القائم بأمر الدعوة في خراسان[4]، وافق إبراهيم الإمام على ذلك وكتب لأبي سلمة يأمره بالقيام بأمر

(1) مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص 239.
(2) نفس المصدر السابق: ص 241.
(3) ابن خلكان: **وفيات**، ج 2، ص 196.
(4) ابن الطقطقي: **الفخري**، ص 154.

أصحابه وكتب ألى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ورحل أبو سلمة إلى خراسان لبث الدعوة فيهم فصدقوه، ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم[1].

ويُعد أبو سلمة الخلال من الدعاة النشيطين، فهو الذي أخرج الدعوة لآل البيت من دورها السري إلى حالتها العلنية[2].

وكان من أوائل الدعاة الذين لهم شأن كبير في دسائس العباسيين التي مهدت لسقوط الخلافة الأموية.

ولنشاطه في نشر الدعوة لآل البيت لقب بوزير آل محمد قبل أن تقوم الخلافة العباسية، ولما كشف أمر الدعوة العباسية، عمل أبو سلمة على نقلها للعلويين، إلا أنهم لم يتجرأوا على الظهور، فاضطر أبو سلمة إلى مبايعة أبي العباس، وبعد أن عُرفت نوايا أبي سلمة تم القضاء عليه سنة (132 هـ ـ 750 م)[3] على يد أبي مسلم الخراساني، وهكذا كانت نهاية هذا الداعي.

* * *

3 ـ أبو مسلم الخراساني:

تختلف المصادر التاريخية في نسب أبي مسلم، فقد قالت إنه كان عبداً تنقل في الرق ثم اعتق، وقيل إنه حر من ولد بزر، ولد بأصبهان، ونشأ في الكوفة ثم اشتراه إبراهيم الإمام من مولاه، لما رأى فيه من الذكاء، فعمل على تثقيفه[4].

---

(1) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1916.
(2) حسين أمين: «الدعوة العباسية»، **مجلة المؤرخ العربي**، (بغداد: الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، 1979) ص 14.
(3) راجع: إبراهيم الكروي: **نظام الوزارة في العصر العباسي الاول** (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1989)، ص 50.
(4) ابن الطقطقي: **الفخري**، ص 139.

وقيل إنه كان قهرماناً[1] لإدريس بن إبراهيم العجلي من قرية يقال لها خرطينة وهي من قرى الكوفة، وشاءت به الأقدار أن اتّصل بمحمد بن علي العباس ثم بابنه إبراهيم بن محمد الإمام الذي بعثه إلى خراسان وأمر أهل الدعوة بطاعته والانصياع لأوامره فقوي أمره وذاع صيته[2].

وقيل إن أباه من رستاق[*] فريدين من قرية تسمى سنجرد، وقيل أيضاً من قرية يقال لها ماضوان تقع على ثلاثة فراسخ من مرو، ثم قاطع على رستاق فريدين التي مرض بها فبعث إليها عامل البلد من يشخصه، وكان له عند أذين بندار بن وسيجان جارية اسمها وشيكة جلبها من الكوفة فأخذ الجارية معه وهي حامل إلى أذربيجان فاجتار على رستاق فايق بعيسى بن عمر بن أخي إدريس بن معقل العجلي، فأقام عنده. ثم مضى إلى أذربيجان ومات فيها.

ووضعت الجارية أبا مسلم، الذي نشأ عند عيسى بن معقل، فلما ترعرع اختلف معه إلى الكتاب فخرج لبيباً، ثم إنه اجتمع على عيسى بن معقل وأخيه إدريس بقايا خراج تقاعدا فأنهى عامل الخراج خبرهما إلى خالد بن عبد الله القسري والي العراق الذي زجهما في السجن فصادفا فيه عاصم بن يونس العجلي محبوساً، وقد كان أبو مسلم يذهب إلى السجن لرؤية عيسى وإدريس ابني معقل، وقد كان في الكوفة جماعة من نقباء الدعوة، دخلوا على العجليين السجن فصادفوا أبا مسلم عندهم فأعجبهم كلامه وثقافته، وانضم أبو مسلم إليهم وخرج معهم إلى مكة، فأورد النقباء على إبراهيم، الذي تولى الإمامة بعد وفاة أبيه وأهدوه أبا مسلم فأعجب به وبمنطقه وعقله وأدبه وقال لهم: «هذا عضلة من العضل..» وظل أبو مسلم يخدمه ثم عادوا وسألوا إبراهيم الإمام رجلاً يقوم بأمر الدعوة في خراسان فقال:

---

(1) قهرمان: وكيل الخراج والدخل. انظر: محمد التونجي: **المعجم الذهبي**، فارسي - عربي، ط 1، (بيروت: دار العلم للملايين، 1969)، ص 446.

(2) المسعودي: **مروج الذهب**، ج 3، ص 254.

(*) رستاق: معناه العربي قرية، انظر: التونجي: **المعجم الذهبي**، ص 296.

«إني جربت هذا الأصبهاني، وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حجر الأرض»[1] وكتب عهداً بتوليه أمر الدعوة في خراسان جاء فيه:

«أما بعد فقد وجهت إليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاي فالقوا إليه أزمة أموركم، وحملوه أعباء الوزر لها والصدر في محاربه عدوكم، وعاهدوا اللّه على الطاعة وكونوا بحبله معتصمين، وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»[2].

ويذكر ابن الأثير أن إبراهيم الإمام عندما اختار أبي مسلم داعية له في خراسان أمره بتغيير اسمه حتى يتم له الأمر بالدعوة العباسية حيث كان أبو مسلم يدعى إبراهيم حيكان فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم، ويكنى أبا مسلم، وزوّجه إبراهيم الإمام ابنة عمران بن إسماعيل الطائي المعروف بابن لجم[3].

أما أبو مسلم فقد ادعى فيما بعد أنه ابن سليط بن عبد اللّه بن العباس[4]، وهذا الإدعاء مشكوك في أمره لأن أبا مسلم صرّح بهذا النسب عقب قيام الدولة العباسية وليس قبل!.

ونعزو اختلاف بعض المصادر التاريخية حول نسب أبي مسلم للدور الهام والرئيس الذي قام به للنهوض بأمر الدعوة العباسية، فالكل حاول أن يصل إلى نسبه، ويبدو من هذه الروايات المتعارضة أنه من أصل مجهول وتكتنف

(1) ابن خلكان: **وفيات**، ج 3، ص 145 ـ 146.
(2) مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص 269.
(3) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 254.
(4) ابن قتيبة: **المعارف**، ص 185.

شخصيته الكثير من الغموض إلا أن هذا لا يقلل من دوره الكبير في إسقاط الدولة الأموية.

الوضع العام للخلافة الأموية في الفترة (125 ـ 132 هـ 743 ـ 750 م):

في الوقت الذي وجّه فيه إبراهيم الإمام أبا مسلم الخراساني إلى خراسان، كان وضع الخلافة الأموية مليئاً بالاضطرابات والفوضى والخصومات فكان الوليد الثاني بن يزيد غارقاً في حياة الترف واللهو، فاعتبره الأمويون أنفسهم متهاوناً في الدين بل وصل بـ يزيد بن الوليد أن دبر له مؤامرة واغتاله سنة (126 ـ 744 م) ونصب نفسه خليفة[1]، لكن الأمر ازداد سوءاً بطرد عمال الوليد في فلسطين واليمامة، من قبل الخليفة يزيد، كما أن نصر بن سيار والي خراسان رفض التبعية لمنصور بن جهور والي يزيد على العراق[2]، وكان هذا الإجراء من قبل نصر يعد إثارة روح العداء ضد سلطان الخليفة فأقام نصر في ولايته خراسان وعاصمتها مرو بعدة إصلاحات، كما قام بتعيين ولاة محليين مضريين ويمانيين على سرخس ونسا وأبيورد وحاول نصر لَمّ شمل القبائل العربية بخراسان، إلا أنه أخفق في التوفيق بينهم، فعزل جديع الكرماني زعيم الأزد، فكون عداء بينه وبين الكرماني وأثارت روح العصبية من جديد بين المضرية واليمانية. فقبض نصر على الكرماني وأودعه السجن سنة (127 هـ ـ 745 م) ونقل مقره إلى قرية (ماجان) القريبة من مرو محاولاً التقرب من شيوخ القبائل من ربيعة واليمن.

إلا أن جديعاً الكرماني استطاع الهرب من السجن بمساعدة أعوانه واستقر في قرية (نوش) وانضم إليه الأزد[3].

ولما عين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والياً على العراق أعاد الصفة القانونية لنصر بن سيار كوالي على خراسان، فأصبح نظرياً وقانونياً خروج الكرماني على سلطة نصر ما هو إلا تمرد وعصيان على السلطة التنفيذية في

(1) الطبري؛ تاريخ، ج 9، ص 1777 ـ 1778.
(2) اليعقوبي: تاريخ، ج 2، ص 335.
(3) انظر: الدينوري: الأخبار، ص 352.

خراسان فانسحب الكرماني إلى قرية ماسرجسان[1]. وقد رأينا في الفصل السابق كيف عمل الكرماني على الانضمام لثورة الحارث بن سريج ومحاربة نصر بن سيار.

وفي هذه الأثناء كانت الدعوة لآل البيت في خراسان تأخذ مسارها الإيجابي وكانت مجريات الأمور في الدولة الأموية تفور بالغليان والفتن فقد أظهر مروان بن محمد والي الجزيرة وأرمينة العداء للخليفة يزيد بن الوليد وطالب بدم الوليد المغدور والثأر له، إلا أن المنية وافت يزيد قبل أن يصل إليه مروان، فدخل مروان بن محمد دمشق، وكان إبراهيم بن الوليد قد عين خليفة من قبل أخيه يزيد بعهد منه، فما علم بقدوم مروان فر هارباً إلا أن موالي الوليد ثاروا عليه وهموا بقتله، ونبش قبر يزيد بن الوليد فصلبوه على باب الجابية، وأتى مروان بابني الخليفة المغدور الحكم وعثمان، ويوسف بن عمر، ودفنهم جميعاً وجلس على كرسي الخلافة في وقت عصيب، فاختار حران عاصمة لخلافته[2]، وكان وصوله للخلافة متأخراً فقد انتفض عليه أهل حمص والغوطة وفلسطين[3]، وقد استفحل الخطر في خراسان بانتشار الدعوة لآل البيت، حيث استطاع أبو مسلم أن يألب عرب خراسان على سلطة نصر بن سيار فجمع الأهالي وخطب فيهم قائلاً:

> «يا معشر المسلمين بلغنا أن نصر بن سيار جمع قوماً فخبرهم بأنكم على غير دين الإسلام، وأنكم تستحلون المحارم ولا تعملون بكتاب الله ولا سنة نبيه - ﷺ - يريد بذلك ليطفيء نوركم، ويؤلب عليكم الناس، وقد كان الإمام أَمَرَنا بأن ندعوا الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بذلك، وإظهار العدل، وإنكار الجور، وأن أبايع الناس على ذلك، وأنا أول

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 306.
(2) **المصدر السابق**: ج 5، ص 323 ـ 324.
(3) **المصدر السابق**: ج 5، ص 328 ـ 329.

من بايع على كتاب الله تعالى وسنة نبي الله والعمل
بالحق والعدل ودفع الظلم عن الضعفاء، وآخذ الحق
من الأقوياء..»[1].

وبهذه الخطبة التي ألقاها أبو مسلم ثار الحماس في الانضمام إلى الدعوة، فانشقوا على نصر الذي أصبح يقاتل في الساحة وحيداً وورد على أبي مسلم كتاب من جرجان أنه قد اجتمع الناس لدعوته وأنهم سيلحقون بإخوانهم بمرو، فسر بذلك أبو مسلم وأصحابه وبلغ الخبر نصراً فقال:

«قد أطبقت علينا الطالقان ومرو الروذ وبلخ وما على
شط النهر وأبيور وهذه مرو قد بلغ فيها ما بلغ ثم
يأتيهم أهل جرجان، كأنكم بالحبال قد وضعت في
أعناقنا..»[2].

شعر نصر بن سيار بهدف أبي مسلم الخراساني فدعا العرب إلى تناسي أحقادها وثاراتها وحذرهم من مغبة الخطر الداهم عليهم في أبيات الشعر:

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم ... كأن أهل الحجا عن رأيكم عزب
وتتركون عدواً قد أظلكم ... مما تأشب لا دين ولا حسب
قدماً يدينون ديناً ما سمعتُ ... به عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلاً عن أهل دينهم ... فإن دينهم أن تقتل العرب[3]

* * *

تكوين جيش من الموالي ودوره في الإطاحة بالدولة الأموية:

وفدت على أبي مسلم الكتب من إبراهيم الإمام يأمره فيها بإظهار الدعوة، ونفذ معها الراية واللواء، وكانت الراية تدعى السحاب، أما اللواء فيدعى الظل،

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 292.
(2) المصدر السابق: ص 293.
(3) ابن عبد ربه: العقد، ج 4، ص 478 ـ 479.

فلما وصلت تعليمات الإمام بنشر الدعوة جهراً نزل أبو مسلم قرية من قرى مرو وهي (سيفدنج) لبث دعوته في الناس، وأمرهم أن يجتمعوا إليه وقال لهم:

«إن عارضكم معارض فقد حل لكم الآن أن تدافعوا عن أنفسكم وأن تظهروا السيوف وتجردوها من أغمادها وتجاهدوا أعداء الله تعالى»[1].

وكان ذلك في (25 رمضان 129 هـ، 10 يونيو 747 م) فكان أول من لبس السواد أسيد بن عبد الله فنادى: «يا محمد يا منصور، فسود معه العكي ومقاتل بن حكم وعمر بن غزوان»[2].

وقد لاقت الدعوة للرضا من آل محمد أذاناً مصغية عند سكان خراسان ولا سيما الموالي والأعاجم الذين عانوا الأمرين من سياسة وجود عمال بني أمية في الاشتطاط بالضرائب الفادحة ودفعهم الجزية صاغرين على الرغم من إسلامهم، فانضم أغلب الموالي في صفوف الدعاة مناهضين السياسة الأموية ومنادين بسقوط الحكم الأموي، وقد وصف الدينوري جهود أبي مسلم الخرساني في استقطاب أهالي خراسان بعبارة جاء فيها:

«وانجفل الناس على أبي مسلم من هراة وبوشنج ومرو الروذ والطالقان ومرو ونسا وأبيورد وطوس ونيسابور وسرخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف فتوافدوا جميعاً مسودي الثياب، وقد سودوا أيضاً أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها (كافر كوبات) أي مضرب الكافر»[3].

وبذلك نستدل على أن أبا مسلم الخراساني استطاع بدهائه السياسي أن يجمع أكبر قدر من الموالي والعجم على السواء في جيش كبير للقضاء على

---

(1) مؤلف مجهول: العيون، ج 3، ص 186 ـ 187.
(2) الدينوري: الأخبار، ص 361.
(3) المصدر السابق: ص 360.

القوات الأموية المفككة سياسياً واجتماعياً ونفسياً.

ولعل انضمام الموالي لجيش أبي الخراساني جاء نتيجة الشعارات التي رفعها أبو مسلم في الموالي والعبيد والقائلة بالمساواة والعدل حيث عمل أبو مسلم على جذب هؤلاء الخراسانيين فأشاع:

«أيما عبد أتانا راغباً في أمرنا قبلناه، وكان له ما لنا وعليه ما علينا»[1].

فتوافد العبيد على أبي مسلم، فأعتقهم جميعاً، فلما كثروا جعل لهم موضعاً وكوّن منهم أول جند أمد به أهل أبيورد ونسا[2].

وعلى كل حال فقد وقف أبا مسلم الخراساني يتلو القرآن أمام اللواء العباسي:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[3].

فأوقدوا النيران في قرية سفيدنج وكانت علامة لتجمع الشيعة، ودخلوا جميعاً في معسكر أبي مسلم الخراساني وتحصنوا به، فلما جاء العيد أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس، وبعد أن فرغ الدعاء والناس جميعاً من صلاة يوم العيد، بعث أبو مسلم كتاباً لنصر بن سيار جاء فيه:

«أما بعد، فإن الله تعالى عين قوماً فقال واقسموا بالله جهد أيمانهم، لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً واستكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين، فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً»[4].

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 280.
(2) المصدر السابق: ص 281.
(3) سورة الحج، الآية 39.
(4) مؤلف مجهول: العيون، ج 3، ص 187 ـ 188.

فلما قرأ نصر كتاب أبي مسلم قال: «هذا كتاب له جواب»، لكن نصراً رأى أن ليس لديه من القوة لمحاربة أبي مسلم، حيث دخل أكثر الناس في طاعته، حتى علي وعثمان ابنا جديع الكرماني انضما إليه بتحريض منه فعندئذ رأى نصر وجوب طلب نجدة جند الشام فكتب إلى الخليفة مروان بن محمد يعلمه بحال خراسان وأمر الدعوة العباسية، وكتب أبيات من الشعر يصف فيها أحوال خراسان بقوله:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها كلام
فإن يك قومنا أمسوا رقوداً ... فقل هبوا فقد حان القيام

فكتب إليه مروان «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب» فقال نصر لما قرأ الكتاب: «أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده»[1].

لأن مروان بن محمد كان منشغلاً بمقاومة الخوارج، وربما كان مروان بن محمد يعتقد أن ثورة أبي مسلم ما هي إلا حركة تمرد، لكن الوضع تغير عقب ذلك فقد اشتدت الثورة غلياناً وساء الوضع كثيراً في خراسان فكتب نصر مرة أخرى يستنجد بنائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وكتب إليه:

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... وقد تحققت أن لا خير في الكذب
بأن أرض خراسان رأيت بها ... بيضاً إذا أفرخت حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت ... ولم يطرن وقد سربلن بالزغب
فإن يطرن ولم يختل لهن بها ... يلهبن نيران حربٍ أيما لهب[2]

لكن نداءات نصر بن سيار ذهبت أدراج الرياح لأن الوضع العام في خراسان كان ضده، فقد تمكن أبو مسلم من استقطاب الثائرين وانضمامهم لصف الثورة العباسية، وقد أعلن أبو مسلم ثورته بعد أن جهز لها من القوة والعتاد ما يلزم، فانقض على خراسان عقب قضاء نصر بن سيار على الكرماني

---

(1) ابن قتيبة: ج 2، ص 115.
(2) ابن كثير: البداية، ج 10، ص 33.

فعمل أبو مسلم على تحريض أبناء الكرماني علي وعثمان للثأر بمقتل أبيهم من نصر، وكان نصر في هذه الأثناء يعاني من الفتن والاضطرابات ومن خروج شيبان الحروري على السلطة الأموية، فبعث نصر إليه في طلب الصلح ليفرغ لقتال أبي مسلم، واقترح عليه إما أن يكون معه أو يكف عنه، وافق شيبان على ذلك إلا أن علي بن الكرماني منع شيبان من الانضمام إلى نصر أو مصالحته ومهادنته، وعندئذ أصبح نصر في الساحة وحيداً فاشتبكت قوات علي الكرماني مع قوات نصر المفككة معنوياً في قتال عنيف[1].

فتح مرو:

كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد من جديد يطلب منه العون، فكتب الخليفة بدوره إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بأن يجهز جيشاً يقدر باثني عشر ألف رجل مع فرض يفرضه بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ويولي عليهم رجلاً كفؤاً، ويوجه بهم إلى نصر، فكتب يزيد بن هبيرة إلى مروان:

«إن من معه من الجنود لا يفون باثني عشر ألفاً، ويعلمه أن فرض الشام من فرض العراق، لأن عرب العراق ليست لهم نصيحة للخلفاء من بني أمية، وفي قلوبهم إحن»[2].

فلما لم تصل الإمدادات إلى نصر من يزيد أعاد الغوث إلى مروان[*]. .

فلما علم مروان الجعدي أن الوضع العام بخراسان سيئاً للغاية عمل على

(1) ابن خلدون: **العبر**، ج 3، ص 257 ـ 258.
(2) الدينوري: **الأخبار**، ص 359.
(*) من مبلغ عن الإمام الذي ... قام بأمر بيّن ساطع
إني نذير لك من دولة ... قام بها ذو رحم قاطع
والثوب إن أنهج فيه البلى ... أعي على ذي الحيلة الصانع
كنا نداريها، فقد مزقت ... واتسع الخرق على الرافع
الدينوري: **الأخبار**، ص 360.

عزل نصر وتولية نباته بن حنظلة وعامر بن ضباره على خراسان[1].

ولكن الأمر ازداد سوءاً، فقد أمر أبو مسلم أن تنصرف قوات الكرماني ونصر إلى معسكرهما ففعلوا، ومضى أبو مسلم حتى دخل قصر الإمارة بمرو سنة 130 هـ - 747 م[2].

وبذلك استطاع أبو مسلم السيطرة على مرو فهرب نصر بن سيار إلى جرجان، ويقال أن لاهز بن قريظ حذر نصر بن سيار من الاستسلام بتلاوة الآية ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[3]، فلما علم أبو مسلم بأمر لاهز قتله فوراً[4].

بقي أمام أبي مسلم أن يقضي على نصر بن سيار، فأرسل قحطبة بن شبيب الطائي في ملاحقته كما أرسل مسلم إلى شيبان الحروري أن يدخل في طاعته وأن يبايعه على الرضا من آل البيت، لكن الأخير رفض طلبه بل أرسل إلى أبي مسلم يطلب منه الدخول في طاعته، فكتب إليه أبو مسلم: «إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت به»[5].

فبعث شيبان إلى علي بن جديع الكرماني يستنفره لقتال أبي مسلم، لكن ابن الكرماني رفض طلبه لأن أبا مسلم تحالف معه وبايعه وأجلسه على كرسي الإمارة في مرو.

وهذا الإجراء من قبل أبي مسلم يوضح الحنكة السياسية التي تمتع بها أبو مسلم الخراساني في كسب الوقت إلى جانبه وضرب القوتين بهذا الأسلوب.

سار شيبان الحروري إلى سرخس وعمل على تجميع الأنصار من بكر بن وائل فبعث إليه أبو مسلم تسعة رجال من الأزد يدعوه للطاعة ويسأله أن يكف،

---

(1) مؤلف مجهول: **أخبار الدولة العباسية**، ص 314.
(2) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1987؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 380.
(3) سورة القصص، الآية 20.
(4) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 1990.
(5) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 383.

فأخذ الرسل فسجنهم، فكتب أبو مسلم إلى قحطبة بن شبيب الطائي وبسام بن إبراهيم مولى بني ليث بأبيرود، أن يسيروا إلى شيبان ويقتلانه، وبهذا تكون نهاية شيبان الخارجي على أيدي قوات أبي مسلم الخراساني سنة (130 هـ ـ 748 م).

بعد أن تخلص أبو مسلم من شيبان الحروري عمل على اغتيال علي بن جديع الكرماني وأخيه عثمان الكرماني والي طخارستان مع الكثير من أنصارهم، وهكذا دانت له خراسان فوجه عماله عليها[1].

«فكان أول من عقد منهم زنباع بن النعمان على سمرقند، وولى خالد بن إبراهيم على طخارستان، وولى محمد بن الأشعث الطبسين، ثم وجه أصحابه إلى سائر تلك البلاد، وضم إلى قحطبة بن شبيب أبا عون مقاتل بن حكيم العكي وخالد بن برمك، وحارثة بن خزيمة وعبد الجبار بن نهيك، وجهور بن مراد العجلي، والفضل بن سليمان وعبد اللّه بن النعمان الطائي، وضم كل واحد من هؤلاء القواد والجنود»[2].

وهكذا نرى أن أبا مسلم الخراساني بدهائه استطاع أن يفرق شمل القبائل العربية وأن يضرب العصبيات ببعضها البعض، ويلخص محمود شاكر مدى استفادة أبي مسلم من التفرقة في النقاط التالية:

1 ـ ضم أبو مسلم إلى جموعه اليمانية المعارضة للمضرية وزعيمها نصر بن سيار وكانوا يطمعون أن تكون الولاية لهم لكثرتهم وينقمون على المضرية.

2 ـ الناقمين على الأمويين الذين يعتمدون على العرب ويهملون الموالي إذ كانوا يضعون عليهم الجزية رغم إسلامهم ولم يشذ من خلفاء بني أمية سوى عمر بن عبد العزيز.

3 ـ الجماعة التي ترى إهمال الدعوة الدينية وتوقف الفتح خطراً عظيماً على الدين.

---

(1) الطبري: **تاريخ**، ج 9، ص 2000.
(2) الدينوري: **الأخبار**، ص 364.

4 ـ أصحاب العصبية الفارسية الذين يتخذون رد الفعل ضد الأمويين ستاراً يخفون به حقدهم.

5 ـ الجماعة التي تؤيد آل البيت وترى فيهم قدوة وأحقية لتسلم الحكم.

6 ـ الاطماع الشخصية والآراء الفردية وحب التغيير القائم في النفوس[1].

فتح طوس:

أمر أبو مسلم الخراساني قحطبة الطائي أن يسير إلى طوس وبعث معه القاسم بن مجاشع، وكان على طوس النابي بن سويد العجلي من قبل الأمويين، الذي بعث إلى نصر يعلمه بتكتل قوات العدو عليه، فوجه إليه نصر ابنه تميماً في جند مضر ونيسابور، وقد وافق وصول نباته بن حنظلة إلى الري في جمع غفير من قبل الخليفة مروان الجعدي. فكتب نصر إلى ابن هبيرة أن يمده بنباته وقواته، فلما ورد كتابه على ابن هبيرة قال: «ما كنت لأولي مثل نصر على نباته، وإنما نحن في إصلاح ما أفسده نصر».

وبهذا الرد علم نصر أنه لا فائدة مرجوة من يزيد بن هبيرة، فاستطاع قحطبة أن يقضي على النابي العجلي وعلى تميم بن نصر، وأن يبعث برأسيهما إلى أبي مسلم الخراساني ويخبره بفتح طوس[2].

فتح جرجان:

بعد أن قضى قحطبة على النابي العجلي وتميم بن نصر اتجه من طوس إلى جرجان حيث واجه الجيش الأموي بقيادة نباته الكلابي، وقد كانت أوامر أبي مسلم لقحطبة تقضي بملاحقة فلول نصر بن سيار بقومس، لكن قحطبة أبى أن يفعل ذلك، وكتب إليه:

---

(1) محمود شاكر: «خراسان»، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد 6، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1976)، ص 524 ـ 525.

(2) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 323.

«ما كنت أمضي إلى نصر وهو قل وأدع خلفي نباته في فرسان أهل الشام وأهل خراسان، ولكني أمضي لجرجان فإن أظفر الله بنباته فما أيسر أمر نصر»[1].

وعلى كلٍّ وافق أبو مسلم على رأيه، حيث قاتل قحطبة نباته وانتصر عليه في (3 ذي الحجة 130 هـ ـ 4 أغسطس 748 م)، وأقام قحطبة بجرجان مدة يسيرة حتى جبى من خراج جراجان وقسمه بين الجند[2].

ومن الجدير بالذكر أن قحطبة الطائي واجه في جرجان انتفاضة الناس عليه فخطب فيهم قائلاً:

«يأهل خراسان هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدّلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم واستنكحوا نساءهم واسترقوا أولادهم فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدّلوا وغيروا وجاروا في الحكم، وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله ـ ﷺ ـ فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر وقد عهد إلى الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم»[3].

وقد كانت لخطبة قحطبة الأثر البالغ في نفوس الخراسانيين ولا سيما

---

(1) المصدر السابق: ص 328.
(2) المصدر السابق: ص 332.
(3) الطبري: تاريخ، ج 9، ص 2004؛ ابن الأثير: الكامل. ج 5، ص 387 ـ 388.

الأعاجم منهم، فهي تعبر عن مدى استراتيجية السياسة العباسية في استقطاب الموالي المبغضين للحكم الأموي.

بعد أن فتح قحطبة جرجان لحق بنصر في قومس إلا أن الأخير هرب إلى همدان وهو مريض فسار إلى ساوة حيث مات بها سنة (131 هـ ـ 749 م).

وبذلك سقط الحكم الأموي في خراسان ودانت للعباسيين همدان ونهاوند وقم وأصبهان سنة (131 هـ ـ 749 م)[1]، بعد أن فقدت الروح القيادية والعسكرية من قبل الولاة الأمويين.

معركة جابلق:

دارت معركة جابلق في (23 رجب 131 هـ ـ 18 مارس 749 م) بين القوات الأموية بقيادة عامر بن ضبارة وداود بن يزيد بن عمر بن هبيرة، والقوات العباسية بقيادة قحطبة الطائي الذي جعل على ميمنته أبا عون العكي وعلى ميسرته أبا غانم عبد الحميد ابن ربعي، وكانت القوات الأموية تتكون من 50،000 من أهل العراق وأهل خراسان، وقبل بدء المعركة أمر قحطبة بمصحف فنصبه على رمح ثم نادى: «يا أهل الشام إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف»، فشتموه وأفحشوا في القول.

فزحفت القوات العباسية على مقدمة القوات الأموية فانتصرت عليهم وقتل ابن ضبارة فخرج محمد بن نباته من قبل القوات الأموية يقاتل أبا غانم وهو ينادي: «يا أبناء الأحرار! إنما هم الأغنام، وسقاط العرب» فهزم ابن نباته المسيرة واشتبكت القوات العباسية في قلب القوات الأموية فلما هزم القلب طعن محمد بن نباته وسقطت راية الأمويين، وحمل قحطبة رؤوس القتلى، فأتى برأس بن ضبارة فقال العكي:

«لله بلادك أي مسعر حرب وكريم كنت وإن كنت
على ضلال، مثلك فلتلد لا كنصر بن سيار متنقلاً من

---

(1) انظر: مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 338 ـ 339.

حجر إلى جحر حتى قتله الله غماً»[1].

حصار نهاوند:

بعد انتصار القوات العباسية في جابلق من أرض أصبهان في (23 رجب 131 هـ ـ 18 مارس 749 م) أقام قحطبة بأرض أصبهان عشرين يوماً في معسكره حتى بايعه أهلها، ثم سار إلى نهاوند فحاصرها فكان سكانها قد اعتصموا وأبوا الاستسلام، فكتب إليه أبو سلمة:

«إن إقامتك على نهاوند قد قوّت من جند مروان ونسوا ما دخلهم من روع إيقاعك بهم مع ابن ضبارة، فإن تعذّر عليك الظفر بهم فاعطهم الأمان وفِ لهم به وخلهم والتفرق عنك ليخلو لك وجهك لابن هبيرة، ومن قد وجه مروان إليكم من ناحية الموصل».

فرأى قحطبة أن يأخذ بنصيحة أبي سلمة، فكتب إلى الأهالي وقال لهم:

«أنتم آمنون، فمن أحب أن يخرج إلينا ويكون معنا فرضنا له وواسيناه، ومن أحب أن ينصرف إلى خراسان توثقت له في أمانة من أبي مسلم، ومن أحب أن يمضي إلى غيرها فموسع عليه، فلم يجيبوه»[2].

بل أغلظوا له القول وشتموه، فبعث بكتاب الأمان إلى أهل الشام بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر، فبعثوا بدورهم إلى قحطبة يسئلونه أن يشغل أهل المدينة حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون ففعل قحطبة ذلك، وشغل أهل المدينة بالقتل بينما انسحب أهل الشام من المدينة فلما علم أهل خراسان بخروج الشاميين من الحصار سألوهم فقالوا لهم: «أخذنا الأمان لنا ولكم «فخرج رؤساء أهل خراسان من نهاوند فأمر قحطبة فنادى مناديه.

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 345.
(2) المصدر السابق: ص 351.

«من كان في يده أسير ممن خرج إلينا من أهل المدينة
فليضرب عنقه وليأتنا برأسه».

وبذلك استطاع قحطبة قتل أهل خراسان وكان عددهم حوالي 3 آلاف شخص[1].

قتل إبراهيم الإمام:

تعرف مروان بن محمد على صاحب الدعوة لآل البيت، فأرسل عامله على البلقاء أن يقبض على إبراهيم الإمام من الحميمة وكان ذلك في سنة (129 هـ - 747 م) فلما سجن إبراهيم الإمام علم أنه ميت لا محالة، فكتب وصيته وجعلها إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد، وأوصاه فيها بقيام الدولة العباسية.

وكان هذه الوصية مع مولاه سابق الخوارزمي، فلما قضى إبراهيم الإمام نحبه في (132 هـ - 750 م) دفع سابق بالوصية إلى أبي العباس ونعاه[2].

أذيع خبر مقتل إبراهيم الإمام بين الناس، فهرب أبو العباس وأبو جعفر من الشام واختفيا بالكوفة عند أبي سلمة الخلال، فلما علم أبو مسلم بقتل الإمام إبراهيم، وهرب أبي العباس وأبي جعفر، خرج من خراسان وقدم الكوفة ودخل عليهما فعزاهما بأخيهما إبراهيم وبايع أبا العباس ثم قفل راجعاً إلى خراسان[3].

دخول القوات العباسية إلى العراق:

لم يبق أمام العباسيين بعد أن دانت لهم خراسان إلا الزحف نحو العراق فقد هاجم قحطبة الطائي قوات يزيد بن هبيرة والي العراق على ضفاف الفرات

---

(1) المصدر السابق: ص 353 - 354.
(2) المسعودي: مروج الذهب، ج 3، ص 297.
(3) الدينوري: الأخبار، ص 359.

بمنطقة الفلوجة في (8 من محرم 132 هـ ـ 28 أغسطس 749 م)، أسفرت الموقعة عن انتصار العباسيين على الرغم من سقوط قائدهم العباسي قحطبة بن شبيب الطائي غريقاً في النهر، فتولى ولده الحسن القيادة وطارد قوات ابن هبيرة مما اضطر الأخير إلى اللجوء إلى واسط فتحصن بها[1].

فتح الكوفة:

بالرغم من أن المعركة بين قوات العباسيين بقيادة الحسن بن قحطبة وقوات الأمويين بقيادة ابن هبيرة لم تكن حاسمة إلا أنها أسفرت عن تقدم زحف العباسيين للكوفة ومبايعة أهلها لهم، فقد أعلن محمد القشري ولاءه للهاشميين ولصاحب الدعوة لآل البيت حيث صعد المنبر دعا الناس لمبايعة الدعوة على الرغم من أنه لا يعرف من هم أصحاب الدعوى علويون أم عباسيون؟ وعلى كلٍ فقد خطب في الناس قائلاً:

> «يا أهل الكوفة إن الله قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة وقد طلبها الأبناء بعد الأباء فحرموها حتى ساقها الله إليكم، هذه جنود الحق قد أظلتكم داخلة عليكم أحد اليومين فقوموا فبايعوا»[2].

وهكذا دخلت الكوفة في طاعة العباسيين سنة (132 هـ ـ 749 م) فأمر أبو سلمة الخلال حسن بن قحطبة أن يدخل الكوفة بأفضل هيأة وأن يشهروا سلاحهم وأعلامهم وقوتهم، ففعل وظهر أبو سلمة وأعلن أمره وكان ذلك في (10 محرم 132 هـ ـ 30 أغسطس 749 م)[3].

وقعة الزاب ونهاية آخر خلفاء بني أمية:

عقب سقوط الكوفة في يد العباسيين، لم يبق أمام مروان بن محمد إلا

---

(1) انظر: مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 369.
(2) المصدر السابق: ص 368.
(3) المصدر السابق: ص 374.

أن يخرج بنفسه لمواجهة القوات العباسية، فسار من حران حتى وصل نهر الزاب وحفر خندقاً عليه وكان معه مائة وعشرون ألفاً، فسار لملاقاته أبو عون العكي فوجه إليه أبو سلمة الخلال عينة بن موسى، والمنهال بن فتان، وإسحاق بن طلحة كل واحدٍ في ثلاثة آلاف[1].

وبعث أبو العباس سلمة بن محمد في ألفي جندي، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة جندي، وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفي جندي، وأيضاً وداس بن نضلة في خمسمائة إلى أبي عون، ثم رشح عمه عبد الله بن علي لقيادة الجيش الخراساني وأن يكون هو القائد العام للقوات العباسية[2]، ولعل هذا الإجراء من قِبَل أبي العباس في تعيين قائد عام عباسي لمقاتلة الأمويين هو إثارة الرعب في نفوس المقاتلة الأمويين، وتوضيح الصورة لجمهور الموالي ولا سيما (الفرس) بأن الدولة العباسية لم تقم على أكتاف الفرس.

وعلى كل، فقد أمر الخليفة العباسي أخاه أبا جعفر بقيادة الحصار المضروب على ابن هبيرة في واسط[3].

أما مروان بن محمد فقد عقد جسراً، وعبر عليه فنهاه وزراؤه، لكنه لم يستجب لنصائحهم، فارتكب خطئاً استراتيجياً بعبوره للجسر إلى الساحل الأيسر من الزاب الكبير، حتى إن بعض القبائل التي انضمت إليه رفضت عبور الجسر والنزول للقتال خشية على نفسها من الغرق فقد وصف لنا الطبري ذلك بقوله:

> «واشتد بينهم القتال وقال مروان لقضاعة انزلوا فقال قل لبين سليم فلينزلوا، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا فقالوا قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السكون أن احملوا فقالوا قل لغطفان فليحموا فقال لصاحب شرطة انزل قال لا والله ما كنت لأجعل

---

(1) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 417.
(2) الطبري: **تاريخ**، ج 10، ص 38.
(3) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 439.

نفسي غرضاً، قال أما والله لأسوئنك، قال: وودت والله أنك قدرت على ذلك ثم انهزم أهل الشام وانهزم مروان وقطع الجسر فكان مَنْ غرق يومئذ أكثر ممن قتل»[1].

ومن خلال رواية الطبري يتضح لنا أن شخصية مروان بن محمد، شخصية حربية أكثر منها سياسة حيث تنقصه الحنكة والدهاء السياسي في وضع الخطط الاستراتيجية وهذا ما رأيناه بوضوح عندما اتخذ حران عاصمة لدولته بدلاً من دمشق (وذلك لكي يكون قريباً من أنصاره القيسيين) ففي هذا الإجراء إشعال نار العصبية وبدون قصد منه بين القيسية واليمانية.

وعندما هزم على يد القوات العباسية لجأ فاراً إلى الموصل يستنجد بالقبائل الشامية، فوجد أهلها ناقمين عليه، فاتجه إلى حران وأقام بها بعض الوقت إلى أن اقتربت منه الجيوش العباسية، فحمل مروان من بقي معه ومضى منهزماً إلى حمص وقنسرين، وفي هذه الأثناء قدم عبد الله بن علي إلى حران، وبذلك فر مروان إلى دمشق فوجد الناس قد انقسموا إلى قسمين - نتيجة احتدام العصبية القبلية - فمنهم من أيّد الأمويين ومنهم من انضم إلى بني هاشم، وعندئذ وجد نفسه وحيداً في الميدان فلجأ إلى فلسطين.

وكان عبد الله بن علي يلاحقه حتى وصل دمشق فحاصرها، ودخلها عنوة ثم سار منها إلى فلسطين فورد عليه كتاب الخليفة أبي العباس يأمره بأن يرسل أخاه صالح بن علي في طلب مروان فسار صالح إليه في آواخر ذي القعدة سنة (132 هـ - يونيو 750 م) حتى وصل نهر النيل[2]، ومروان منهزم أمامه متجهاً إلى مصر فأدرك مروان نهايته وخطأه فقال:

«انفرجت عني قيس انفراج الرأس ما تبقى منهم أحد، وذلك أننا وضعنا الأمر في غير موضعه..»[3].

---

(1) الطبري: **تاريخ**، ج 10، ص 40 - 41.
(2) أبو الفداء: **المختصر**، ج 1، ص 210.
(3) ابن قتيبة: **الإمامة**، ج 2، ص 117.

وهكذا كانت نهاية مروان بن محمد عندما لجأ إلى كنيسة بوصير مختبئاً فيها فأدركه عامر بن إسماعيل الحارثي وطعنه في (27 ذي الحجة 132 هـ ـ 17 يوليو 750 م) واحتزّ رأس آخر خلفاء بني أمية وأرسله إلى صالح بن علي الذي قطع لسانه فأخذه هو وأرسل صالح الرأس إلى أبي العباس وقال:

فـتـح الـلّـه مـصـراً عـنـوة لـكـم وأهـلـك الـفـاجـر الـجـعـدي إذ ظـلـمـا
وذاك مـقـولـة هـر يـجـرره وكان ربك في ذي الكفر منتقما[1]

سقوط واسط في أيدي العباسيين واستسلام ابن هبيرة

ذكرنا سابقاً أن أبا العباس أرسل أخاه أبا جعفر لقيادة الحصار المضروب على يزيد بن عمر بن هبيرة، وطلب من الحسن بن قحطبة أن يترك قيادة الجيش الأعلى لجعفر[2]، فكتب إليه «إن العسكر عسكرك والقواد قوادك ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً فاسمع له وأطع وأحسن مؤازرته»[3].

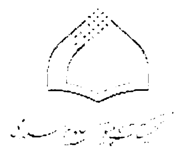
فلما طال الحصار وعلم المحاصرون بمقتل مروان طلبوا الصلح من أبي جعفر فجرت المفاوضات بين الطرفين أسفر عنها دخول ابن هبيرة في الصلح فكتب أبو جعفر كتاب أمان، قيل إنه مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه ابن هبيرة، وأرسله إلى أبي جعفر الذي أنفذه إلى أخيه أبي العباس فإمره بإمضائه، إلا أن أبا العباس نقض العهد والميثاق، وذلك بعد أن اعترض أبو مسلم الخراساني على نصوصها وكتب إلى أبي العباس: «إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة»[4].

هكذا تبلورت الفكرة في رأس أبي العباس فأمر بقتل ابن هبيرة وابنه داود وحاجبه وبعض مواليه، كما قُتل قواده محمد بن نباته وحوثره بن سهيل[5].

---

(1) أبو الفداء: **المختصر**، ج 1، ص 211.
(2) الطبري: **تاريخ**، ج 10، ص 66.
(3) ابن الأثير: **الكامل**، ج 5، ص 439.
(4) **المصدر السابق**: ج 5، ص 441.
(5) الطبري: **تاريخ**، ج 10، ص 68.

وبذلك سقط حكم الأمويين وقامت الدولة العباسية على انقاضه رافعة راياتها السوداء تنادي بالمساواة والعدل بين الناس وتندد بالحكم الأموي، ولكن هل وجد الموالي ضالتهم في ظل الحكم العباسي؟!.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الخـــاتمـــة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الخاتمة

يتضح لنا من هذه الدراسة أن الدولة الأموية قامت بحد السيف والإجبار لا عن اختيار من قبل جمهور المسلمين، فلم يكن للحرية والعدل والمساواة والشورى أي أساس في قيامها بل كان حكمها قائماً على العصبية وتفضيل العنصر العربي على غيره من العناصر المنضوية تحت رايتها، وكان هدفها الوحيد هو بسط نفوذها السياسي فقط ما ترتب عليه إهمال الجوانب الأخرى كمسؤولية الخليفة والمهام التي يقوم بها. فأصبح الصراع الدائم والمرير من أجل كرسي الخلافة هو الهمُّ الوحيد للأمويين، ولهذا كان نظام الحكم في ظل الأمويين أشبه ما يكون بحكم إمبراطوري.

وبذلك أهملت الدولة الأموية وضع تنظيم العلاقات حسب الشريعة الإسلامية بين العرب والشعوب التي تم فتحها وأدت هذه السياسة إلى خلق هوة كبيرة بينهم وبين الموالي الذين أصبحوا معولاً رئيسياً من معاول الهدم في كيان الدولة الأموية.

كما اتضح أيضاً من خلال البحث، أن للموالي دوراً هاماً وفعالاً في مختلف مناحي الحياة، فقد سجل لنا التاريخ أسماء بعض الشخصيات القيادية من الموالي التي ساهمت في حركة الفتوح الإسلامية وتولت الولاية في بعض مناطقِ الدولة الأموية مثل أبي المهاجر دينار، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، وعبيد الله بن الحبحاب ومحمد بن يزيد، وإسماعيل بن عبيد الله والبحتري بن مجاهد...

وكذلك بعض الموالي الذين تولوا المناصب الإدارية في الدولة مثل

تقلدهم منصب الكتابة في الدواوين والحجابة والشرطة، وفي المجال الاقتصادي، وفي مجال الإبداع الفكري والعلمي.

وبذلك ننفي الآراء القائلة بأن الدولة الأموية أبعدت الموالي إبعاداً كاملاً عن تولي المناصب الكبرى في الدولة، ولعل آراءهم هذه كانت نتيجة مزجهم لنظرة الأمويين التعصبية، وتفضيل العرب على الموالي، وبين علاقة هؤلاء الموالي بالبلاط الأموي.

ومن المؤكد أن الأمويين لم يقدروا جهود هؤلاء الموالي في بناء صرح الدولة الإسلامية، فقد كانت تعاملهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، على الرغم من أن الإسلام ساوى بين الطبقات وجعل التفاضل بينهم هو العمل الصالح والتقوى، وعلى الرغم أيضاً من الخدمات الجليلة التي قدموها فقد بلغ بها الحد إلى استعمال البطش والقوة معهم عندما ترى أن نفوذ هؤلاء الموالي أصبح قوياً، وهذا ما حدث فعلاً مع موسى بن نصير الذي عُزل من منصبه وجُرِّد من أمواله وقتل أبناؤه ومواليه أما عينيه، وكذلك طارق بن زياد الذي لا نعرف عنه شيئاً إلا بعض الانتصارات التي حققها من أجل الإسلام فكانت نهايته غامضة ومغمورة.

وبذلك نرى أن الأمويين أجحفوا في حق الموالي كثيراً فشهروا على أنفسهم سلاحاً ذا حدين والمتمثل في كثرة المناوئين لهم سواء كانوا عرباً أم موالي وإرهاق الدولة الأموية في مكافحة الثورات، والدس الشعوبي وظهور الافتخار والاعتزاز بأمجاد الفرس وتشويه التاريخ العربي في مؤلفاتهم، فكتبوا عن مثالب العرب، وفخر الفرس على العرب، وكذلك البربر مثل كتاب مفاخر البربر، بل وتبنيهم للأفكار الدينية المتطرفة والبعيدة كل البعد عن الإسلام وجوهره..

ويُعد الدس الشعوبي في اعتقادنا، أخطر من شهر السلاح في وجه الأمويين لأننا ـ كمسلمين ـ نعاني منه منذ الفتنة الكبرى وابتداع ابن سبأ أفكاره الزائغة بين الناس، إلى وقتنا الحاضر وهو ما يعرف حالياً بالتطرف والأنحراف.

واستنتجنا أيضاً من خلال البحث أن وضع موالي العراق وخراسان كان

سيئاً للغاية، ولعل وضعهم هذا جاء نتاج انضمامهم للثورات المناهضة للحكم الأموي وليس قبل، وقد وضح هذا في خطبة الحجاج في الموالي عقب خروجهم لثورة ابن الأشعث عندما قال:

«إنما الموالي علوج وإنما أتي بهم من القرى فقراهم أولى بهم، فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقرار العرب بها»(*).

تنبه الموالي لسوء وضعهم الاجتماعي فمنهم من اتجه إلى المجال الاقتصادي وسيطرته على الأسواق العربية، ومنهم من اتجه إلى النشاط الفكري والعلمي والإقبال على تعلم اللغة العربية الفصحى لمضاهاة العرب والتفوق عليهم في لغتهم الأم، ومنهم من اتجه إلى الحركات المناوئة للحكم الأموي على الرغم من أن هذه الحركات أو الثورات مختلفة الاتجاهات ومتباينة الميول، لكن الهدف كان واضحاً فيها وهو التقويض والحد من النفوذ الأموي، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل لأنها لم تكن متحدة، وأحياناً تطغى المطامع الشخصية على الأهداف العامة فمثلاً في ثورة المختار رأيناه كيف استطاع بحيلته في رفع شعار المساواة والعدل بين طبقات المجتمع الإسلامي أن يكسب أكبر قدر من الاتباع سواء كانوا عرباً أم موالياً، ولكن عندما بدأ يدعو بأفكار بعيدة عن الإسلام كشفت حقيقته وانقلب من كان معه ضده وألب على نفسه غضب الأشراف من الكوفة.

أما حركة عبد الله بن جارود فكانت واضحة منذ البداية، حيث كان هدفها اقتصادياً صرفاً، أما ثورة عبد الرحمن بن الأشعث فكان هدفها خاصاً وهو انتقام ابن الأشعث من الحجاج وسوء إدارته، ومع أنه لم يكن هدفها من أجل المساواة إلا أننا نرى التفاف جمهور الموالي من فقهاء وجند وعامة إليه، أما ثورة أبي الصيداء وثورة الحارث بن سريج فكانتا عبارة عن نموذجين لثورات محلية كان هدفها مطامع ومصالح شخصية، وكان دور الموالي هنا مستتراً وغير واضح إذ ما قورن بدورهم في المغرب والأندلس..

(*) المبرد: **الكامل في الأدب**، ج 2، ص 96.

فقد كان دورهم في المغرب والأندلس مباشراً، منهم قادة الحرب، وكان هدفهم الحقيقي هو الوصول لكرسي الحكم ونشر العدل والمساواة بين المسلمين على عكس موالي المشرق الذين كان هدفهم تقويض الحكم الأموي والعمل على إضعافه وإسقاطه بشتى الطرق والوسائل، لهذا لم يتهاون الموالي في مواصلة الانضمام للثورات المتباينة وللأحزاب المختلفة، وأخيراً ظهرت في نهاية الدولة الأموية دعوى تنادي بالرجوع إلى مبادىء الإسلام متمثلة في الدعوة العباسية التي أخفت دعوتها تحت ستار الرضا من آل محمد لاستقطاب المستضعفين من خراسان والذين كان عددهم يفوق عدد العرب في الغالب.

وقد وجد الموالي في الانضمام لتلك الدعوة بصيص أمل في إعادة نفوذهم وسيطرتهم معتقدين أن هذه الدعوة علوية شيعية، لأن فكرة التشيع لآل البيت قريبة من أفكارهم، فهي تمثل نظرية فارسية قديمة وهي تقديس أو تأليه الأشخاص.

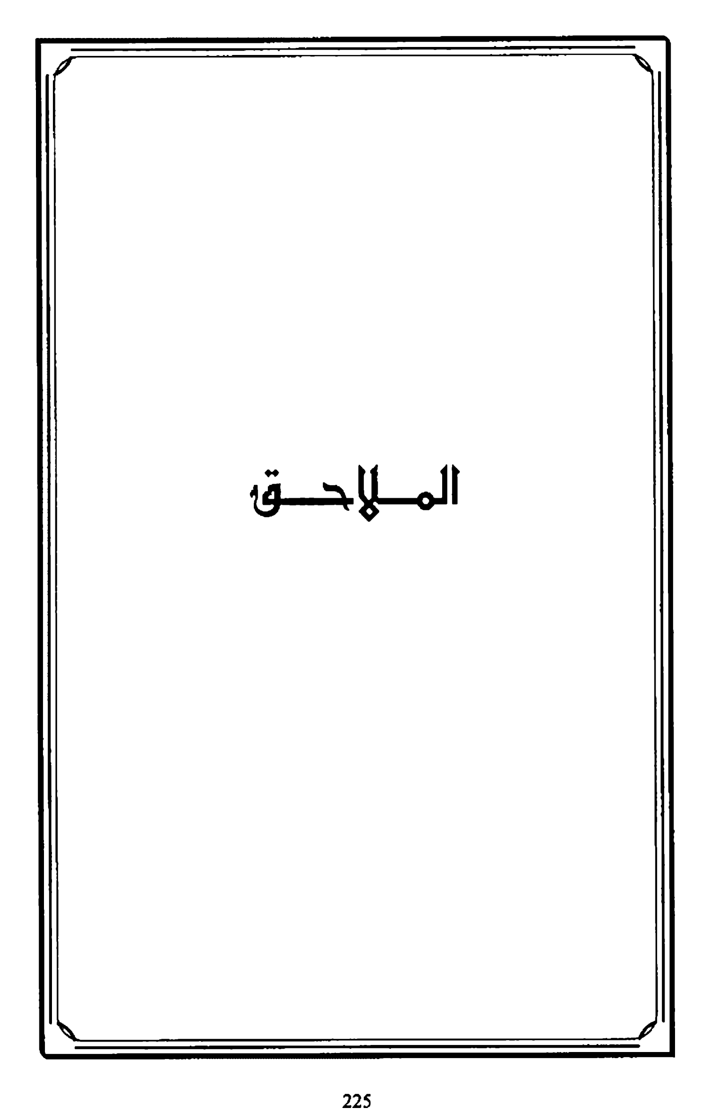
أما الدعوة العباسية فقد استطاعت في أقصر وقت ممكن تكوين جيش من الموالي الذي استطاع أن يسقط الحكم الأموي سنة (132 هـ ـ 750 م).

وقد تبوأ الموالي المناصب العليا في الدولة العباسية، ورغم أنهم كانوا مصدر قوتها في البداية إلا أنهم اصطدموا مع العرب الذين ظلوا يقاومون تسلط الموالي على الخلافة العباسية، خاصة في عهد المأمون والمعتصم، مما أدى بالمعتصم أن ملَّ ذلك الصراع بين العرب والموالي الفرس واستقدم عنصراً آخر هو الموالي الأتراك وبالتالي فقد العرب نهائياً سيطرتهم على الدولة الإسلامية.

ومع هذا فقد كان للموالي دور إيجابي في مجتمعنا الإسلامي في حقبة من التاريخ، ولعل أبرز دورهم لهم هو دفاعهم عن الإسلام ضد الصليبيين في معركة حطين (583 هـ ـ 1187 م)، وعين جالوت (668 هـ ـ 1258 م).

وقد يتساءل البعض هل اختفى الموالي في عصرنا من المجتمع العربي؟

بالتأكيد لا لأنهم يتواجدون بشكل أو بآخر في المجتمعات الإسلامية والعربية وتحت تسميات مختلفة.



الملاحق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ملحق رقم (1)

جدول بأسماء الخلفاء الراشدين

(11 ـ 40 هـ/ 632 ـ 661 م)

التسلسل	الخلفاء الراشدون	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
1	أبو بكر الصيديق	11 ـ 13	632 ـ 634
2	عمر بن الخطاب	13 ـ 23	634 ـ 644
3	عثمان بن عفان	23 ـ 35	644 ـ 656
4	علي بن أبي طالب	35 ـ 40	656 ـ 661

ملحق رقم (2)

جدول بأسماء بني أمية(*) (الفرع السفياني والفرع المرواني)

أمية

حرب — أبو العاص

أبو سفيان

معاوية (1) — عفان — الحكم

يزيد (2) — عثمان — مروان (4)

معاوية الثاني (3) — (ثالث الخلفاء الراشدين)

(5) عبد الملك — عبد العزيز — محمد

عمر (8) — مروان الجعدي (14)

(9) يزيد — (6) الوليد — (7) سليمان — (10) هشام

الوليد الثاني (11) — معاوية

إبراهيم (13) — يزيد الثالث [الناقص] (12)

عبد الرحمن الداخل [مؤسس دولة بني أمية في الأندلس]

---

(1) انظر: أبو عبد الله بن عبد الله الزبيري: نسب قريش، حققه أ. ليفي. بروفنسال، ط 3، (القاهرة: دار المعارف، 1982)، ص 123 ـ 134.

ملحق رقم (3)

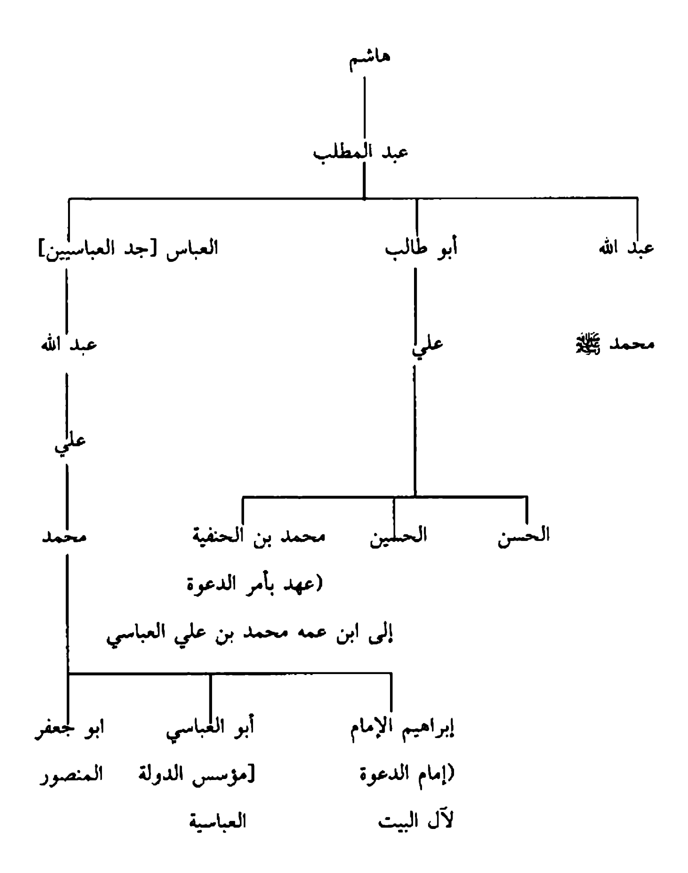
جدول بأسماء خلفاء بني أمية

(41 ـ 132 هـ/ 661 ـ 750 م)

التسلسل	الخليفة الأموي	السنة الهجرية	السنة الميلادية
1	معاوية بن أبي سفيان	41 ـ 60	661 ـ 680
2	يزيد بن معاوية	60 ـ 64	680 ـ 683
3	معاوية الثاني بن يزيد	64	683
4	مروان بن الحكم	64 ـ 65	683 ـ 685
5	عبد الملك بن مروان	65 ـ 86	685 ـ 705
6	الوليد بن عبد الملك	86 ـ 96	705 ـ 715
7	سليمان بن عبد الملك	96 ـ 99	715 ـ 717
8	عمر بن عبد العزيز	99 ـ 101	717 ـ 720
9	يزيد الثاني بن عبد الملك	101 ـ 105	720 ـ 724
10	هشام بن عبد الملك	105 ـ 125	724 ـ 743
11	الوليد الثاني بن يزيد	125 ـ 126	743 ـ 744
12	يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك	126	744
13	إبراهيم بن الوليد	126	744
14	مروان الثاني بن محمد	127 ـ 132	744 ـ 750

ملحق رقم (4)

انتقال الدعوة الهاشمية من الفرع العلوي إلى الفرع العباسي



ملحق رقم (5)

قائمة الموالي في صدر الإسلام والخلفاء الراشدين

كما ورد في البحث

المولى	سيده
زيد بن حارثة أسامة بن زيد ثوبان بن بجدد سلمان الفارسي	محمد بن عبد الله ﷺ محمد بن عبد الله ﷺ محمد بن عبد الله ﷺ محمد بن عبد الله ﷺ
بلال بن رباح صفية أم محمد بن سيرين	أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه
سالم	أبو حذيفة بن عتبة
أبو عبد الله نافع المدني	عبد الله بن عمر بن الخطاب
عمار بن ياسر	حذيفة بن المغيرة
صهيب بن سنان	عبد الله بن جدعان
أبو لؤلؤة المجوسي (قاتل عمر بن الخطاب)	المغيرة بن شعبة

ملحق رقم (6)

قائمة موالي بني أمية كما ورد في البحث

المولى	سيده الأموي
أبو الزعيزعه	مروان بن الحكم
أبو المنهال	مروان بن الحكم
أيوب	معاوية بن أبي سفيان
عبد الرحمن بن دراج	معاوية بن أبي سفيان
يزيد بن الحي	معاوية بن أبي سفيان
حمران بن أبان	عثمان بن عبد الله بن مروان
سالم الكاتب	سعيد بن عبد الملك
سليمان بن موسى	أموي بالولاء
صفوان	يزيد بن معاوية
طهمان الوبذي	الوليد بن عقبة
فيل	زياد بن أبي سفيان
مرداس	زياد بن أبي سفيان
ليث بن أبي رقية	أم الحكم بنت أبي سفيان
نصير	هشام بن عبد الملك
مطير	عمر بن عبد العزيز
وردان	عمرو بن العاص

ملحق رقم (7)

فمن مذهب المختار: أنه يجوز البداء على اللّه تعالى، والبداء له معان:

- البداء في العلم: وهو أن يظهر له خلاف ما علم.
- البداء في الإرادة: وهو أن يظهر له صواباً على خلاف ما أراد وحكم.
- البداء في الأمر: وهو أن يأمر بشيء، ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك.

ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال، إما بوحي حادثه، فإن وافق كونه قوله، جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم.

وكان لا يفرق بين النسخ والبداء، قال: إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار.

وقد قيل: إن السيد محمد بن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل إليه أنه قد ليس على الناس أنه من دعاته ورجاله، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة، والمخاريق المموهة.

فمن مخاريقه: أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج، وزينه بأنواع الزينة، وقال: هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي كرم اللّه وجهه، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل، وكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول: قاتلوا ولكم الظفر والنصرة، وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل، وفيه السكينة، والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم، وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة تنزل عن صورة الحمامات البيض[1].

---

(1) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج 1، حققه محمد سيد كيلاني، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، 1961).

تسمية السبعين وهم الدعاة

حُميد بن قحطبة، الحسن بن قحطبة، أبو إسحاق خالد بن عثمان بن مسعود مولى خزاعة، أبو حميد محمد بن إبراهيم الحميري، غيلان بن عبد الله الخزاعي، أبو غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي، أبو العبّاس الفضل ابن سليمان الطوسي، أبو صالح كامل بن المظفرّ، نصر بن عبد الحميد الخزاعي، عيسى بن نهيك العكيّ، محمد بن صول، عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، أبو الخطاب الهيثم بن معانية العكيّ، معبد بن خليل التميمي، [105 أ] زهير بن محمد الأزدي، نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، الحجّاج بن سليمان الأزدي، عيينة بن موسى بن كعب، الأحجم بن عبد الله الخزاعي، الهيثم بن زياد الخزاعي، سلمة بن محمد الطائي، شعبة بن عثمان التميمي المروروذي، الأغلب بن سالم المروروذي، عبد الله بن البحتري التميمي، حيّة بن عبد الله التميمي، أبو عبدة محمد بن عبد الله الحنفي، عمر بن معبد الخزاعي، مزيد[1] بن شقيق السلمي، المرار بن أنس الضبيّ، هاشم بن العقّاد الخزاعي، داود بن كرّاز الباهلي، عبد الرحمن بن سليمان أبو عاصم[2]، الأشعث بن يحيى الطائي، محقن بن غزوان العبدي، الحريش ابن سليمان مولى خزاعة، الهيثم بن سليمان، موسى بن حسّان الأقطع، محمد ابن الحشرج، عيسى بن رؤبة الطفاوي، بهدل بن إياس الضبّي، مروان بن أعين الخزاعي، خلف بن البرد،

---

(1) في الأصل: «مريد». انظر الطبري س 2، ص 1986 و217 من هذا الكتاب.
(2) في الطبري س 2 ص 1953: «أبو عاصم عبد الرحمن بن سليم».
(3) الأصل: «نشيل».
(4) الأصل: «الرادع»، وقد مر الاسم في ص 218.

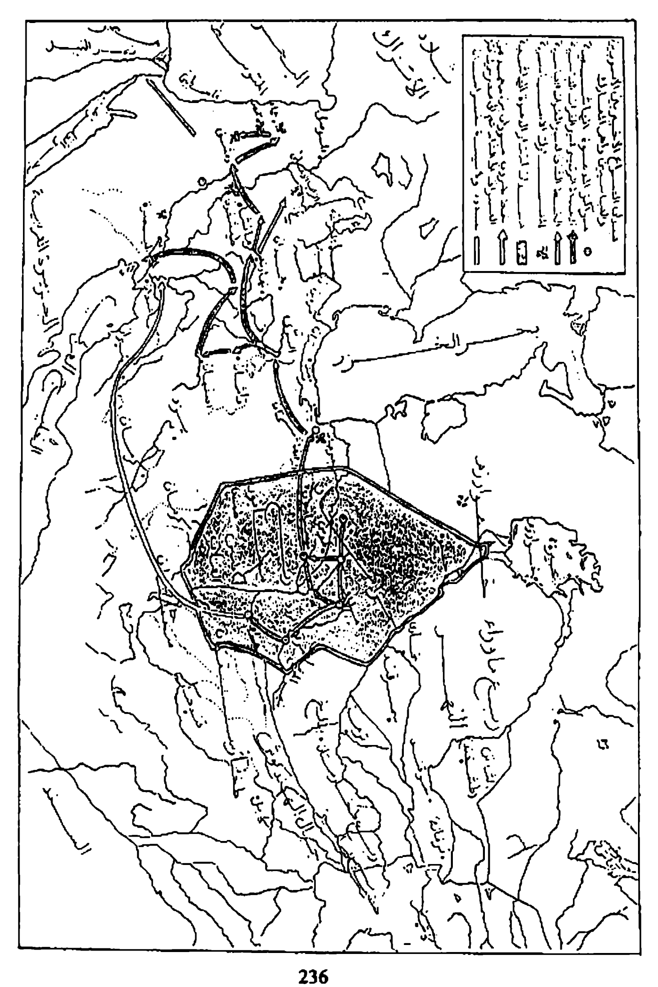
صالح بن سليمان الضبيّ، بريدة بن خُصَيْب، المختار بن سويد، سارية بن نويب التميمي، كلثوم بن بكير، جبّار بن النعمان، أبو سعيد الخليل بن سعيد السروي، الأخيم بن عبد العزيز المروروذي، الحسن بن ماخَنْبَذ، زيادة بن مهران الطالقاني، أبو حرب ابن زياد، هارون بن الصعق الطفاوي، شريك بن عُضي التميمي، حبيب ابن ضُريس، عبد الرحمن بن المخل، أبو عاصم حيوة بن المحل الطفاوي، [105 ب] حرب بن مُرثد، عيسى بن شبل[1]، الوازع[2] بن كثير، ثابت بن شدّاد، واضح[3] أبو الوضّاح، عمرو بن حسّان، داعية بن نجاد.

تسمية دعاة الدعاة

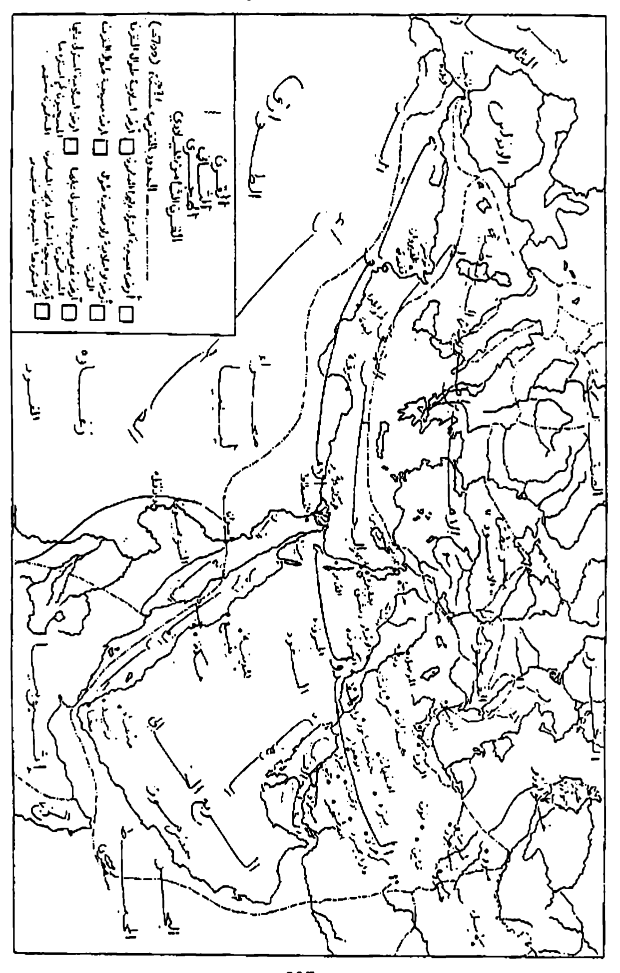
سعيد بن يحيى الطائي، أبو نعمان حبيب بن رستم، أبو خزيمة موسى ابن عطية أخو أبي الجهم، ناجية بن أُثيلة الباهلي، عمران بن الحكم، أبو غانم النضر بن غانم الطائي، حمزة بن رتيم، مدرك بن كلثوم، أبو المهدي سيف بن نحا الطائي، بزيع مولى معاذ، عمر بن نحي، زريق ابن شوذب الشيباني، إبراهيم الجرشي، الحارث بن سيّار، أبو أيّوب عيسى بن صبيح، حاجب بن درهم، أبو زيد إبراهيم، الخليل بن كرشا التميمي، صُبح بن الصباح، أبو عمرو الأعجمي، مسلم السجستاني، عبد الله الروندي[4]، أبو قرّة هلال بن عبد، أبو خالد المهاجر بن عثمان الخزاعي، حزام بن عباد، عبد الله بن شعبة، أبو خالد عيسى بن سالم، الجهم ابن سنان، أبو حمزة الجُربي، أبو عاصم الصغاني، يزيد بن مُرثد، المسيّب ابن عثمان، عمير بن زرين أخو حميد بن زرين مولى خزاعة، عبد الأعلى ابن حكيم الأسدي، أبو تراب، أبو سيف، أبو جناح صبيح بن زريق.

مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 221، 222، 223.

حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ط 1 (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1987)، ص 145.



هاري. و. هازارد: أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ص 9.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

1 ـ البلاذري: أحمد بن يحيى «أنساب الأشراف»، الجزء الثاني، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 1103.

2 ـ العيني: بدر الدين محمد «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» الجزء العاشر، القسم الثاني، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 1584.

ثانياً: المصادر الأولية المطبوعة:

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ج 2، بيروت: دار الفكر، 1956 م.

3 ـ ابن أبي الحديد: أبو حامد هبة الله بن محمد «شرح نهج البلاغة» حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ط 1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية 1959م.

4 ـ ابن أنس: مالك «الموطأ» ج1، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1951 م.

5 ـ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم «منهاج السنة النبوية» ج 1، حققه محمد رشاد سالم، بيروت: خياط، د. ت.

6 ـ ابن الأثير: محمد بن عبد الواحد «الكامل في التارئخ» الأجزاء 1 ـ 4 ـ 5، بيروت: دار صادر، 1965 م.

: «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، ج 1، طهران: المكتبة الإسلامية، 1342 هـ.

7 ـ ابن جلجل: سليمان بن حسان «طبقات الأطباء والحكماء» حققه فؤاد سيد، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955 م.

8 ـ ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج «صفة الصفوة» حققه محمود فاخوري، ج 2، ط 2، بيروت: دار المعرفة، 1971 م.

9 ـ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي «تاريخ عمر بن الخطاب» حققه أسامة عبد الكريم الرفاعي، دمشق: دار إحياء علوم الدين، 1394 هـ.

10 ـ ابن حبيب: محمد «المحبر» حققه إيلزه ليختن شيتتر، بيروت: دار الآفاق الجديدة، د. ت.

11 ـ ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي «الإصابة في تميز الصحابة» ج 3، ط 1، القاهرة: السعادة، 1328 هـ.

: «تهذيب التهذيب» ج 2، ط 1، بيروت: دار صادر، 1325هـ.

12 ـ ابن حزم: علي بن أحمد «المحلى» ج 11، القاهرة: المطبعة المنيرية، 1352 هـ.

13 ـ ابن حنبل: أحمد بن محمد «السند» ج 1، حققه أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1951م.

14 ـ ابن حنبل: عبد الرحمن «مقدمة ابن خلدون» بيروت: دار الجيل، د. ت.

: «العبر وديوان المبتدأ والخبر» بيروت: حققه أ. م كاترمير، ج 3 ـ 4، بيروت: مكتبة لبنان، 1970 م.

15 ـ ابن خلكان: أحمد بن محمد «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» ج 2، حققه إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1969 م.

16 ـ ابن خياط: خليفة «تاريخ خليفة بن خياط» حققه أكرم ضياء العمري، ط 2، بيروت: دمشق: مؤسسة الرسالة، دار القلم، 1977.

17 ـ ابن دريد: محمد بن الحسن «الاشتقـاق» القاهرة: السنة المحمدية، 1958 م.

18 ـ ابن رشيق: علي الحسن «العمدة في صناعة الشعر ونقده» ط 1، القاهرة: مكتبة ابن هندية، 1925 م.

19 ـ ابن سعد: محمد بن منيع «الطبقات الكبرى» حققه ريوليوس لبرت، ج ، طهران: مكتبة النصر، 1322 هـ.

20 ـ ابن سلام: أبو عبيد، القاسم «كتاب الأموال» حققه محمد خليل هراس، القاهرة: دار الفكر، 1975 م.

21 ـ ابن سيد الناس «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» ج 1، القاهرة: مكتبة القدس، 1356 هـ.

22 ـ ابن الطقطقي: محمد بن علي «الفخري في الآداب السلطانية الدول الإسلامية» بيروت: دار صادر، 1966 م.

23 ـ ابن عبد الحكيم: عبد الرحمن «فتوح مصر وأخبارها» حققه محمد صبيح، القاهرة: دار التعاون، د. ت.

24 ـ ابن عبد ربه: أحمد بن محمد «العقد الفريد» ج 3 ـ 4، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحمد رشاد، القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة، 1953 م.

25 ـ ابن العبري: غريغوس الملطي «تاريخ مختصر الدول» حققه الأب أنطوان الياسوعي، ط 2، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1958م.

26 ـ ابن عساكر: هبة الله بن عبد الله «تهذيب ابن عساكر»، حققه عبد القادر بدران، دمشق: روضة الشام، 1330 هـ.

27 ـ ابن العماد: عبد الحي «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ج 1، القاهرة: مكتبة القدس، 1350 هـ.

28 ـ ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم «الإمامة والسياسة» ج 2، حققه طه محمد الزيني القاهرة: مؤسسة حلبي، د. ت.

: «عيون الأخبار» ج 1، القاهرة: مطبعة الكتب العربية، 1925 م.

: «المعارف» حققه ثروت عكاشية، القاهرة: دار الكتب، 1960 م.

29 ـ ابن قدامة: عبد الله بن أحمد «المغني» ج 6، تحقيق هراس محمد خليل، القاهرة: مطبعة الإمام، د. ت.

30 ـ ابن قنفد: أحمد بن حسن «الوفيات» حققه عادل نويهض، ط 4، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983 م.

31 ـ ابن القوطية: محمد بن عمير «تاريخ افتتاح الأندلس» حققه إبراهيم الأبياري، ط 1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982.

33 ـ ابن ماجه: محمد بن يزيد «كتاب السنن» ج 2، القاهرة: المطبعة العلمية، 1313 م.

34 ـ ابن المثنى: أبو عبيدة بن معمر «النقائض بين جرير والفرزدق» حققه محمد إسماعيل الصاوي، ج 1، القاهرة: دار الصاوي، 1935 م.

35 ـ ابن هشام: عبد الملك «السيرة النبوية» حققه إبراهيم الأبياري ومصطفى السقا الجزءان 1 ـ 2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1961 م.

36 ـ ابن واقد: محمد بن عمر «المغازي» ج 2، تحقيق مارسدن جونس، لندن: مطبعة أكسفورد، 1966 م.

37 ـ أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل «المختصر في أخبار البشر» ج 1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1956 م.

38 ـ أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم «كتاب الخراج» حققه محمود الباجي، تونس: دار بو سلامة، 1984 م.

39 ـ الأبشهي: محمد بن أحمد «المستطرف في كل فن مستظرف» ج 1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952 م.

40 ـ الأصبهاني: أحمد بن عبد الله «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» ج 1، ط 1، القاهرة: مطبعة دار السعادة، 1932 م.

41 ـ الأصفهاني: حسين بن محمد «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» ج 3، بيروت: مكتبة الحياة، 1961 م.

42 ـ الأصفهاني: علي بن الحسين «الأغاني» الأجزاء 2 ـ 3 ـ 4 ـ 14 ـ 15، بيروت: مؤسسة عز الدين، د. ت. وكذلك: طبعة القاهرة: مطبعة الهيئة المصرية، 1973 م، ج 22.

43 ـ الألوسي: السيد محمود «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» حققه محمد بهجة الأثري، ج 3، ط 3، القاهرة: دار الكتب العربية، 1342 هـ.

44 ـ الأمير: محمد «الأكليل» حققه أبو الفضل عبد الله الغماري، القاهرة: مطبعة حجازي، د. ت.

45 ـ الأنباري: عبد الرحمن بن محمد «نزهة الألباء في طبقات الأدباء» حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الفجالة، 1969 م.

46 ـ الأنباري: محمد بن القاسم «الأضداد في اللغة» حققه محمد عبد القادر سعيد، القاهرة: المطبعة الحسينية، د. ت.

47 ـ الأوزجندي: حسن بن منصور «الفتاوي الهندية المسمى بالفتاوى العالمكيرية» ج 5، بولاق: مطبعة الأميرية، 1310 هـ.

48 ـ البخاري: محمد بن إسماعيل «صحيح البخاري» ج 3، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، 1360 هـ.

49 ـ البغدادي: أحمد بن علي الخطيب «تاريخ بغداد» ج 5، بيروت: دار الكتب العربية، د. ت.

50 ـ البغدادي: عبد القادر بن عمر «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شرح شواهد الكافية» ج 1، حققه عبد السلام محمد هارون، ط 1، القاهرة: دار الكتب، 1967 م.

51 ـ البغدادي: عبد القاهر «الفرق بين الفرق» حققه محمد محيي الدين، القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح، د. ت.

52 ـ البكري: عبد الله بن عبد العزيز «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع» حققه مصطفى السقا، ج 1، ط 1، القاهرة: لجنة التأليف، 1945 م.

53 ـ البلاذري: أحمد بن يحيى «أنساب الأشراف» ج 1 ـ 5، حققه محمد حميد الله، القاهرة: دار المعارف، 1959 م.

: «فتوح البلدان» حققه إبراهيم بيضون، ط 1، بيروت: دار إقرأ، 1992 م.

54 ـ البيهقي: أحمد بن الحسن «السنن الكبرى» ج 10، بيروت: دار المعرفة، 1355 هـ.

55 ـ التبريزي: أبو زكريا «شرح المعلقات العشر»، بيروت: دار الثقافة، 1969 م.

56 ـ الجاحظ: عمرو بن بحر «الحيوان» حققه عبد السلام محمد هارون، ج 4، ط 1، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1940 م.

: «البيان والتبيين» حققه عبد السلام محمد هارون، ج 2، ط 3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1968 م.

: «رسائل الجاحظ» حققه عبد السلام محمد هارون، ج 2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964.

57 ـ الجمل: سليمان «حاشية الجمل على شرح الجلالين» ج 4، القاهرة: مطبعة مصطفى محمد، 1933 م.

58 ـ الجهشياري: محمد بن عبدوس «الوزراء والكتاب» حققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، ط 1، القاهرة: مطعبة البابي الحلبي وشركاه، 1939 م.

49 ـ الحلبي: عبد الواحد بن علي «الأضداد في كلام العرب» ج 2، حققه عزة حسن، دمشق: المجمع العالمي العربي، 1963 م.

60 ـ الحموي: ابن واصل «تجريد الأغاني» حققه طه حسين وإبراهيم الأبياري، ج 1، القاهرة: مطبعة مصر، 1955 م.

61 ـ الحموي: عبد الله ياقوت «معجم البلدان» ج 1، بيروت: مؤسسة حلبي، د. ت.

: «معجم الأدباء» ج 6، القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د. ت.

62 ـ الحميري: نشوان بن سعيد «الحور العين» حققه كمال مصطفى، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1948 م.

63 ـ الدينوري: أحمد بن دواد «الأخبار الطوال» حققه عبد المنعم عامر، ط 1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1960.

64 ـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد «تاريخ الإسلام» ج 4، القاهرة: مكتبة القدس، 1369 هـ.

: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ج 1، القاهرة: مطبعة السعادة، 1335 هـ.

65 ـ الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله «نسب قريش» حققه أ. ليفي. بروفنسال، ط 3، القاهرة: دار المعارف، 1982 م.

66 ـ السرخسي: شمس الدين «المبسوط» ج 8، 27، القاهرة: مطبعة السعادة، 1324 هـ.

67 ـ السمرقندي: نصر بن محمد «عيون المسائل» حققه صلاح الدين الناهي، بغداد: مطبعة أسعد، 1967 م.

68 ـ الزيلعي: عثمان بن علي «تبيين الحقائق شرح كنز العمال» ج 5، بولاق: المطبعة الكبرى، 1315 هـ.

69 ـ الشهر ستاني: محمد بن عبد الكريم «الملل والنحل» حققه أحمد فهمي محمد، ج 1، القاهرة: مطبعة حجازي، 1948 م.

70 ـ الصاوي: أحمد بن محمد «بلغة السالك لأقرب المسالك» ج 2، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، 1952 م.

71 ـ الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى «أدب الكتاب» حققه محمد بهجة الأثري، بغداد: المطبعة السلفية، 1341 هـ.

72 ـ الضبي: المفضل بن محمد «المفضليات» حققه عبد السلام محمد هارون، ط 1، القاهرة: دار المعارف، 1964 م.

73 ـ الطبري: محمد بن جرير «تاريخ الأمم والملوك» الأجزاء 5 ـ 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10، بيروت: مكتبة خياط، د. ت.

74 ـ الغزالي: أبو حامد «إحياء علوم الدين» ج 4، د. م: لجنة الثقافة الإسلامية، د. ت.

75 ـ الفسوي: يعقوب بن سفيان «المعرفة والتاريخ» ج 3، حققه أكرم ضياء العمري، بغداد: مكتبة المثنى، 1976 م.

76 ـ القالي: إسماعيل بن القاسم «الأمالي» ج 1، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1926 م.

77 ـ القرطبي: يوسف بن عبد الله «بهجة المجالس في أنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس» حققه محمد موسى الخولي، القاهرة: دار دار الكتاب العربي، 1962 م.

78 ـ القفطي: جمال الدين بن أبي حسن «أنباء الرواة عن أنباء النحاة» حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1950 م.

79 ـ القلقشندي: أحمد بن علي «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» ج 11، حققه محمد حسن شمس الدين، بيروت: دار الفكر، 1987 م.

: «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» حققه علي الخاقاني، بغداد: النجاح، 1958 م.

80 ـ الكاساني: أبو بكر بن مسعود «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» ج 4، ط 1، القاهرة: مطبعة الجمالية، 1910 م.

81 ـ الكليني: محمد بن يعقوب «الروضة من الكافي» ج 8، تحقيق علي أكبر الجعفري، ط 2، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1389 هـ.

82 ـ الماوردي: أبو يعلى محمد بن الحسن «الأحكام السلطانية» حققه محمد حامد الفقي، ط 2، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، 1966 م.

83 ـ المبرد: أبو العباس «الكامل في اللغة والأدب» حققه نخبة من العلماء، ج

1، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، 1355 هـ. وأيضاً ج 2، حققه زكي مبارك، ط 1، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، 1937 م.

84 ـ مؤلف مجهول «أخبار الدولة العباسية» حققه عبد العزيز الدوري، بيروت: دار الطليعة، 1971 م.

85 ـ مؤلف مجهول «أخبار مجموعة في فتح الأندلس» حققه إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، 1981 م.

86 ـ مؤلف مجهول «العيون والحدائق في أخبار الحقائق» ج 3، بغداد، المثنى، د. ت.

87 ـ مخلوف: محمد بن محمد «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» القاهرة: المطبعة السلفية، 1350 هـ.

88 ـ المراكشي: ابن عذاري «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، حققه ج. س كولان، أ. ليفي. بروفنسال، ج 1، بيروت: دار الثقافة، د. ت.

89 ـ المرزوقي: أحمد بن محمد «شرح ديوان الحماسة» حققه أحمد أمين وعبد السلام هارون، ج 1، ط 1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1951 م.

90 ـ المسعودي: علي بن الحسين «التنبية والإشراف» بيروت: دار الهلال، 1981.

: «مروج الذهب ومعادن الجوهر» حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ج 3، ط 4، القاهرة: مطبعة السعادة، 1964 م.

91 ـ مسلم: بن حجاج القشري «صحيح مسلم» ج 1، القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، د. ت.

92 ـ المقدسي: أحمد بن سهل «البدء والتاريخ» ج 6، باريس: د. ن، 1919م.

93 ـ مقدسي: شمس الدين أبو عبد الله «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» بيروت: مكتبة خياط، د. ت.

94 ـ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي «النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم»، حققه حسن مؤنس، القاهرة: دار المعارف، 1984.

: «الخطط المقريزية» القاهرة: مؤسسة حلبي، د. ت.

95 ـ منلا مسكين، محمد أبي السعود «فتح الله المعين على شرح الكنز» ج 2، القاهرة: مطبعة المعارف، د. ت.

96 ـ الميداني: أحمد بن محمد النيسابوري «مجمع الأمثال» ج 2، ط 2، القاهرة: المكتبة التجارية، 1959 م.

97 ـ النديم: محمد بن أبي يعقوب «الفهرست» حققه رضا تجدّد، طهران: د. ن، 1971 م.

98 ـ النووي: محي الدين بن شرف «تهذيب الأسماء واللغات» ج 1، القاهرة: مطبعة المنيرية، د. ت.

99 ـ النويري: شهاب الدين أحمد «نهاية الأرب في فنون الأدب» حققه أحمد الزين ج 6، القاهرة: وزارة الثقافة، د. ت.

100 ـ لايل، جمع وإعداد «ديوان الهذليين» ج 2، القاهرة: الدار القومية، 1965 م.

101 ـ الهيثمي: علي بن أبي بكر «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حيان» حققه محمد عبد الرازق، القاهرة: المطبعة السلفية، د.ت.

102 ـ الهندي: علاء الدين علي «كنز العمال في سنن الأقوال» ج 11، ط 1، حلب: مكتبة التراث الإسلامي، 1971 م.

103 ـ وكيع: محمد بن خلف «أخبار القضاة» ج 2، بيروت: عالم الكتب، د. ت.

104 ـ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب «تاريخ اليعقوبي» ج 1 ـ 2، بيروت: دار صادر، 1960 م.

ثالثاً: المراجع الثانوية:

1 ـ أمين: أحمد «فجر الإسلام» ط 11، بيروت: دار الكتاب، 1979 م.

2 ـ بدوي: ناجي فؤاد «الشعوبية في العصر العباسي» ط 1، الزقازيق: دار الأرقم، 1993 م.

3 ـ بلياييف: «العرب والإسلام والخلافة العربية» ترجمة أنيس فريحة، ط 1، بيروت: الدار المتحدة، 1973 م.

4 ـ الجبوري: يحيى «الشعر الجاهلي» ط 6، بنغازي: جامعة قاريونس، 1993 م.

5 ـ جودة: جمال «الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي» عمان: دار البشر، 1989 م.

6 ـ الحاوي: إيليا «شرح ديوان أبي تمام» ط 1، بيروت: دار الكتاب، 1981 م.

7 ـ الخربوطلي: علي حسني «تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي» القاهرة: دار المعارف، 1959 م.

8 ـ دروزه: محمد عزه «عصر النبي وبيئته قبل البعثه» دمشق: دار اليقظة العربية، 1946 م.

9 ـ الراوي: ثابت إسماعيل «العراق في العصر الأموي» بغداد: مكتبة الأندلس، 1970 م.

10 ـ زيدان: جرجي «التمدن الإسلامي» الأجزاء 2 ـ 3 ـ 4، القاهرة، دار الهلال، د. ت.

11 ـ سالم: السيد عبد العزيز «تاريخ العرب قبل الإسلام» الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. د. ت.

: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي «ط 2، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة 1982م.

12 ـ الشريف: أحمد إبراهيم «مكة والمدينة» ط 2، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.

27 ـ الهوني: فرج «النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية» ط 2، بنغازي: منشورات الشركة العامة، 1978 م.

28 ـ النجار: محمد الطيب «الموالي في العصر الأموي» ط 1، القاهرة: دار النيل، 1949 م.

29 ـ الشكعة: مصطفى «مناهج التأليف عند علماء العرب» ط 5، بيروت: دار العلم للملايين، 1989 م.

30 ـ العبادي: عبد الحميد «الإسلام والمشكلة العنصرية» ط 1، بيروت: دار العلم للملايين، 1969 م.

31 ـ العدوي: إبراهيم أحمد «النظم الإسلامية» القاهرة: الأنجلو المصرية، 1972 م.

32 ـ علي: جواد «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» ج 4، ط 1، بيروت ـ بغداد: دار العلم للملايين ـ مكتبة النهضة، 1970 م.

33 ـ العلي: صالح أحمد «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري» بغداد: د. ن، 1953 م.

34 ـ عمر: فاروق «طبيعة الدعوة العباسية» ط 1، بيروت: دار الإرشاد، 1970 م.

35 ـ فلوتن: فان «السيادة العربية» ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي أبراهيم ط1، القاهرة: السعادة، 1934 م.

36 ـ الكروي: إبراهيم سلمان «نظام الوزارة في العصر العباسي الأول» الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 1989 م.

37 ـ المزيني: صالح مصطفى «ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر» ط 2، بنغازي: جامعة قاريونس، 1994 م.

38 ـ مصطفى: شاكر «دولة بني العباس» ج 1، ط 1، الكويت: وكالة المطبوعات، 1973 م.

39 ـ معروف: نايف محمود «الخوارج في العصر الأموي» ط 2، بيروت: دار الطليعة، 1981 م.

40 ـ موسى: لقبال «المغرب الإسلامي»، قسطنطينة: مطبعة البعث، 1969 م.

41 ـ مؤنس: حسين «فجر الأندلس» ط 2، جدة: دار السعودية، 1985 م.

42 ـ هدارة: محمد مصطفى «اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري» القاهرة: دار المعارف، 1963 م.

43 ـ الهوني: فرج «النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية» ط 2، بنغازي: منشورات الشركة العامة، 1978 م.

44 ـ النجار: محمد الطيب «الموالي في العصر الأموي» ط 1، القاهرة: دار النيل، 1949 م.

رابعاً: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1 - Bosworth, C.E.Evan Donzel. B.Lewis and ch. Pellat: The Encyclopaedia of Islam Vol 6 New Edition. Leiden. Ej: Brill 1991.

2 - Brown: Aliteray History of Petsia London 1959.

3 - Campani, Romeo: Calendario. Arabo. Tabello comparative delle ere Araba e Critiano Gregorina mese per mese (Egira 1.1318) egiorno per giorno E.V. 1900 - 2000 Modena. 1914.

4 - Gibb and Kramers: Shorter Encyclopadia of Islam London 1953.

5 - Hnghes. T.P: Dictionary of Islam London. N.D.

6 - Kremer, Von: kulture Geschictische Streifzuge Aut dem Gebiet des Islam Calcutta. 1950.

7 - Nicholson: Aliteray History of the Arabs. Cambridge Press 1956.

8 - Shaban. M.A: Islamic History vol 1 Cambridge 1976.

9 - Sykes: History of persia vol 1 london 1921.

خامساً: الدوريات:

1 ـ الصباغ: قاسم «التحول الاجتماعي بالحجاز في العصر الأموي» مجلة أدب الرافدين، العدد 7، الموصل: جامعة الوصل، 1976 م.

2 ـ أمين: حسين «الدعوة العباسية» مجلة المؤرخ العربي، بغداد: الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين، 1979 م.

3 ـ شاكر: محمود «خراسان» مجلة كلية اللغة بالعربية والعلوم الاجتماعية، العدد 6، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1976 م.

سادساً: الرسائل العلمية غير المنشورة:

1 ـ البيلي: محمد بركات «البربر في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر الإمارة» رسالة دكتوراة قدمت لجامعة القاهرة، 1982 م.

2 ـ الخالدي: أبو النصر محمد «قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي» رسالة دكتوراة قدمت لجامعة القاهرة، 1949 م.

3 ـ عبد الحكيم: رجب محمد «العلاقات بين الممالك الإسلامية والنصرانية في اسبانيا» رسالة دكتوراه قدمت لجامعة القاهرة 1980م.

سابعاً: المعاجم والموسوعات والأطالس:

1 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تصنيف وتجميع محمد فؤاد عبد الباقي، ط 3، القاهرة: دار الحديث، 1991 م.

2 ـ مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط 2، القاهرة: الهيئة المصرية، 1970 م.

3 ـ ابن منظور: محمد بن مكرم «لسان العرب» ج ، بيروت: دار صادر، 1956 م.

4 ـ الزبيدي: محمد مرتضى «تاج العروس من جوهر القاموس» حققه عبد الستار أحمد، ج 3، الكويت: مطبعة الكويت، 1965 م.

5 ـ الرازي: محمد بن أبي بكر «مختار الصحاح» القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د. ت.

6 ـ أنيس: إبراهيم، وآخرون «المعجم الوسيط» ح 1، ط 2، القاهرة: دار المعارف، 1972 م.

7 ـ التونجي: محمد «المعجم الذهبي الفارسي ـ عربي» ط 1، بيروت دار العلم للملايين، 1969 م.

8 ـ دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، وآخرين، ج 4، 8، القاهرة: مؤسسة الشعب، 1969 م.

9 ـ الزركلي: خير الدين «الأعلام» ج 4، ط 2، القاهرة: دار المؤلف، د. ت.

10 ـ كريزر: كلوس «معجم العالم الإسلامي» ترجمة ج كتورة، ط 1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1991 م.

11 ـ ويستنفلد، ف: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد محسن رمضان، ط 1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980 م.

12 ـ مؤنس: حسين «أطلس تاريخ الإسلام» ط 1، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1987 م.

13 ـ هاري. و. هازارد «أطلس التاريخ الإسلامي» القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.